مذكرات لودندورف

تاريخ حياة الفيلد مارشال لودندورف وأعماله في الحرب الكبرى

وضعه الفيلد مارشال الفون اريخ لودندورف



عربها — احمد رفعت — الجزء الثاني

تطلب من المكتبة التجارية بأول شارع محمد علي بمصر
لصاحبها مصطفى محمد

مطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر لصاحبها حسين علي

مذكرات لودندورف

تاريخ حياة الفيلد مارشال لودندورف وأعماله في الحرب الكبرى

SOUVENIRS DE GUERRE

وضعها

اريخ لودندورف

رئيس المعسكر العام للجيوش الألمانية

وعربها

أحمد رفعت

تطلب من المكتبة التجارية بأول شارع محمد علي

لصاحبها : مصطفى محمد

الجزء الثاني

مطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر

هجوم الجيوش المتفقة في أول سبتمبر سنة ١٩١٧

— ١ —

كيفما ضاعف العدو مجهوده في ساحة الأعمال الحربية الشرقية فقد كان من الواضح أننا سنقوم في الميدان الغربي في سنة ١٩١٧ بأقسى الوقائع الدفاعية . ولقد صار نظام القيادة في الجبهة الشرقية بسيطاً ، ولم تعد لنا حاجة الى مطالبة القيادة العليا النمسوية المساعدة الوقتية التي كانت الحاجة ماسة اليها أثناء الحملة على رومانيا . وأصبح من اللازم الآن ارسال فرقة س . ا . الى الجبهة الغربية ، واقترحت أن يتوطن معسكرنا العام الجديد في سبا أو في كروزناخ : فصار العدول عن سبا ، وبدت ميزة كراوزناخ في وجودها عند ملتقى خطوط تليفونية وتلغرافية عديدة متجهة نحو الجبهة وضمنت لنا الفنادق والغرف المأجورة في بيوت الأسرات خيرة المأوى المنشودة ، فصدر الأمر باعداد الشؤون اللازمة في كراوزناخ لحلول المعسكر العام الأكبر بها في النصف الثاني من فبراير على وجه الاحتمال . وفرضنا من قبيل الاحتياط امكان عودتنا الى بليس .

وقد انتقلت هيأة أركان حرب النمسا الى باد على مقربة من فينا .

وقد ابتدأت في أول فبراير ١٩١٧ حملة طراداتنا الغائصة ، وظهر لنا بعد مدة وجيزة أن لا حاجة لنا الى اتخاذ وسائل خاصة تجاه هولاندا والدانيمارك . فأركان الحرب والجنود الذين كانوا مخصصين لهذا الأمر

صاروا على استعداد للذهاب إلى الجبهة الغربية .

وكان لابد من توقع استمرار هجوم السوم الانجليزي في هذه الجبهة ، وربما شوهد ممتداً نحو الشمال ومن الممكن إكماله بوثبة فرنسوية مابين رواي ونوايون ، إلا أن الذي هو أكثر احتمالاً هجوم الجيش الفرنسوي على طريقة خريف ١٩١٥ في جبهة سواسون ، ريمس ، أرجون ، فان ميزتها من الجهة العملية الحربية واضحة : فان قوى الدول المتفقة تحدث بهذا الهجوم في أحوال موافقة جداً ضغطاً على جانبي الثغرة التي تكوّن جبهتنا في خطوط الأعداء . على أنه من المستحيل تعيين نقط الجبهة التي سيتجه اليها أهم شطور الهجوم الفرنسوي ، ومن الواجب توقع وثوب ثانوي على رواي ، وقد استدعت بعض الأنباء انجاه النظر الى جبهة الالورين وجبهة سوندجاو اللتين لم يبد نظام مواقعنا فيهما تقدماً محسوساً . ولم نكن متمتعين بالراحة والهدوء في هذا القطاع الأخير ، ففي كل آونة تحدث أعمال حربية محلية ويلاقي ارسال التجدات الى تلك الجبهة عقبات هائلة . وكذلك جرى الحديث عن فردان المتوقع وثوب الفرنسويين فيها . وأخيراً دار الكلام حول امتداد الهجوم الانجليزي الى الشمال . والخلاصة انه صار من المحتم علينا الاستعداد في سائر انحاء الجبهة للقيام بمقاومة عنيفة ، فالموقف اذن في منتهى الغموض .

ولابد للوقائع من التتابع في جبهة الايسونزو ما دامت تريستا الغرض الذي تنشده ايطاليا . ومن المؤكد حدوث هجمات في مقدونيا وعلى نهر الفاردار ، وكذلك في تركيا سواء أفي فلسطين أم في بغداد . وأخذت أتوقع الآن من جهة الشرق هجوماً آخر في الجنوب على الجيوش النمسوية . فقد راعنا في آخر يناير وثوب الروسيين فجأة في اتجاه ميتاو ، وسرعان ما

تجمعت له قوانا الاحتياطية ومكنتنا من صده .

ولم يتيسر بعد تعيين الوقت الذي سيحدث فيه الهجوم العظيم . أما في الجبهة الشرقية فلم يكن من المتوقع حدوث الوثوب قبل ابريل . ففي ١٩١٦ ابتدأ الهجوم الروسي الكبير في مارس فأصيب بصدمة قاسية من اكفهرار الجو ومن سوء حالة الأرض . فمن المنتظر الا يعاود الروسيون أية محاولة في مثل هذا الوقت العبوس ، وكذلك ينتظر ان تترقب جيوش الائتلاف فرصة صفاء الجو للهجوم في الجبهة الغربية . إلاّ أن الحالة كانت من الحرج على السوء في درجة قد تحملنا على التفكير في الهجوم قبل الاوان

ان الحالة العامة كانت تضطرنا الى حمل العدو على ارجاء هجومه الذي ينوي القيام به على الجبهة الغربية الى أبعد ما يمكن من الزمن ليتسنى لحرب الغواصات انتاج مفعولها المنتظر . وتزيد هذا الرأي رجوحاً اعتبارات خططية وقلة المؤن والذخائر . وبتقصير جبهتنا سنحصل على خير مجموعة من قوانا وتتواجد لدينا قوات احتياطية جسيمة جداً . اننا نواجه بمائة وأربعة وخمسين فرقة من جنودنا في بلجيكا وفرنسا ١٩٠ فرقة من جنود الاعداء ، وشطر من هذه الفرق الاخيرة أعداد عساكرها أكثر من أعداد فرقنا ، فمثل هذا التفاوت في القوى مع اتساع الجبهة جعل موقفنا سيئاً جداً . ومن جهة أخرى يجب وقاية بعض أجزاء الجبهة بقدر ما يتيسر من الوقت الطويل من هجمات الاعداء الفظيعة بتعجيزهم عن نقل الجنود بمقادير جسيمة في هذه القطاعات . والنتيجة ان هذه الحركة المقتضى القيام بها يجب أن تمكننا من احتلال مواقع تيسر للفرق الضعيفة التعبة من مواصلة القتال المحتم بشيء من الراحة . فهذه الاعتبارات (مضاف اليها ابتداء حرب الغواصات) هي التي حملتنا على التخلي عن الفجوة التي

تتكوّن منها جبهتنا في خطوط الاعداء ، وعلى الانثناء الى موقع سيجفريند وكان لابد لهذا الموقع أن يغدو مستعداً في منتهى مارس . وكذلك شرعنا في تنفيذ خطة التدمير المنوي في بقاع عديدة ممتدة امام المواقع الجديدة على اتساع ١٥ كيلومتراً .

وقامت مجموعة جيوش الأمير الوريث روبرخت بأعمال الاخلاء والتدمير واتمتها في خمسة أسابيع وكنا على استعداد لان نبطل العمل في كل وقت يفاجئنا العدو بالهجوم علينا فيه ونواجه الهجوم بما يقتضيه من الدفاع : الا أن الأمر الجوهري لنا هو تجنب الدخول في معركة بقدر مانستطيع وكان من الواجب فضلا عما تقدم ذكره انقاذ كل المهمات التي لم نستطع اخفاءها في جوف الثرى والمواد الأولية الضرورية للحرب ، واتلاف خطوط المواصلات والاماكن والآبار ، وكل ذلك لاجل منع العدو من ارساخ أقدامه بسرعة شديدة في الموقع الجديد بقوات عظيمة . على اننا منعنا تسميم الينابيع .

وكان هذا الارتداد مشروعاً خطراً ، لانه يتضمن اعترافا بالضعف مؤدياً الى تقوى حالة العدو الادبية والى استيلاء الفتور على هممنا ، بيد أن الضرورة العسكرية قضت بهذا الحل . وقد أزفت ساعة العمل . ولم نتكف نحن الاثنين القائد فون كوهل وأنا عن مواصلة التخابر لانهاء هذه المسألة . ووافق القائد الفيلد مارشال وصاحب الجلالة على مشروعات الاعمال الحربية ، وفي ٤ فبراير صدر الأمر بالتنفيذ وكان يوم ٩ هو أول أيام البرنامج . وتحدد يوم ١٦ مارس لحركة التراجع ، الا أن أى ضغط من العدو في أية آونة قد يجعل هذا الانثناء يتقدم عن الوعد المضروب له ، وفي مثل هذه الحالة نفقد كثيراً من الادوات وتصبح أعمال التدمير

الجارية في طريق الحركة العسكرية عرضة للاخفاق . وكان الليتنان كولونيل نيقولاى مكلفاً في الوقت نفسه بتضليل العدو بواسطة نقل معلومات عديدة غير حقيقية اليه . وكان هو والكولونيل فون هابفتن ملزمين بالتأثير في صحافتنا وصحافة البلاد الملتزمة جانب الحيدة لمنعها من نشر ما قد يكشف للعدو مقاصدنا . وكنت مختصاً باطلاع المستشار على مجرى الاعمال الحربية المنوية

وتمت أعمال التأهب للانثناء وفق البرنامج بنجاح تام . ونقلنا من البقاع التي أخليناها كنوزاً عديدة من البدائع الفنية لجعلها في مأمن من التلف في البلاد المحتلة طبقاً لقواعد الاتفاق المبرم في الهاي بشأن الحرب البرية ومما يدعو الى الاسف الشديد تدمير أملاك السكان ، بيد ان هذا مما لا يمكن اتقاؤه . وقد انسحب القسم الاعظم من السكان الى الجهة الشرقية ، واجتمع شطر طفيف منهم في بعض الجهات كنويون وهام ونيل وتخلفوا في هذه الاماكن مع مواد غذائية تكفيهم لعدة أيام . ولقد كان من الواجب منع العدو من اعاء قواه باقصاء كل الرجال الصالحين للخدمة العسكرية أو لأي عمل تقتضيه الحرب ، الا انه صار من المهارة موافاته بقدر المستطاع من بالافواه التي يجب ملء مواضعها بمختلف الاطعمة

ولم ينقطع العمل الموصول على ضفتي السوم تأهباً للقتال . وفي مفتتح مارس تضاعفت أدلة العزم على مباشرة النزال في شمال السوم . وكذلك أخذت تشتد في شمال رواى مظاهر رغبة الفرنسويين في اتخاذ خطة الهجوم ولم أبحث في أى من الفريقين الناشطين الى القتال استجرته حركات ارتدادنا الى اغتنام هذه الفرصة . ولقد كان من أعسر الامور على نفوس القواد ان يوفقوا حركاتهم مع التاريخ المبدئي المحدد للشروع في حركة التقهقر العامة . ومن جهة أخرى فقد كان من المتعذر القيام بحركة عامة

في وقت واحد ، ولهذا بدأ الارتداد في نقط من القسم الشمالي من الجبهة منذ يوم ١١ ، وفي نقط من القسم الجنوبي منذ يوم ١٣ اتقاء هجمات العدو إذا استشعر بحركة التراجع العام التى بدأ يزداد اعتقاده في قرب حدوثها

وبدأت حركة الانثناء الكبرى في يوم ١٦ وفاقا للخطة المتفق عليها وحدثت دفعة واحدة على عدة قفزات متتالية

وحاولت الفرقة س ١ بقدر ما في وسعها أن تتجنب الدخول في التحام إلا انها وقفت على قدم الاستعداد لتمكن الجنود المتراجعة من أعداد المراكز التي ستشغلها في سيجفريد قبل أن يتوصل العدو اليها بقوى متفوقة . وقد شغلت بعض قطاعات المواقع الجديدة بفرق أخذت من القوى الاحتياطية والبعض الآخر بالفرق التي أتمت من قبل حركة الارتداد ومع كل ذلك فقد تقرر من قبيل الاحتياط مهاجمة الجنود الفرنسويين في جنوب سان كنتان عند اجتياز السوم وقناة كروزا ، على ان هذه المهاجمة التي كانت مشوبة بالفتور لم تؤد الى نتيجة قيمة . ولقد بحثنا في المعسكر العام الاكبر مسألة الشروع في هجوم عام على الجبهة الفرنسوية الكائنة في موقع سيجفريد بجنود ولي العهد روبرخت وارتأينا من الاوفق الحصول على نجاح عسكري فني يزيل ما علق بالاذهان من جراء تراجعنا الذي حمل على محمل الضعف . الا أن جنودنا المتأهبة للقتال وحالة الجنود عامة جعلت هذا المرام صعب المنال بسبب عدم صلاح الارض لسير عدد عظيم من الجنود التعبة فيها واشتباكهم بعد ذلك في وقعة تكون مضمونة النجاح . وكذلك عدلت فرقة س . ا . عن القيام بكرة من الطراز العظيم سواء أكان عدولها في مصلحتنا أم كان منافضاً لها

وتتبعت جنود الدول المتفقة جنودنا عن كثب اثناء حركة الانثناء

وكان يتمثل لها أن هذه الحركة فوز باهر ، الا اننا كنا قد أعددنا الصحافة بمهارة فائقة لعدم اقناعتهم هذه الفكرة . وفي الواقع ان دول الاتفاق لم تصب أقل فوز من جراء هذا التراجع . وأفلحت أنباؤنا التي نشرناها في منع جنود الأعداء من عرقلة أعمال الاخلاء والاتلاف . وعلى كل حال فقد كانت هذه الحركة عملاً عسكرياً بديعاً يشهد بكفاءة أركان الحرب الالمانية وبصرها بالعواقب . وذلك لأن هذا الاختصار في الجبهة جعلها أمنع من الاول وأصلح للدفاع والهجوم ، وقضت هذه الخطة على مشروعات الخصم المدبرة من قبل . فوجهات الهجمات التي كان متخيرها لم تعد صالحة للعمل والبقاع التي تخلينا عنها لا تجديه أقل نفع . ولكي تصبح هذه الاراضي صالحة للاعمال الحربية كان لا بد له من اصلاحها واعدادها لمشروعاته الحديثة بهمة عظيمة . ولهذا السبب لم تبد سوى مقادير طفيفة من جنود العدو امام جبهتنا الجديدة . فاستطعنا نحن بالمثل أن نقلل من جنودنا فتجعلها بنسبة القوي الماثلة امامها ونسحب عدة فرق . فنجحنا في الغرض الذي انتثينا لاجله . وظل أثر هذا النجاح الباهر محسوساً مدة طويلة وحصلنا منه على فوائد عظيمة جداً . وكنا نود لو وجدنا كثيراً من أمثال موقع سيجفريد بما فيه من ميزة المناعة . وبهذا العمل سهلت مهمتنا في عام ١٩١٨ الى حد عظيم الا أن عمل اليد لم يكمل عمل الفكر والميزة التي جادت بها الطبيعة على هذا الموقع ، وزيادة على ذلك فان دخول سيارات التانكس التي تجتاز أعظم العوائق وأوسع الخنادق في دور العمل قللت من قيمة هذه المواقع الى حد عظيم

ومن سوء الطالع أن أعمال التدمير واخلاء الجهات من السكان جلبت علينا تهما شنعاء من جانب الدول المتفقة فوصمتنا بالهمجية وعرضتنا لمصنع

أقاويلها واختلاقاتها . وان هذا العمل لمن حقها . غير اننا لم نفعل سوى ماتقضي به شريعة الحرب غير ذاهبين بعيداً الى المدى الذى ذهب اليه الطرفان المقتتلان في حرب الانشقاق (أمريكا ١٨٦٠) . وفي سنة ١٩١٤ اقتصرنا على اتلاف الخطوط الحديدية في البقاع البولونية عند تقهقرنا لاعتقادنا بأن هذا العمل كاف بالنظر لطول المسافة واتساع تلك البقاع . وأما هنا فلقصر المسافة بدرجة عظيمة كان لابد من تعطيل وسائل التسهيل في الاراضي المتروكة . وكانت الحالة مساعدة في بولونيا على ترك الاهالى في أماكنهم ، أما هنا فلمقتضيات انسانية ولوسائل دفاعية شرعية اضطررنا الى أقصاء الاهالى عن أماكن القتال . وهل كنا نستطيع أن ندعهم يهلكون في الاماكن المدمرة ؟ فكل الطرق التي اتبعناها كانت من مقتضيات الحرب فقط . وفيما عدا هذه المقتضيات كان رائدنا في أعمالنا مبدأنا الانساني .

ان منزلتنا السامية تأبى علينا أن نزيد مصائب المحزونين بقسوة لامبرر لها ووسائل جافية . وأن هذه لو تبره خلقنا الكريم . ولم يك يحملنا على اتخاذ بعض وسائل الشدة سوى المحافظة على سلامة اجراءاتنا العسكرية وبالاخص مكافحة التجسس

— ٢ —

ومن رأيي أن احدى نتائج انتناتنا تحويل الهجمة الانجليزية التي كانت منوية في أواخر مارس الى الجهة الشمالية من الجبهة البريطانية . ومن الصعب التنبؤ بمكان الهجوم ، إلا أن الظواهر دلت على انه ينتظر الوثوب من جانب آراس .

قمنا في أواسط فبراير ١٩١٧ بعمل حربي موضعي في ساحة وقائع

شامبانيا التي جرت في سبتمبر ١٩١٥ بقصد تحسين مركزنا فتكلل عملنا بالتوفيق . فوجدنا بين الغنائم أمراً موجهاً الى الفرقة الثانية من المشاة بتاريخ ٢٩ يناير يعلن بوضاحة العزم على القيام بهجوم فرنسوى عظيم في جهة الأين أثناء شهر ابريل . فكان هذا خير مرشد الى عدم الاهتمام بالأنباء القائلة بقرب حدوث هجمات في اللورين وفي سوندجاو

أن مصادر الاعمال اليدوية المتوفرة لدى دول الاتفاق فلم تكن كافية لتنظيم الشؤون العسكرية في فردان فقط بل كانت كافية بالمثل لتنظيم قسم كبير من الجبهة ، فقد أكمل تاهيب عدة قطاعات وأعدادها للهجوم (بخطوط المواصلات ومخازن الذخائر) . فصار من الميسور لها اتخاذ خطة الهجوم في أقصر وقت في أية نقطة من نقط الجبهة بدون الاحتياج الى أعمال جسيمة تنبه الخصم الى مقاصدها . ولم تكشف لنا الصور الفوتوغرافية التي التقطها طيارونا من أعلى الجو مشتملة على مناظر استحكامات الاعداء واستعداداتهم سوى بيانات عادية جداً عن مقاصدهم .

وكانت الجبهة الفرنسوية الممتدة بين فايي على الأين والارجون في منتهى التنظيم والاحكام حتى أن الأعمال التمهيدية للهجوم لم تكن لازمة لها فمن خلال الهجوم الذى قمنا به في سنه ١٩١٨ أمكننا أن ندرك قيمة الاعمال التي تم اجراؤها في جنوب الشيمان دى دام ، اذ كان القيام بها على ما لاح لنا فيما بين ١٩١٥ — ١٩١٦ ، وربما كان الجيش الفرنسوى يريد الوثوب في هذا القطاع أثناء ١٩١٦ وحال دون تحقيقه هذا الغرض الهجوم الألماني على فردان .

وتحسن موقفنا في الساحة الغربية ، إلا أن ذكرى وقائع السوم وفردن كانت لا تزال مؤثرة في الأذهان . وكذلك تحسن نظام القيادة فأصبحت مجموعة

جيوش الامير الوريث روبريخت متضمنة الجيوش الرابع والسادس والأول والثاني منتشرة ما بين المانش والغرب ومجموعة ولي عهد المانيا المحتوية على الجيوش السابع والثالث والخامس تجيء من بعدها وتمتد الى الاورن غرب فردن . وتجيء آخر المجموعتين المتقدمتين مجموعة القائد القليد مارشال الدوق اليبرت الورتمبيرجي الذي نقل قيادة الجيش الرابع الى القائد سيكست فون أرنيم ورئيس أركان حربه القائد كرافت فون ديلمنسينجن . وظهر أن ترتيب هذه المجموعة أصلح مركزاً في جبهة الأزاس واللورين.

ولقد مكننا تقصير الجبهة ما بين اراس ولاون من رفع أركان حرب الجيش الأول من هذا القطاع وادماجه في مجموعة جيوش ولي عهد المانيا على جانبي ريمس بين الجيشين السابع والثالث وان هذا العمل لفي منتهى الخطارة لأن نقل أركان حرب من جهة الى أخرى مشروع جسيم ولا سيما لما يترتب عليه من التعديلات الواجب ادخالها على نظام المراحل القائم عليه الجيش . ولا يمكن احداث مثل هذا الأمر بالسرعة الضرورية من غير تعرض للخطر الشديد . وأملت أن تتوطن هيأة أركان الحرب المذكورة بمعسكرها العام في رتيل قبل اشتداد وطأة الهجوم الفرنسوي الموجهة الى مجموعة جيوش وريث التاج الالماني التي بدت طلائعها.

وبفضل هذا التراجع المطلق عليه اسم (تراجع البيريخ) تهيأت الجيوش مدة شهرين يستريحون ويتمون تعلمهم وتمونهم في خلالها ، وفي هذه المدة امكن تجهيز عدد وفير من الجنود ، الا أن عدة فرق من مجموعة جيوش الامير روبريخت كانت لا تزال تعبة . ولقد أحدثنا في تعليم الجنود نظاماً جديداً . ووضعنا التشكيلات المستجدة في قطاعات هادئة ، والتشكيلات الاخرى كانت على وشك اللحاق بها . ووصلت الى بلجيكا عـدة فرق

مسحوبة من رومانيا : واستبدلت فرقة ص . ١ . والالايات التعبة المقيمة في الجبهة الغربيــة بالايات جديدة منتعشة قادمة من الجبهة الشرقيــة على الرغم من الضعف الذى نجم عن انتزاعها في تلك الجبهة .

واستمر العمل بجد في تشييع المواقع المستحكمة : وقد توفرت الايدى العاملة على أثر الانتقال الى موقع سيجفريد فصار توزيعها خلف الجهات المهددة بالهجوم من جميع الجبهة ، وعهد اليها الاسراع في انشاء مواقع الارتداد ، وتحسنت حالة تموين جيوشنا بالذخائر الحربيــة ، وبفضل الاقتصاد في استعمال الذخائر صارت لدينا منها مقادير عظيمة مخزونة في كل مكان . وقد ضمنت لنا عهد سـلامة وطمأنينة على شرط أن لاتطول مدة الوقائع التي ستحدث في الجبهتين الى حد تستنفد المتوفر لدينا من الذخائر وأخذ برنامج هندنبورج يتحقق شيئاً فشيئاً إذ صارت الجيوش على تمام الثقة من وصول الذخائر اللازمة اليها مقدماً قبل دخولها في المعارك .

وشملت السكينة الجبهة الايطالية . وردتنا هجمات العدو في مقدونيا مكبديه خسائر جسيمة في موناستير وفي منعطفات سيرنا .

وأدى تحسن الجو في البـلاد الاسيوية العثمانية الى عودة النشاط الى الاعمال الحربية ، إذ ما كاد الانجليز ينتهون من التأهب حتى باشروا الهجوم وبفضل همة الـكولونيل فون كرتش امكن ردهم على أعقابهم في فلسطين . أما فيما بين النهرين فقد ظهر في الحال أن الجنود العثمانيين المحتشدين في الطرق في العراق غير قادرين على المقاومة . فسقطت كوت العمارة يوم ٢٥ فبراير وفي ١١ مارس احتل الانجليز بغداد ، واعتبر هذا الاحتلال خسارة كبرى لحقت بالدولة العثمانية وأدى هذا الخسران الى اخـلائها الجهات التي كانت تشغلها من الحدود الفارسية . وعلى أثر هذه الحوادث رجا أنور باشا من

المعسكر العام الأكبر الالماني أن يضع تحت تصرفه هيأة أركان حرب مجموعة من الجيوش مصحوبة بفيلق الماني كمدد للجيش العثماني لأجل استرداد بغداد . وكان لا بد لاتمام هذا المشروع الحديث من قضاء بضعة أشهر في الاستعداد له ، وذلك لأن نظام المراحل كان ضروريا قبل وصول الجنود. وأدى انتهاء نفق أمانوس وخطه الحديدي العادي في يناير ١٩١٧ وقرب افتتاح الخط الحديدي الضيق المار من نفق طوروس في الخريف المقبل واستعداده لجميع أنواع النقل الى تحسن المواصلات في آسيا الصغرى .
وبناء على ذلك أصبح مطلوب أنور قابلا للتنفيذ . ففي استطاعتنا ارسال عدد قليل من الطوابير الألمانية الى تركيا تمكن قوى عثمانية هائلة من الالتحام مع الانجليز في وقعة تضطرهم الى تكبد أعظم هزيمة أصيبت بها قواهم المحتشدة في العراق . فأجاب المعسكر العام الأكبر الالماني أنور باشا الى سؤله ولو على غير ارادته ، وتخير له القائد فون فالكنهاين ليتولى قيادة مجموعة الجيوش المهيأة للزحف . وبدأ وزير الحرب يعد الفيلق الصغير الذي سيوفده الى آسيا .

وكانت الحالة قد تحسنت في الشرق تحسنا عظيما . ففي شهر مارس هبت ثورة أشعلت ضرامها دول الاتفاق فقلبت العرش القيصري . وانتقلت السلطة الى حكومة تتغلب عليها العناصر الاشتراكية بدرجة هائلة . ولا يعلم السبب الوجيه الذي حمل دول الاتفاق على ممالأة الثورة الروسية . فهل حسبت انها ازاء حركة عامة لا يمكنها تلافيها فأرادت أن تجتذب هذه الحركة اليها ؟ أم كان المقصود التخلص من المنصر الذي جعله خوفه من الانقلابات الداخلية اجنح الى المسالمة ؟ أم في طي الخفاء بواعث أخرى لم تزل مجهولة ؟ على أن هنالك أمر مؤكد وهو أن دول الاتفاق كانت تتوقع

أن تغنم فوائد عسكرية من وراء الثورة أو على الاقل اتفاق ما لا يزال الامل معقوداً بانقاذه . ولاجل هذا لم تحجم البتة عن مباشرة العمل على تشجيع الثوار . فضحت للقيصر الذى تسبب في اشهار الحرب ارضاء لصديقاته الدول المتفقة . لقد أظهر هذا العمل مقدار القوة التي لا حد لها المتشبعة بها الارادة التي لا تحجم أمام شيء ما في سبيل التصميم على احراز النصر . ولقد كانت هذه الدول تسلك نفس هذا المسلك لو أن ستورمر في ١٩١٦ كان حقيقة من أنصار ابرام الصلح .

لقد طلعت الثورة على الروسيا بيوم باهر الاشعة ، إذ كان لا بد لحدوثها من انحلال الشعب والجيش في آن واحد . لقد كان الجيش بحت كما هو الحال لدينا قسما من الشعب ، أو بالاحرى لم يكن الجيش والشعب سوى شيء واحد . ولطالما تمنيت حدوث هذه الثورة التي تخفف عنا اعباءنا الحربية التي كانت تتمثل أمامنا في صورة مفزعة على الدوام أما الآن وقد تم ذلك الانقلاب فقد شعرت بارتفاع ذلك الضغط الشديد عن نفسى . إلا انى لم أكن أستطيع أن أحسبه سيكون قبراً لقوتنا .

وكان من المستحيل معرفة الانفجار الذى سيحدث في الشرق والى أي درجة من الشدة سيبلغ ، وعلى كل حال فقد كان لابد من توقع هجمات جديدة ، غير أن الثورة أدت لسوء حظ الدول المتفقة الى تضعضع القوى الروسية الحربية بدرجة أضعفت قوى دول الاتفاق وهونت بدرجة عظيمة اعباء مهمتنا ، فاستطاع معسكرنا العام الاكبر أن يوفر مقادير جسيمة من الجنود والذخائر كما انه استطاع أن يحدث تنقلات عديدة بين الفرق المتناثرة في سائر الميادين ، وصار من الواجب اعداد دعوة قوية تنتشر بين فئات الجيش الروسى في الحال لاشرابها روح السلم واستمالتها الى عقد

الصلح . ان الثورة الروسيه من الحوادث التي لا يمكن أى رئيس جيش أن يعتبرها بصفة مؤكدة من الامور الداخلة في دائرة حسبانه ، أما اليوم فأمثال هذه الحوادث أصبحت ازاء بصرى من جمله الامور القابلة للتحقق والتي يجب أن أجعل لها فرضاً في دائرة حسابي

لقد تحسنت حالتنا في مجموعها ، وغدوت قادراً على التطلع باطمئنان الى الجانب الغربي ، وكذلك حرب الغواصات أحدثت نتائج محمودة تخطت حد ما كانت تأمله الامارة البحرية فقلت الحمولة وتوالت الخسائر في البضائع المغرقة ولابد أن ينتجا أثرهما الفعال. وأطلقت مجلة الاقتصاد الانجليزيه في عددها الصادر في ٧ سبتمبر سنة ١٩١٨ على ربيع سنة ١٩١٧ لقب أحرج عهد مر على انجلترا منذ نشوب الحرب الكبرى وأدعى العهود الى هلاكها وقد اضطرت دول الاتفاق الى استخدام رجال وأدوات حربية في المعارك البحريه كانت تستخدمها في الحروب البرية الى هذا الحين ، وهي ظاهرة بدأت تزداد وضوحاً يوماً بعد يوم

وفي ٥ ابريل أعلنت الولايات المتحدة دخولها في حالة حرب مع المانيا وكانت الاسباب الجوهرية لهذا القرار انحلال الروسيا والنجاح الباهر الذى تكللت به حرب الغواصات ، والرغبه في زيادة الوسائل المخصصة لمكافحة هذه الحرب البحريه . وكانت الولايات المتحدة قد قطعت صلاتها السياسيه معنا منذ ٣ فبراير . فهل كان من المستطاع في المدة الكائنة ما بين هذين التاريخين الوصول الى اتفاق مرض بدون مساس المبادىء الاساسية لحرب الغواصات لا ذلك ما كنت أشك فيه . وقد حركت محاولة وزير شؤوننا الخارجية ابرام اتفاق حربي بين المانيا والمكسيك سخط الرأى العام الامريكي علينا ، فان هذا الوزير على الرغم من نصائحي اعد قانوناً

سرياً على طريقة قديمة العهد ومن السهل حل رموزها .

وبعد اشهار الحرب علينا بمدة وجيزة من قبل الولايات المتحدة هب العالم بأمره ضدنا ماعدا بعض حكومات قليلة التزمت جانب الحيدة كالشيلي والارجنتين على الرغم من شدة الضغط عليهما . وقد أعلنت دول التحالف الرباعي خلا بلغاريا انها في حالة حرب مع الولايات المتحدة ولبث سفير الولايات المتحدة مقيما في صوفيا . وعلى الرغم من تشديدي في هذا الصدد ظلت حكومتنا مصممة على رضاها عن خطة الحكومة البلغاريه . وأدى هذا الاهمال الى أوخم العواقب

ولم يدهشني انضمام الولايات المتحدة الى صف أعدائنا في هذه الحرب فقد كنت أترقب هذا الامر حتى في حالة عدم السير في حرب غواصاتنا الى النهاية القصوى ، لان فوزنا في القتال كان لابد له من الافضاء الى هذه النتيجه . ففي ربيع ١٩١٥ صرح مكاتب أمريكي قدم الى الجبهة الشرقيه بضرورة اشتباك الولايات المتحدة معنا في القتال ولم يك تصريحه هذا رأياً فردياً ، وذلك لان الولايات المتحدة لم تكن تعرف المانيا في زمن السلم وأما كانت صلات قرابتها بانجلترا هي التي تجعلها تراها وان تنضم الى جانبها في كل الحوادث التي كانت تتتابع في أوروبا وتنظر بمنظارها كل ماتحدثه مصنع الدعوة الجوابة الذي ابتدعته دول الاتفاق وما كان للاهالي المنتمين الى الارومة الالمانية في الولايات المتحدة سوى نفوذ ضئيل وما محاولة الاستفادة من هذا العامل كما فعلنا مدة من الزمن بتحريك اخواننا ضد وطنهم الجديد الا لعبة غير محكمة جاءت بأوخم العواقب . وأما موقف ايرلانديي امريكا في هذه المشكله الكبرى فلم أره واضحا الا أن الأمر الوحيد الذى لم يكن تحت شك فيه هو أن الولايات المتحدة ظلت غير قابلة

بالتحول عن الموقف الذى أجبرت تلك البلاد التعسة على الاندفاع بطريقة الضغط اليه

ولقد كان رد الرئيس ويلسن على كتاب الامبراطور المرسل فى خريف ١٩١٤ بشأن الاضطهادات البلجيكيه مستوجباً للامعان فى التفكير

على أن مصالح الولايات المتحده الاقتصادية أخذت تعدها على توالى الايام الى الاندماج فى مصاف دول الاتفاق . فكانت انجلترا قد تنازلت للولايات المتحدة عن مركزها المالى العظيم . وبما أن ديونها على شعوب الاتفاق أصبحت باهظة فان هزيمة هذه الشعوب تصير كارثة مالية على الولايات المتحدة ولم يدع المسلك الذى انتهجته الولايات المتحدة فى مسألة تموين دول الاتفاق بالذخائر أثراً للريب فى نزوعها عن مبدء الحيده . فالاعمال المناقضة لحقوق الاشخاص ، والقطاعة التى تقترفها انجلترا فى البحر لم تصبح جائزة الا برضا الولايات المتحدة عنها . ولقد صرحوا لى فى وزارة الخارجية قبل نشوب هذه الحرب ببضع سنوات فى خلال احدى الحادثات أن الولايات المتحدة لا ترضى البتة عن مثل هذه المناهج . وكنا نعتمد فى استيراد مطالبنا بمقادير غير محدودة على هولانده

وفى الواقع ان الحكومة الامريكية أحتجت على الطريقة الاستبدادية التى اتبعها الاتفاق فى الحرب البحريه . واتخذت مذكرة احتجاج الحكومة المذكورة الموجهة فى ٣٠ مارس سنة ١٩١٥ لهجة شديدة مؤكدة أن ما يطلق عليه اسم حصار (انجليزى هو انكار تام لحقوق سيادة الامم التى تعيش الآن فى ظل السلام) وانتهت هذه المذكرة بالجملة الآتيه (إن تحبيذ مسلك انجلترا ازاء أعدائها الحاليين يعتبر اتخاذ خطة مخالفة للحيدة ،

غير مطابق للواجبات التي يتحتم على حكومة الولايات المتحدة مراعاتها في الاوقات الحاضرة). فهـذا التصريح واضح ، ولكن مذكرة أخرى صدرت من الولايات المتحدة في ٥ نوفمبر سنة ١٩١٥ مؤكدة مرة أخرى ان ما يسمي بالحصر المضروب نطاقه منذ ١١ مارس من هذه السنة ينبغي وصفه بانه غير قانوني ، وغير مجد ، وبالجملة غير نظامي إلا أن انجلترا رفضت قبول هذين الاحتجاجين جهاراً فلم يكن من حكومة الولايات المتحدة إلا أن تخضع فتصبح محبذة لأعمال انجلترا . وبمقتضى اعترافها الخاص تكون قد قضت عليه تقريباً وهي متخذة تجاه المانيا خطة مناقضة للحيده .

وكان رأى السفير الكونت برونستروف في هذه الاعمال على الوجه الآتي الذى بسطه في مذكرة خاصة وجهها الى الحكومة الامريكية وشعبها . (تيمس ١٣ ابريل سنة ١٩١٥)

« إذا ما أراد الشعب الامريكي أن يلتزم الحيدة الصحيحة فليضع حداً لتصدير الاشياء المحظورة بمقادير عظيمة أو إذا كان يريد أن ينهج منهجاً حراً في تجارته فليتخذ في التصدير خطة عادلة ازاء المانيا ولو على الأقل فيما يختص بالمواد الغذائيه »

ولا توجد سوى مسافة خطوة واحدة مابين التحبيذ والانضمام . واست مورداً سوى رأيين في هذا الصدد : أحدهما ما كتبه في ٧ ابريل سنة١٩١٧ السفير الامريكي السابق بلوندره تشوات ، الذى مات من عهد قريب ، الى الكونت جراى وهو : « كان رأيي منذ بدء الحرب كما تعلمون أننا نستطيع مدة انتظار الفرصة المناسبة للعمل لمصلحة المتفقين بالتزام الحيدة وبامدادهم بمنتهى المستطاع بالاسلحة والذخائر واستطيع لحسن

الخطأ أن أقول بالمثل ببعض من الرجال، إلا أن واجبنا قائم على المساندة لاجل أنهاء الحرب بطريقة موافقة وهذا يتم بسحق العسكرية البروسية سحقاً تاماً وانتصار المدنية إذا امكننا ذلك بتداخلنا مباشرة بكل قوتنا وكل مواردنا التى لا تنضب . لقد أزفت الساعة الآن . »

وهذا ما قاله الاميرال الامريكي سيمس بلوندره فى ٣ يونيه سنة ١٩١٧ « حينما زارت العمارة البحرية الاميريكية انجلترا في ١٩١٠ القيت خطاباً موجزاً إلا أنه ربما تضمن شيئاً من السياسة . فعبرت فيه عن رأيي الذى صار اليـوم حقيقة واضحة . قلت إذ ذاك إذا ما أصبح كيان انجلترا مهدداً بخطر في يوم ما فلها أن تعتمد على سائر البواخر وسائر الدولارات وكافة الدماء التى يحتويها الجانب الآخر من الاطلانطيق . »

والحديث التالى الذي دار بين شخص ثقة وقنصل جنرال أمريكي وهو يتفق تمام الاتفاق مع التصريح السابق يعرض بوضوح تام الحالة الفكرية السائدة في الدوائر الرسمية الامريكية . فانه عند ما سئل إذا كانت مسألة الباخرة لوزيتانيا هي التي دفعت امريكا حقيقة الى الحرب أجاب : « كلا بل لم تكن هذه المسألة سوى عود الـكبريت الذى يضرم النيران في القش وقد أفاد ذلك الدعوة المروجة فائدة عظمى . لقد كنا نجد من الاسباب غير هذا الحادث ما يجيز لنا التداخل فى هذه المشكلة فلو لم نكن حلفاء الدول المتفقه لما استطعنا أن نصير بعد نشوب الحرب ما أردناه وما سنكونه بالفعل أى : الرقم ١ . »

ولـما سئل : وما هى مهمة أمريكا إذا صارت الرقم ١ ؟

أجاب : أن المانيا كانت قبل الحرب بدون أدني ريب أعظم البـلاد الاوربية نشاطاً . وكنا ننظر نحن أمريكا وانجلترا الى أية درجة من السمو

أخذت تحلق المانيا وأخذنا نشعر بأنها لابد أن تصير في مدة وجيزة أعظم دولة وانها ستملي ارادتها المطلقة لاعلى اوربا فقط بل على العالم . ولقد صار هذا الامر خطراً وأدركنا نحن (الامريكيين) مقدار هذا الخطر . فلاجل هذا السبب تداخلنا في الامر ونحن نعتقد أننا على بصيرة في عملنا . واننا على تمام الاعتقاد بان شعبنا سيحرز السيادة بعد الحرب . فنحن لن نسير المانيا فقط بل اوربا باسرها . فالامم تنتظر منا أعمالا كثيرة وفي مقدمتها الصلح . وسيدركونه ولكن طبقاً لشروطنا وبالثمن الذي سنقرره .

— وهل ستملي أمريكا ارادتها على حلفائها

— أجل ستفعل ذلك الا انهم سيفوزون بشروط أرجح من شروط البلاد الاخرى (الدول اوسطى) وسيحصلون (الحلفاء) بالمثل كما سنحصل (أمريكا) على خير الشروط . فلا يوجد سوى شيء واحد لم تكن الحرب شيء آخر سواه."

ومن جهة ما يخص مركز أمريكا بعد الحرب فقد كان ذلك القنصل الجنرال يسبح في لجة من الوهم ، لان حدوث الثورة في المانيا جردها من قوتها واكسب انجلترا التفوق على العالم . ولم تظفر أمريكا بالفصل في الشؤون الاوربية .

وكيفما كان الامر فان الحرب لم تكن في مصلحة المانيا وقد حملت على خوض غمارها لم نتأخر حرصاً على مستقبلنا الاقتصادي وعلى حريتنا ، فصارت الحرب بالنسبة لنا مسألة حياة أو موت

وأني أدع جانباً مسألة البحث في مقدار ما تتفق الآراء التي أوردتها مع آراء الرئيس ويلسون وقسم عظيم من أهالي الولايات المتحدة . وعلى

كل حال كانت هذه الاراء شديدة في الانتشار . وأظهر دليـل على ذلك أن أمريكا قد تتخذ حرب غواصاتنا ذريعة لاشهارها الحرب علينا في أحرج الاوقات على دول الاتفاق . وهل لو لم تكن حرب الغواصات كانت الولايات المتحدة تلجأ الى اصدار ذلك القرار المبكر لتحول دون انتصارنا في ١٩١٨؟ واذا لم تكن حرب الغواصات قد حـدثت كيف كان يصير موقفنا في الحرب البرية حين آذنتنا أمريكا بالحرب ؟ هذا مالا يمكن الخوض فيه بيقين .

وفي الواقع لانه لم يكن في الاستطاعة يوم ٩ فبراير سنة ١٩١٧ توقع انهيار أركان الروسيا بل لم يحسب أحد لهذا الحادث المفاجئ حسابا فكل ما كنا ننتظره أن تساعدنا حرب الغواصات على انهاء الحرب في مصلحتنا على أبعد تقدير قبل دخول التشكيلات الحربيـة الامريكية الجديدة في ميدان القتال . ولولا حرب الغواصات لتداعت جوانب التحالف الرباعي في ١٩١٧

وقد جرى تاريخ هذه الأحوال في مجرى آخر مخالف لما كان منتظر له : فالجبهة الغربيـة بقيت سالمة ولم تؤد حرب الغواصات الى الفصل في الأمر ، الا أن الروسيا تهاوت قوائمها . وصار مركزنا في الجبهـة الشرقية معلقاً بين الصلح والحرب . وحينئذ عرض احتمال لم يكن يدور في خلد أحد قبل خريف ١٩١٧ وهو : محاولة البت في هذه الحرب براً في سنة ١٩١٨ بهجوم لابد له من التكلل بالفوز المبين ، اذا توصلت الحرب البحرية الى خفض حمولة الاعداء بدرجة مناسبة تكون سبباً في بطء نقل التشكيلات الامريكية الحديثة ، أو اذا تمكنت فقط من اغراق النقالات العادية ما بين آونة وأخرى . وكان هـذا هو المنتظر حسب ما ارتأته إمارة البحر .

- ٣ —

وأخذ المعسكر العام الاكبر يترقب هجوم الدول المتفقة العظيم في منتصف ابريل على جبهاتنا في فرنسا والايسونزو ومقدونيا . وطفقت اذهب من كروزناخ التي انتقلنا اليها في آخر فبراير تباعاً الى الجبهة الغربية وعلقت اباحث قواد مجموعات الجيوش وقواد الجيوش وقواد الفيالق بالمثل عن حالات القطاعات المهددة بالخطر أكثر من سواها .

وأمدت مجموعتا جيوش الامير الوريشت وبرخت وولي عهد المانيا بالفرق والمدفعيات والذخائر ، وكذلك أرسل اليهم كل مايتطلبه الدفاع المؤدى الى الانتصار . وبذلت كل مافي وسعي لاجابة سائر المطالب

وأراد الجيش السادس أن يعدل جبهته بوثبة محلية على مقربة من سوشيز مابين لانس وأراس . وتأهب للقيام بها في أوائل ابريل . واعتقدت في ٤ ابريل بقرب وثوب الانجليز بقوة عظيمة فيما حول أراس . وعلى ذلك صار العدول عن حركة سوشيز . ورجوت من مجموعة الجيوش الناهضة في هذا القسم من الجبهة أن يسوق قواه الاحتياطية الى المعترك من خلال الجيش السادس . وكانت آخر هجمة في ساحة فردن التي استمرت من اكتوبر الى ديسمبر قد علمتنا هذه الحقيقة العتيقة وهي ان مقام القوى الاحتياطيه يجب أن يكون على مقربة من الهيجاء . والخلاصة ان المعركة الدفاعية تتطلب وجود فرق منجدة في عدة نقط من الجبهات التي يهاجمها العدو وفي استدارة الموجة الثانية من الهجوم لصد تغلغل العدو في الخطوط المتقدمة وطرحه الى ماوراء الجبهة

وقد تقدمت فرق الموجتين الثانية والثالثة بالفعل من خلال الجيش

السادس الا انها لم تصل حتى يوم ٨ الى الاماكن المخصصة لها . وفي يوم ٩ بعد تمهيد قصير بالمدافع الا انه بالغ من الشدة مبلغاً فوق الوصف حدث هجوم قوى مسبوق بعربات التانكس وأصاب الجيش على ضفتي مجرى السكارب . فتراجعت بعض فرقنا القائمة على الخط الاول . وباشتباك الفرق المجاورة في الدفاع أصيبت بخسائر فادحة . فنجح العدو اثناء الساعات الاولى من النهار في دخول موقع مدفعيتنا ، وفي الاستيلاء على الهضاب المتحكمة في البقاع المنبسطة الى أمد بعيد في اتجاه الشرق . ولم تكن فرق الانجاد قد وصلت الى المعترك لتلقي العدو خارج خطوطنا . ولم يتيسر سوى احضار قسم منها بالمركبات . فأصبح الموقف في منتهى الحرج ويوشك أن يصير في نهاية الخطر على مجموع هذه الجبهة في حالة استمرار العدو على موالاة عمله . إلا أن الانجليز اكتفوا بما أوتوه من النجح العظيم أو على الاقل لم يتابعوا هجومهم في بقية يوم ٩ ابريل

وكنت أحتفل في هذا اليوم بعيد مولدي في كروزناخ . فنظرت الى حدوث هذا الوثوب بعيني الثقة والطمأنينة ، أما الآن فقد استغرقني الهم الشديد . فهل هذه هي النتيجة المرتقبة لكل ماكابدناه من الأوصاب والآلام في الاشهر الستة الأخيرة ؟ وهل غدت قواعد المعركة الدفاعية فاسده ؟ فاذا كانت غير صالحة للتطبيق فبماذا نستعيض عنها ؟ انى لا أزال غير قادر على درس تفاصيل المعركة

فاستدعيت ضباطاً حضروا المعركة في الخط الأول ، وباستماع أقوالهم شعرت وأيدت شعورى محادثات تليفونية اخرى بأن القواعد التى قررها المعسكر العام الاكبر لاغبار عليها ولكن تطبيقها تماماً كان يقتضي مراعاة

القيادة في هذا الفن ، فقد حدث ان فرقة كانت ظافرة في القتال لم تلبث أن تخلت عن مكانها .

إن معركة اراس التي نشبت في ٩ ابريل كانت فاتحة سوء للوقائع الفاصلة المنتظر حدوثها في هذا الحول

وكان يوم ١٠ والايام التالية محفوفة بالمكاره . اذ لم يتيسر سد الفتحة التي اثغرت في امتداد يتراوح مابين١٢ و١٥ كيلو متراً وتغلغل يصل الى أكثر من ٦ كيلو مترات الا بمجهود شديدة . وتقاضي هذا العمل نفقات باهظة تنضم الى الخسائر الفادحة من الرجال والمدافع والذخائر التي أدى اليها تغلغل العدو بمثل هذه الدرجة. فصار من واجب المعسكر العام الاكبر توجيه العناية الى القوى الاحتياطية . غير ان الحالة العسكرية والجنود الذين تحت تصرفنا لايسمحان لنا بايجاد فرقة مرتاحة خلف كل فرقة منهوكة القوى لتشغل مكانها في ساعة الحرج . فضحوة نهار كصبيحة ٩ ابريل تفسد سائر التدابير المتخذة من قبل . ولا بد من انقضاء أيام قبل انشاء جبهة جديدة وتقويتها . وهل لدينا الجنود الكافية للقيام بهذه الاعمال الهامة ؟ وعلى كل حال فان نهاية هـذه الازمة تتوقف كسائر الازمات الحربية التي تماثلها ، على ماسيفعله العدو : فهل سيواصل الهجوم بعد فوزه الاول ويجعل من الصعب علينا بظفره الجديد تكوين جبهة حديثة ؟ ان الضعف الذي حل بنا من هجومه الاول يسهل عليه بمقدار عظيم النجاح في الهجوم الآخر .

وطفق الانجليز ابتداء من ١٠ ابريل يثبون على الثلمة التي أحدثوها في جبهتنا بقوى عظيمة إلا أن شدة هجومهم على هذه الثلمة بدأت تخف وأخذوا يهاجمون جانبيها موسعين دائرة الهجوم ولا سيما في الجنوب حيث

عادوا في وثوبهم الى بولكور . وافتتحوا يوم ١١ مونشى بينما كنا نحن نخلى من تلقاء أنفسنا في ليلة ١٢ تلاع فيمي . وحدثت بالمثل في أيام ٢٣ و٢٨ ابريل و٣ مايو وقائع كبيرة ،وفي خلال هذه المدد لم ينقطع الكفاح بل ظل شديداً . ومع استمرار الوقائع فقد قمنا بعدة كرات ناجحة . إلا أننا خسرنا بالمثل في أماكن متفرقة أجزاء من الاراضى

وعمد قائد الجيش السادس الكولونيل جنرال فالكنهاوزن الذى الحق به الكولونيل فون لسبيرج كرئيس لاركان حربه الى اعداد وسائل الدفاع القوي على الخط الجديد بمساعدة مجموعة الجيوش التي ينتمي اليها وبمعونة المعسكر العام الاكبر . فلم تعد ثمت حاجة بتاتاً الى تراجع الجيش السادس دفعة أخرى كما رؤي ذلك في بعض الاوقات ليستقر في موقع ووتان الذى لم يكن قدتم انشاؤه

وقد بلغت معركة أراس أشدها في منتصف ابريل الاخير فبدأت تستدعى جنوداً احتياطية وأدوات حربية بمقادير جسيمة ، وإذا بالفرنسويين يشرعون يوم ١٦ ابريل في هجوم ذا شدة هائلة على الاين وفي شمبانيا .

وقد ظل الغرض الذى حدث لاجله الهجوم الانجليزى غامضاً على والذى أراه انهم على الرغم من ضيق الجبهة المهاجمة أرادوا أن يحدثوا ثغرة عظيمة فيها لا أن يقتصروا على الالتحام في معركة من الطراز الذي تقضى به الضرورة ، وربما كان الجيش الانجليزى الذى لم تنته معركته التي انشبها على السوم أراد القيام بوثبة ثانوية بينما يكون الجيش الفرنسوى جاداً في ادراك الظفر الحاسم .

لقد كان القائد نيفيل يرمى الى غرض حربي عظيم وهو التوصل في الايام الاولى من هجومه الى اختراق الجبهة الالمانيــة الممتدة ما بين فايه

وريمس . وتجيء على الأثر هجمة أخرى منتشرة من شرق ريمس الى سوين موسعة ذلك الاختراق ومزغرعة جبهتنا على امتداد ٧٠ كيلومتراً تقريباً . وقد جعل مركز الفصل في الامر مواجهاً لمجموعة جيوش وريث التاج الالماني .

وكان لابد للضغط الممتد من أراس في اتجاه الشرق حتى يصل الى دواي والثغرة المكتنفة ريمس من ريتيل الى مزيير من ان يحدقا بموقع سيجفريد الذي رسم طيارون عديدون معالم استحكامه فالاتفاق يريد اذن أن يزغرع جميع جبهتنا في امتدادها الى البحر .

وكانت مجموعة جيوش وريث المانيا باشتراكها مع الجيشين السابع والثالث قد اتمت وسائل التحصين بهمة فوق العادة ، وأظهر ولي عهد المانيا ورئيس أركان حربه الكولونيل الكونت شولنبورج نشاطاً لا يعرف الكلل . وكان رئيس الجيش السابع القائد فون بوهن أحد أفراد القواد المشهورين في الجيش الالماني وهو ضابط من الطراز البروسي العتيق ومن خير من يهذبون الاجناد ويملكون قيادهم في أحرج ساعات الجلاد وشجاعته لا يداخلها أدنى فتور . ورئيس أركان حربه الكولونيل رانهاردت وهو رجل حازم يكمل بشغله الدقيق عمل رئيس جيشه . ورئيس الجيش الثالث القائد فون آينم كان قد تولى وزارة الحرب . وهو ضابط ذو أفكار سامية ونظرات بعيدة الترامي عالم بدقائق الجيش وحالة الجنود النفيسة ورئيس أركان حربه الكولونيل ثم فيما بعد القائد فون أولدرسهاوزن ذو نشاط لا يتغلب عليه التعب وذو قدورة عظيمة على العمل . وبعد امد قصير تقدم الجيش الثالث الى المعترك . وفي النصف الاول من ابريل لحق الجيش الاول تحت إمرة قائده فريتز فون بيلوف بالجيش السابق . والحق

بهذا القائد الليتنان كولونيل فون كولبير . وهذا الضابط اكتسب من معركة السوم خبرة عظيمة ، وهو كقائد ذو اختصاص متفوق في الخطط الحربية ، وقد قتله أخيراً في هال السبارتكيسيون أثناء تأديته أعماله .

ولم يشأ الجنود في بادئ الامر أن يعتقدوا بانهم يتقدمون للهجوم ، اذ لم يروا أقل أثر للتأهب والتمهيد . ثم أخذوا يشعرون بالتدريج انهم تقدمون على وقائع حاميه .

وبعد تمهيد بالمدفعية دام بضعة أيام هجم الفرنسويون يوم ١٦ ابريل صباحاً فيما بين فايي وحصن بريمون في الشمال الغربي من ريمس . ودخلوا عدة أماكن من جبهتنا في الشمان دى دام وحملونا على استرجاع جنودنا بخسائر كبيرة من بارزة فايي الى خط ربى الشمان دى دام . وبقي جنودنا في جانب بعيد من الجهة الشرقية متشبثين بالهضبة التى تنحدر باندفاع الى وادى الايليت وتقدم الفرنسويون فيما بين الدون ايفير والاين بعربات التانكس الى جيفنكور ، الا أن فرق التعضيد وقفت تقدمهم . وعلى أثر ذلك احتفظ الجنود المدافعون في شرق الاين بمراكزهم . الا أن العدو أفلح في الانتشار فيما يلي حصن بريمون ، ثم أسرعت اليه أحدى فرق الانجاد وردته على الاعقاب وأعادت الحالة الى ما كانت عليه . وجدد الهجوم في يومي ١٧ و١٨ ابريل بدون أن يحرز أى نجاح . وفي خلال هذه الحركات كان الهجوم قد بدأ بالمثل في ساحة شامبانيا على قمة مورونفيير فتراجعت فرقة وخسرنا هذه القمة . وعند ما حاول الفرنسويون الانحدار اصطلوا نيران جنودنا واضطروا الى ملازمة أماكنهم في العراء . ولم تتقدم جنودنا المعدة للنجدة ولهذا اخفقنا في محاولة أسترداد القمة يوم ١٩ . والى

هنا الحد انتهت حدة معركة ابريل . وقد حاربت فيها الجنود الفرنسوية في جموع كثيفة فنيت بخسائر فوق العادة

وحاول القائد نيفيل في أول مايو أن يحرز انتصاراً آخر في الاين كالذي أحرزه في شمبانيا فكان نصيبه الاخفاق في هذه المرة مع تحمل جنوده خسائر في منتهى الفداحة

وفي يوم ٧ استعرت نيران القتال على طول امتداد الجبهة الا أنها لم تلبث ان خمدت ولم يبق لها أثر في الاين . وكذلك انتهى أثر هجوم شمبانيا يوم ٩ ولكنه عاد هنا يوم ٢٠ بشدة متناهية

وقد رد الهجوم الفرنسوي بخسائر هائلة جداً وعلى الرغم من احتفال فرنسا به كنصر أحرزته فان الرأي العام فيها كان مثقلا بالهموم . واضطر وزير حربية فرنسا الى الاعتراف في يوليه بأن الهجوم ختم بالاخفاق وبخسائر وصلت من الفداحة الى حد لايطاق حتى ان الجنود فقدوا الروح الأدبي وحدث اضطراب عظيم لم نشعر به الا بعد وقت طويل . وعلى أثر ذلك استبدل القائد نيفيل بالقائد بتان وكلاهما اشتهر في فردان . وهذا النصر الذي أحرزناه بحسن دفاعنا وبثبات مجموعة وريث المانيا تحولت الى هزيمة فرنسويه . ودل هذا على ان جنودنا أتم تدريباً

وقد جعلنا سكوت الجبهة الروسية مدة الربيع في مأمن من اجتياز أزمة كالتي اجتزناها في سبتمبر ١٩١٦ . ولو هاجمنا الروسيون في ربيع ١٩١٧ وأحرزوا أقل نجاح لصرنا في منتهى الحرج . فالثورة الروسية هي التي انقذتنا

وابتدأ الهجوم الروسي في يوليه أي متأخراً شهرين أو ثلاثة اشهر عن الهجوم الفرنسوي الانجليزي فلم يعد عمل الدول المتفقة متحداً كما كان في خريف ١٩١٦ وهذا ما أطلق يدنا في العمل في الميدانين .

وحدثت في الميدان الايطالي وقائع حادة في مايو فانتهت معركة الايسنزو العاشرة بلا فائدة لايطاليا وحدث هجوم شديد في ميدان مقدونيا أمام الخطوط البلغارية . وكان لحرب الغواصات تأثيراً حسناً في شهري ابريل ومايو تخففه عن جبهتنا الغربية

— ٤ —

على أثر اختفاء الروسيا من ميادين القتال واخفاق فرنسا وانجلترا في وثباتهما السالفة عزمت هتان الدولتان على القيام بعمل حاسم تحوزان به النصر المبين في سنة ١٩١٧ وعولتا على اتخاذ الوسائل التي تكفل لهما الفوز النهائي في سنة ١٩١٨ اذا لم تنجحا في هجوم سنة ١٩١٧ ولاجل هذا الغرض جعلنا النقطة الوسطى لهجومهما الايبر لتستوليا على قاعدة غواصاتنا في الفلاندر وأرادتا أن تؤمنا النقالات التي تحمل التشكيلات الامريكية الجديدة من حرب الغواصات

وفي أوائل يونيه لوحظ ازدياد النشاط أمام بارزة ويتشاتيت التي تحتلها جنودنا في جنوب الايبر . ولقد كنا نريد التخلي عن هذه البارزة والتوطن على الدفاع في وتر قوسها لولا أن الجيش رأى انه قادر على حمايتها ، وكان في استطاعته أن يحميها لو لم يستعمل الانجليز حرب الالغام الارضية بدرجة عظيمة مكنتهم من شق طريق للهجوم فهجموا بعد ذلك بجموع كثيفة من المشاة بعد تمهيد هائل بالمدفعية : وبفضل انفجار الالغام افلح العدو يوم ٧ يونيه في دخول خطوطنا . ولقد كانت هذه البارزة في السنوات السالفة مجالا لحرب الالغام بين الطرفين ثم انقطع هذا النوع من القتال مدة طويلة ولهذا جاء تجدده مفاجأة لان مراكز الاصغاء لم تكن تشعر بهذا

العمل عنايتها بعد انقطاعه لحدوث الانفجار فجأة في هذه المعركة أحدث تأثيراً شديداً في حالة الجنود الادبية واضطارهم الى التنحي عن خطوطهم أمام هجمات الاعداء ولاسيما بعد ان اصلت مدفعية العدو جميع القوس ناراً حامية لتمنع وصول القوى الاحتياطية . على أن الانجليز لم يتمادوا في هجومهم إذ كان غرضهم الاساسي تعديل مركزهم .

وقد ابتدأت المعركة بهجوم شديد في ساحة أراس . وكذلك هجم الانجليز في لا باسيه ولانس . وماكانت هذه الوقائع الاتعمية لنا عن الغرض الحقيقي في الايبر .

وأدت معركة الاين وشمبانيا الى صيرورة جنودنا في خطوط رديئة فاراد الجنود ووافقهم المعسكر العام الاكبر أن يستولوا على خطوط امتن فانشبوا وقائع عديدة متتابعة أدت الى حصولهم على خطوط حسنة جداً . وعلى أثر ذلك تحسنت حالة الجنود الادبية . وكنا كلما قمنا بهجمات محلية من هذا القبيل تؤدي الى اكتساح بعض الاراضي نتوقع كرات على أثرها من العدو فنحسب حساب الذخائر اللازمة لصدها .

ونجح العدو أمام فردان في انتزاع أهم المراكز التي اكتسبها من أيدينا فسررت بانتهاء هذه المعركة لاني لم أكن موافقاً على المعارك المشتملة على وقائع منتشرة في سائر الانحاء لان فوائدها لا تعادل خسائرها

وكان الانجليز يحتلون منذ عام ١٩١٤ أمام الجيش الرابع رأس جسر ضيق على مجرى الايزر في الضفة الشرقية فأصدرنا الامر الى هذا الجيش بالاستيلاء على رأس هذا الجسر فقام بهجمة قوية مقرونة بالنجاح ولم يتمكن العدو من الكر لان النهير صار حائلا قوياً .

وساد السكون سائرا الميدان الغربي فيما عدا ملتويات ويتشائيت فتمكنا من اراحة جنودنا وأعدادهم لكل مفاجأة فما ظهر الهجوم الروسى الجديد في شكله الحرج إلا ونحن على استعداد لدرئه

— ٥ —

على الرغم من أن الثورة الروسية قد اضعفت الروح الحربي في الجيش الرومى فان وزراء الحكومة الروسية الجديدة لم يزالوا مختلفين في هذه النقطة فوزير الخارجية ميليكوف طلب استمرار الكفاح وتغيير مصور اوربا الجغرافي على حساب دول التحالف الرباعى وذهب بعض الوزراء الآخرين الى استصواب الصلح بلا ضم ولا غرامة وأن تكون السلطة في أيدى سائر الشعوب ولكنهم جميعاً أرادوا محالفة دول الاتفاق وأخذوا يقاومون كل تيار سلمى في البلاد فلم يبق لنا أمل في العدول عن الاعتقاد بانهم يريدون محونا

وكان الجنود الروسيون يحاسنوننا في بعض نقط من الجبهة فنعاملهم بالمثل والبعض الآخر يشعل نيران القتال بشدة فلا نجيبهم .

ولم تكن الحالة في الميدان الشرقى أثناء شهرى ابريل ومايو داعية الى اتخاذ أى تحوط . ومن جهة أخرى كانت حكومتنا ترى أن كل هجمة تؤدى الى تأجيل انحلال الروسيا . وفي أوائل ابريل بينما كان الاخاء سائداً بين جنود المعسكرين رأى القائد لنسنجن أن ينتزع رأس جسر في الشمال الشرقى من كوفل بقى في قبضة العدو منذ المعارك التي حدثت سنة ١٩١٦ على مجري الستوخود . والوقعة في حد نفسها لا شأن لها إلا أن عدد الاسرى بلغ من الكثرة حداً استوجب دهشتى . فرجانى المستشار ان لا

أجعل لهذه الوقعة صدى يتردد فيوافقنه على غير ارادتي ومنع المعسكر العام الاكبر على أثر ذلك كل هجوم جديد في الميدان الشرقي .

وأخذ كيرينسكي في شهر مايو يعد أول خططه ورأينا الجيش الروسي يكبر ويتقوى . ولم تدخر انجلترا وفرنسا وأمريكا جهداً للوصول الى هذا الغرض ودارت بيننا في المعسكر العام الاكبر مناقشات متوالية في هذا الصدد . فكان الرأي السائد هو الاسراع في مهاجمة الجيش الروسي المتفكك وهو في حالة ضعفه الحالي قبل أن يعاد نظمه وبث الروح الحربي فيه . الا انني لم أشأ أن أنضم الى هذا الرأي مخافة أن أعكر صفاء الميل السلمي المنتشر في الدوائر السياسية ولاني لا أحب أن يكون الجيش آلة سوء بل آلة خير وسلام . ومع ذلك فان هجوم الروسيين أول يوليه في غاليسيا جعلني أفكر كثيراً فيما جنحت من قبل اليه . واذ لم تكن القيادة العليا قد تقيدت بما يمنعها من العمل فلم يوجد امامها مايمنعها من الاتجاه الى حريتها التامة في العمل

وهجم الروسيون على طول الجبهة الروسية من ريغا الى نهاية الكاربات وجعلوا مركز حركاتهم في الجنوب ولقد أنبأ بعض الهاربين من الجيش الروسي في أواخر ابريل قيادة الشرق بالخطط المرسومة فاتخذت هذه القيادة الاحتياطات اللازمة للقيام بالكر ، وأرسل المعسكر العام الاكبر ست فرق من الجبهة الغربية . وحدث هذا الهجوم في غاليسيا الشرقية بالاعتماد على الاسراف في الذخائر وجموع عظيمة من الجنود فاصاب نجاحاً ازاء النمسويين وأصيب بالفشل امام الالمانيين والعثمانيين . وفي أول يوليه دخلت جماهير كبيرة من الجنود الروسيين الجبهة النمسوية فسلمت الجنود النمسوية انفسها أفواجاً الى الروسيين . فأرسل قائد الشرق العام إمداداً

عظيمة في ٢ يوليه لوقف الصدمة . أما الهجمات الروسية الاخرى فتلاشت
وابتدأ الهجوم على جيش الجنوب يوم ٤ يوليه ودام بشدة متناهية عدة
أيام ثم انتهت بنجاح دفاعى باهر أحرزه جيش القائد بوءمر الذى كانت
جنوده كلها المانية تقريباً . وتكلل هجوم الروسيين في ٦ و٧ يوليه على
الجيش النمسوى الثالث الكائن في جنوب الدنيستر بالنجاح الباهر .
فتخلى النمسويون عن مراكزهم واقبلت فرقة المانية واصلة حديثا الى هذه
الجبهة لتصد الروسيين الا أن انهزام النمسويين اجتذبها معه ووصل الروسيون
في تقدمهم الى لومنيتسا واحتلوا كالوش . فخرج مركز القيادة الشرقية
العامة . فلم يسعها الا أن تجمع احتياطيها لتقوم بالكرة التي تنويها على
زبوروف والسيريت في اتجاه تارنوبول . وقبل أن تشرع في هذا الهجوم
أمدت الجيش الثالث النمسوى بقوة كبيرة . وعلى الرغم من الهجمات الحادثة
فى الشمال بدأت بهجومها في شمال زبوروف بشجاعة متناهية . واسعف
الحظ فى كالوش . وكان الجيش الروسى قد فقد روح شجاعته الهجومية
ولم يقدم على عبور اللومنيتسا فاستطاعت الجنود الالمانية التي بلغت هذا
المكان أن تحتفظ بالحالة الراهنة فيه بل لقد تمكنت من الاستيلاء على
اراض يوم ١٥ يوليه . وحينئذ زالت الازمة

وكان الروسيون قد دخلوا استحكاماتنا فى بعض الجهات يوم ٢١
يوليه . الا اننا أخرجناهم بعد قليل وفى الحقيقة أن الروسيين لم يعودوا
اليوم كما كانوا من قبل

وفى خلال هذه المدة كانت جنود الكرة المنوية قد احتشدوا عند زبورف
والسيريت ولكن هجومهم تأخر لسوء الحظ بسبب رداءة الجو الى يوم ١٩ يوليه
وهو الذي خصص لبحث الرايخستاج فى قرار الصلح . وكان نجاح الهجوم

باهراً اذ تقدم الجنود في اتساع ٤ كيلو مترات و١٥ كيلو مترا طولا . فأدى هذا الى تحسن الحالة الأدبية في سائر الجيش الشرقى . فقيل في الرايخستاج ان هذا الانتصار مقصود به التاثير في الرأى العام . واستمر الهجوم على تارنوبول في اليوم التالى فسقطت في أيدي الالمانيين يوم ٢٥ . وبدأ الروسيون يخلون جبهتهم الممتدة في جنوب سكة حديد زبوروف تارنوبول . ثم تحولت الكرة العسكرية الفنية الى مشروع هجومي من الطراز الكبير . وحينئذ أخذ تحلل الجيش الروسى يتمشى بازدياد جهة الجنوب . وشرع الجيشان الثالث والرابع النمسويان اللذان امتزجا بعناصر المانية قوية في العمل . فتحركت الجبهة باسرها الى بيكوفينا وأخذ الجيش الروسى يتقهقر بغير نظام، لأن الثورة كانت قد حلت روابطه تماماً . وبلغنا يومي ٢ و ٣ أغسطس بعد وقائع متتابعة مجرى الزبرخ واستولينا على كزرنو فيتس وكيمبولونج والى هنا انتهى استغلال الكرة التي ابتدأت يوم ١٩ يوليه . ولم نستطع التقدم الى ما وراء هذه النقطة لاننا كنا تقدمنا كثيراً والمواصلات في منتهى الصعوبة فلا بد من الانتظار عدة أسابيع الى أن يتم اعادة السكة الحديدية التي اتلفت بشدة عظيمة .

وفي خلال هذا الهجوم العظيم كانت وقائع أخرى تحدث في أنحاء شتي من الميدان الشرقى ومع أن الروسيين والرومانيين بذلوا فيها جهوداً عظيمة وكانوا يستولون أحيانا على بعض استحكاماتنا إلا أن كراتنا كانت تختم دائماً باسترداد ما فقدناه واكتساح أراض جديدة .

وفيما كنا نفكر في ارسال حملة تطارد الجيش الروماني إذا بالجيشين الروسى والروماني يناوئاننا الهجوم ، فشرع حينئذ القائد ما كنزن بالزحف في اتجاه الشمال على الشاطىء الغربي من مجري السيريت وكذلك زحف

القسم الجنوبي من مجموعة الارشيدوق يوسف في اتجاه أو ترنا بالذهاب مع ملتوى أو يتوز . وابتدأت المعارك في أواخر النصف الاول من أغسطس واستمرت بقيـة النصف الآخر من هذا الشهر وانتهت بفوز الجيشين المذكورين فوزاً محلياً مؤديا الى طرد الاعداء من الاراضى التي كانوا قد اكتسبوها فى ٣١ يوليه .

وكان الجيش الروماني معضداً فى هذه الجبهة بالفرنسويين تعضيداً جعل التغلب عليه مستحيلا إذا لم يجر الهجوم الذى بدئ فى بيكوفينا فى مجراه الاول . وهذا الامر كان غير ممكن فى الوقت الحاضر . فصاروقف هجوم الجيشين اللذين يراسهما ماكنزن والارشيـدوق يوسف . ولبث الرومانيـون يوالون هجماتهم بدون أدني جـدوى . ثم زالت حدة الهجوم بالتدريج

***

لقد انتهى الهجوم العظيم الذى أرادت دول الاتفاق سحقنا به فى مفتتح صيف ١٩١٧ وكانت الثورة الروسية أعظم حائل دون قيام هذه الدول بعمل مشترك فى آن واحد . وقد خرجنا من الميدان الروسى بربح عظيم وظهر انحلال الروسيا جهاراً للعالمين.

ومرت ستة أشهر على اشهار حرب الغواصات فكان تأثيرها من الوجهة الرقمية أعظم مما كنا نقدره لها إلا أنها لم تصل في النهاية الى النتائج المرجوة منها . ومع ذلك فقد لبثت انتظر تحقيق الأمل إلا انى كنت أفكر فيما اذا كان من الممكن الاستمرار على تشييد الغواصات التي تتطلبها امارة البحر ،ولتحقيق غرضها كان لابد للمعسكر العام الاكبر أن يستغني عن عدد كبير جداً من الجنود الاختصاصيين ببناء هذه الغواصات لتنتقل الى العمل

في دور الصناعات البحرية وهذا أمر يدعو الى حدوث فراغ فى بعض أماكن القتال . فلا بد اذن من أحد امرين : العدول عن حرب الغواصات أوالعدول عن برنامج هندنبورج

— ٦ —

لقدأفلحنا حتى الآن فى احراز النجاح فى كل أعمالنا الحربية وساعدنا على احراز مركزنا الأخير تداعى أركان الروسيا . إلا أن الدعوة الصادرة من جانب الاعداء والتراخي الذى تراءي من جانب المستشارين جعلا البلاد تتمشي في دور لم يكن معهوداً فيها من قبل إذ أخذت قوة الرغبةفى استمرار الحرب تضعف فى نفوس أهالى الدول المتحالفة بشكل يجعل النجاح الذى أدركته الجيوش المتحالفة عرضة لأشد الاخطار . فالغرض الذي تصبو اليه دول الاتفاق أصبح وشيك التحقق وهذايدعو طبعاً الى استحالة حدوث الصلح والى ابتعاد نهاية الحرب . أما السبب فى هذا كله فهو أن المستشارين فون بيتمان والكونت كزرنين كانا تحت تأثير الثورة الروسية ومتخوفين من طروء أعراضها على امبراطوريتهما. فلاتقاء أعراضها كانا يفكران فى ابرام الصلح الذى لسوء الحظ كان ابرامه لا يزال بعيداً . على أن واجبهما كان يقضى عليهما أن يشعلا الحماسة فى نفوس الشعبين ليبذلا اقصى جهودهما لانهاء الحرب التى طال امدها فيقتديان بالقيادة العليا التي بذلت اقصي جهدها في رفع مستوى الجنود الأدبي الى حد مكنها من مكافحة أعداء اشداء صلاب الاعواد . غير أن سياستهما لم تكن تتجه الا الى منح شعبيهما حقوقاً دستورية جديدة . ولم تتجه عزيمتاهما لقيادة الشعبين ومواجهة الدول المعادية وذلك لأنهما لم يكونا الرجلين

اللازمين لمثل هذا الوقت العصيب . على أن الكونت كزرنن كان أخف تبعة من زميله لأنه ازاء كفاح دائم مع المشاكل الداخليـة المتعددة التي لا تعرف لها نهاية . أما الفون بيتمان فكان واجبه يدعوه الى انهاض الشعب وافهامه حقيقة الغرض من موالاة الحرب الى أن يتمكن من عقد صلح شريف كما كان الحال كذلك في مبـدأ الحرب ودحض مفتريات الاعداء وفضح دعوتهم المؤذية . ولا نقول أن هذه الاقوال تزيل الغشاوة عن جميع العقول ، فهنا لك اناس لا يريدون أن يفقهوا الحقائق وان يتنحوا عن اعتقاداتهم الباطلة . وهل يمكن الارتياب في سوء مقاصد الأعداء نحونا بعد ردهم على اقتراح السلم الذي قدمناه في ١٢ ديسمبر ومذكرة ويلسن المقدمة في ١٨ ديسمبر ؟ أن تخلينا عن حرب الغواصات وتراجعنا عن موقع سيجفريد افهم كل انسان بطريقة واضحة حقيقة مركزنا كما كانت تفهمها القيادة العليا . فلم يكن في الاستطاعة انقاذنا من مثل هذا الموقف الحرج الا بوقوف الحكومة موقف الشجاعة والعزم .

وفي أوائل ابريل سنة ١٩١٧ زار الامبراطور شارل امبراطورنا في هومبورج . وكان الكونت كزرنين يصحب امبراطور النمسا وكذلك القائد فون آرز . ودعانا امبراطورنا المستشار بيتمان والفيلد مارشال هندنبورج وأنا الى موافاته في ذلك الثغر

وكان الفون بيتمان قد التقى بالكونت كزرنين من قبل في ٢٧ مارس ووضعا اتفاقا مثبتا في (مستند فينا) في نفس ذلك اليوم . وهو يتضمن أقصى الشروط التي يقبل الصلح بموجبها وهي تقتضي عودة الحالة الى ما كانت عليه وبرنامج يرجع اليه في حالة تكلل الحرب بالنصر النهائي . ولم

يصل الى علم بقيــة الوزراء ولا الى علم المعسكر العام الاكبر أمر هذا المستند الا في ٥ فبراير ١٩١٨ .

وبينما كان رؤساء الحكومتين يتباحثان في هومبورج كنا نحن القائد آرز والفيلد مارشال هندنبورج وأنا نؤلف مجلساً عسكريا. وكنا في هذا الوقت احتللنا موقع سيجفرييد وأصبحنا نرى هجوم أبريل الكبير مشرفاً علينا . فارتأيت ان الانجليز سيهجمون قريباً . وكانت نتائج حرب الغواصات في شهر مارس حسنة . وأخذ وزير الداخلية يطري نتائجها الجليلة على رؤوس الاشهاد. وقدرت قيمة المساعدة الامريكية لدول الاتفاق حقيقة قدرها . فصرنا نرى أنفسنا في مركز دقيق إلا انه يسمح بالطمأنينة لاننا لازلنا نأمل دفع هجمات الاتفاق ولابد لنا من انتظار نتائج حرب الغواصات ونهاية الحالة الجارية في الروسيا .

وكان القائد آرزرى في الجبهة النمسوية رأينا في الجبهة الالمانية إلا أنه كان يذهب الى أن الجيش النمسوى لا يستطيع الثبات إلا الى الشتاء لقلة المواد الاولية ولشدة تعب الجنود . فلم يبق مجال للشك فى وجوب استتباع الحرب في الوقت الحاضر باقصى ما يمكن من الشدة . أما في الشتاء فليس في استطاعتنا الحكم الان إذا كان سيتيسر استمرار القتال أم لا .

وحدثت مداولة حوالى الظهر بين المستشار والكونت كزرنين و القائد آرز والفيلد مارشال وأنا . وسألنى المستشار قبل انعقاد الجلسة إذا كنت أرى الوقت قد حان لبذل مسعى سلمى . فلم يسعنى إلا أن أجيبه باننا مقبلين على وقت ستقوم فيه دول الاتفاق بجهود عظيم واني لا أرى من الوجهة العسكرية ان الفرصة التي أختيرت حسنة الاختيار ولم نطل البحث بعد ذلك فاقترح علينا الكونت كزرنين أن نتنازل لفرنسا عن الالزاس واللورين

لنصل الى صلح سريع وان تضم النمساغاليسيا الى بولنيا وان تلحق بولونيا بالمانيا . وفي هذه الآونة انقطع بحثنا مع رئيسي الحكومتين وكان قد استغرق عشر دقائق لان الامبراطور استدعاهما. والىهنا انتهى قسطى الرسمي من مقابلة الامبراطورين . وقابلت بعدالظهر الامبراطور شارل. وبعد طعام الغذاء أوضح لى الكونت كزرنين آراءه فى محادثة خاصة . وقاعدة رأيه في طلب الصلح حالة النمسا الداخلية فلم يسعني سوى ابداء رأيي بالمثل فما أنا الا ابن وطني فذكرت للكونت وجوب سيره بشعوب الامبراطورية النمسوية بالعزم والحزم وانعاش حالتهم الادبية . فأجابنى بأن هذا مستحيل فلم يسعنى حينئذ سوى الانثناء الى اقتراحاته . ان مشروعه البولوني حائر مضطرب جدا ولا يوجد فيه شيء واضح معقول أما منح فرنسا الالزاس واللورين فمسألة واضحة مرتبة ازاءنا ولا يمكننا قبولها مادمنا لم نغلب على أمرنا لانها مسالة تختص بشرفنا الوطني اذ هتان الولايتان أرض المانية نحارب لاجلها الى آخر ما في الاستطاعة وكل الالمانيين على أتم اتحاد ازاء هذه المسألة كيفما كان اختلافهم فى السياسة الداخلية والخارجية بما فيهم الاشترا كيون المستقلون وكل حكومة بما فيها المعسكر العام الا كبر تتجاهل هذه الحقيقة تسقط فى الحال بسبب هياج الرأى العام الوطني عليها . حقيقة ان مركزنا حرج الا اننا لانزال قادرين على بذل مجهودات عظيمة فلا ينقصنا الا أن نكون ذوى رغبة صادقة ولن يرى الاتفاق فى عملنا هذا الا ضعفا أو خداعاً وفى الحالة الاولى تتضاعف مطالبه . ومع ذلك فانى حينما سألت الكونت كزرنين اذا كانت دول الاتفاق تقتصر على الالزاس واللورين اذا سمحنا بهما لم يجب جوابا قاطعاً

وأخذ الكونت كزرنين يتكلم عن حالة المانيا الداخلية بعبارات خطيرة فلا بد أن يكون متصلا بمخابرات هامة جداً . ثم انتهى حديثنا

وكان من رأى الكونت كزرنين ادخال رومانيا فى دائرة النفوذ النمسوى ووضع بولونيا الشرقية في دائرة النفوذ الالماني . إلا أن مقاصد النمسا الحقيقة بدأت فيما بعد تتوضح شيئاً فشيئاً فان ميول النمسا نحو بولونيا هي نفس ميولها نحو رومانيا . فالحل النمسوى البولوني يتضمن خطراً شديداً علينا حتى لقد خشينا الفيلد مارشال وانا أن يكون التحالف الالماني النمسوى آذن بالزوال وأن تكون ولايتنا الشرقية صارت عرضة للخطر : فالبولونيون مستمرون على المطالبة بأراض المانية وبولونيو بروسيا يعملون لهذا الغرض بالاتحاد مع أبنـاء عنصرهم ، فالنمسا ستصبح ترجمان أفكارهم والمدافعة عنهم .

ان المسألة البولونية مادامت محصورة بين المانيا وبولونيا على انفراد ففى الاستطاعة حلها بسهولة أما اذا كانت النمسا الى جانب بولونيا فان الاشكال يزداد تعقداً ويأخذ شكلا خطراً وتصبح المانيا فى مركز حرج من الوجهتين السياسية والحربية فان ولاية سيليزيا تصبح مطوقة وتصبح صلاتنا ببروسيا الشرقية وليتوانيا وكورلاندا مهددة. واني لم أخض عباب المسألة الاقتصادية ولم اتعرض لما سينجم عن هذه المعضلة من انقطاع صلاتنا بالاسواق الروسية ولقد علمتنا التجارب مقدار الصعوبات التى خلقتها لنا النمسا فى نقل تجاراتنا الى البلاد البلقانية

وأخذت النمسا تلحف فى طلب عقد الصلح وارتأى الامبراطور شارل فى احدى رسالاته الى امبراطورنا ضرورة عقد الصلح ولو بتضحيات عظيمة . وذكر له فى خلال السطور احتمال حدوث ثورة عامة من جميع

الشعوب مبرراً بذلك عقد الصلح بأي ثمن كان . فعهد الامبراطور الى المستشار أن يرد على هذه الرسالات وعلى أخريات مثيلاتها. فأخذ المستشار رأينا الفيلد مارشال وأنا من الوجهة العسكرية وكذلك أبدى أمير البحر رأيه فيما يختص بالحرب البحرية

وكانت حالة الروسيا الى ذلك الحين موافقة لنا إذ أخذت رغبتها في عقد الصلح معنا تزداد على التوالى وكان أول واجباتنا أن نرقب سير الثورة الروسية ونشجعها على تفكيك الروابط الوطنية الداخلية وعند ما نرى زعماء الثورة يحاولون جس نبضنا للصلح نقلب هذا الامر الى مباشرة الصلح فعلا في الحال . وربما تصير مخابرات هذا الصلح مقدمات لصلح عام .

على هذا الرأى قامت دعائم الرد على خطاب الامبراطور شارل المرسل فى أوائل مايو .

واستمر الكونت كزرنين يلحف فى طلب عقد الصلح على قاعدة اقطاع فرنسا أراضى المانية ولكنه لم يصرح مرة ما اذا كانت دول الاتفاق تميل حقيقة الى الصلح أو اذا كانت هنالك طريق ما توصلنا الى تحقيق هذه الامنية . ولو وجد الطريق لما تأخر عن اعلامنا بها . واني أعود في هذا الصدد الى التصريح الذى فاه به الكونت كزرنين في ١١ ديسمبر سنة ١٩١٨ اذ جاء فيه :

« لقد حدث في عدة مرات احتكاك بين ممثلينا وممثلى دول الاتفاق إلا أنه لم يؤد مطلقاً الى تحديد مطالب معينة . وكنا نشعر في أغلب الاحيان باستطاعتنا عقد صلح منفرد من غير المانيا ، إلا انهم لم يفضوا الينا مطلقاً بالشروط التى لو قبلتها المانيا يمكن عقد الصلح معها . ولم يصرحوا لنا مطلقاً بان المانيا ستظل محتفظة باراضيها التي كانت لها قبل الحرب . »

والواقع هو ان الاتفاق لا يريد البتة التصريح بقبوله التفاوض مع دولة المانية ليس لها أدنى مطمع فى الفتح والتوسع وان الاتفاق كرر رغبته في افناء المانيا وهذا هو الذي دفع بنا الى الاستمرار على مباشرة حرب دفاعية عن المانيا وزاد مصاعبنا فى القيام بمهمتنا فى برلين . »

ولو قيلت أمثال هذه الألفاظ في وقتها لقضت على سائر الأشاعات المتداولة فى صدد صلح تراض وتصاف ولأدت الى الرغبة في سلامة الوطن إلا أن الكونت كزرنن التزم جانب الصمت فرزحت على كاهله تبعة هائلة . ألعله اوضح هذا كله للمستشار الذى أهمل أن يطلع عليه البلاد ؟ ان الشعب الألماني ذو حق في استكناه الحقيقة ،

ان المستشارين لم يعتقدا البتة فى الانتصار ولم يجدا سبيلا الى الصلح ومع ذلك لبثا يشغلان مركزيهما .

— ٧ —

أخذت أنبي الحوادث الداخلية التي تعددت فى ربيع وصيف ١٩١٧ وكان هذا أحد مظاهر الاحتجاج التى لا تصدر إلا عند الشعور بالعجز عن تنفيذ الرغائب ولم يكن تبرمي من تلك الحوادث إلا لأجل الاستمرار على الحرب أملا فى التوصل الى صلح عاجل شريف . وأقول أن ابتداء انحطاطنا وافق اشتعال نيران الثورة الروسية . ومن أهم العوامل على هذا هـذا الانحطاط النفسى عدم تحقق الآمال التي كانت معقودة بحرب الغواصات واستمرار الحرب البرية في سائر الميادين بدون الانتهاء الى نتيجة حاسمة في وقت قريب . على أن مركزنا في صيف ١٩١٧ على أثر سقوط الروسيا كان أحسن بكثير من مركز دول الاتفاق إذ فى استطاعتنا

ان نتشبث بأذيال الرجاء . إلا أن ضعف الحكومة كان من أكبر العوامل على أزدياد انحطاط حالتنا الادبية . وكذلك الرايخستاج لم يكن ذا عزم ماض ، ولا ننكر انه كان ينظر بأخلاص عظيم غالباً فى مستقبلنا إلاّ أنه فى الغالب كان يهتم بالا ستئثار بالسلطة مدفوعاً بعامل الانانية .

وفي ٧ ابريل صدر أمر امبراطورى يختص بمسألة الانتخاب النيابي فى روسيا وما علمت بهذا الامر الا بعد نشره وما عهدت الامبراطور يحادثني في المسائل الداخلية التى كنت أراني غريباً عنها . وكانت علاقة الاصلاح بالثورة الروسية واضحة جدا . وهذه هي نقطة الخطر الجسيم .فلو أريد التمشى مع سنن الرقي الدستورى فى مسألة الانتخاب لكان من الاصوب توسيع حقوق الانتخاب قبل نشوب الحرب وعدم التأخر به الى أكثر من أغسطس ١٩١٤ والحكومة لا تزال قوية فكانت تحفظ بهذا العمل العرش من المجادلات الحزبية بدلا من تعريضه لهذه المجادلات . وادي هذا العمل الى ابتهاج الاعداء الذين شعروا ببواعثه الحقيقية ومروا به جداً . أن حكومة الشعب المحارب يجب عليها أن تراعى في مشروعاتها اتجاه ميول الخصوم لتتقيها . ومما لا شك فيه أن الشعب المحارب إذاقويت لديه الميول السياسية ضعفت فيه قوة الكفاح . فالعدو الواقف لنابالمرصاد لا يسعه أمام مظاهر الضعف التي بدت منا إلا أن يقول (لا يوجد دخان بغير نار) ثم ينتظر أن يؤول ضعفنا هـذا الى انشقاق فسقوط . وهذا ما يحدث وما أخذ يتوقعه العدو ويعمل لتحقيقه حتي تم سقوطنا بقيام الثورة الالمانية .

ولقد كانت اولى نتائج الامر الامبراطورى المتقدم ذكره حدوث الاضراب الكبير الذي وقع في النصف الاخير من ابريل . ولم يهم توسيع

حقوق الانتخابات عامة الشعب في بروسيا خلا بعض الصحف والدوائر الخاصة التي كانت مهتمة به جد الاهتمام . وكل ما أنتجته هذه المسألة هو احداث الشغب والتمرد بين العمال ، أما في الجيش فلم يكن له صدي بتاتاً ، وأما البحرية فلقربها من داخلية البلاد ولالتزامها جانب السكون أكثر من العمل فقد كان لهذه المسألة تأثير فيها . وكنت أري الكفاح الانتخابي يضعف كثيراً من قوة الكفاح في ساحة القتال . وكانت هذه المسألة مجحفة بحقوق الجيش الذى حرم من التمتع بميزة الانتخاب . وقد باحثت الوزراء كثيراً وأظهرت لهم ضرر الانتخابات القائمة على الدعامة الحزبية وحبذت الانتخابات المرتكزة على قاعدة المهن والطوائف كما قرر بسمارك لان هذه الطريقة تنعش البلاد وأما الطريقة الاولى فتجعل احدي الطبقات تتحكم فى شؤون الشعب وتحرم بقية العناصر من حقوقها الطبعية .

وحدث قبل شبوب الثورة الروسية عامل آخر مؤد الى ضعفنا ، وذلك أن صار التصريح فى الرايخستاج بان الشعب الالماني يستنكر رغبة العدو فى سحق الشعب الالماني ولذا يجب المبادرة الى السعي لعقد صلح تراض وتصاف بدعوة تنشر فى البلاد المحايدة . فلم أوافق على هذا الرأي وشايعتني رآسة القيادة العليا إلا أن الامبراطور وافق على مباشرة السعي فلم يسع المعسكر العام الاكبر سوى اصدار جوازات السفر لاعضاء الرايخستاج العازمين على الشخوص الى ستوكهلم . وكذلك أرسل الكونت كزرنين اناساً من زعماء الاشتراكيين النمسويين وأخذ الفريقان ينشران الدعوة بين الاحزاب الاشتراكية فى البلاد المعادية ولم يكن لهذا العمل نتيجة سوى تأكد الدول المتفقة من اننا بدأنا نضعف . فالذين قاموا بهذا العمل لم يدرسوا الحالة النفسية لدي الدول المعادية

والدول المتحاربة بل جروا وراء الاوهام ذاهبين الى وجوب « تصافى الانسانية » .

وعمدت دول الاتفاق التي كانت دارسة أحوال الشعوب النفسية حق الدراسة الى منع وفود أحزابها الاشتراكية من السفر الى الخارج . وقد اتضحت مقاصد فرنسا الحقيقية من تصريح رئيس وزارتها ريبو في صيف ١٩١٧ بان لا سبيل الى عقد الصلح قبل سحق المانيا تماماً . ألا أن مستشارنا لبث ضعيف الارادة أمام هذا التصريح ولم يستنهض همة الرايخستاج والامة الالمانية باسرها لمقاومة تلك المقاصيد الهائلة . فشكونا الفيلد مارشال وانا الى الامبراطور اهمال المستشار طرق تحميس الشعب واعداد البلاد لمساعدة الجيش على اداء مهمته المفروضة عليه لانقاذ الوطن من خطر المحو والذل .

وفى يونيه ١٩١٧ كتب الفيلد مارشال هندنبورج الى المستشار خطابا يحذره فيه من الاعتقاد بامكان انتهاء الحرب قبل فصل الخريف . والمع فى سطور الخطاب بالتأثير الذي أحدثته حرب الغواصات واعترف به الاعداء انفسهم . ثم ذكر له أن الاعداء إذا ظلوا يقاومون فما ذاك إلا لاعتقادهم أن المانيا وحليفاتها سيسقطن قبل سقوطهم ؛ وانهم ربما يأملون احراز نصر فى ساحات القتال يضع حداً للحرب . إلا أن أملهم فى انتهاء الحرب من الوجهتين الاقتصادية والسياسية الداخلية فى بلاد الدول المتحالفة اعظم فالعامل الوحيد لافهام خصومنا عدم الفائدة من اطالة الحرب هو انهاض الحالة الادبية في داخل البلاد ليستطيع الجيش أن يواصل أعماله الحربية المتوجة بالظفر .

فكان جواب المستشار الواصل في ٢٥ يونيه على نقيض هذه الآراء

إذ أظهر فيه عجزه عن حل المسائل الاقتصادية والسياسية الداخلية وعن انهاض الحالة الادبية وأشار الى امكان ابرام صلح تراض وتصاف بواسطة انجلترا لو تقدمت خطوة واحدة في هذا السبيل غير انه كان يشك فى اقتداره على اجتذاب لويد جورج الى هذا المقصد .

فلم يسع الفيلد مارشال سوى أن يوجه برسالة الى الامبراطور فى ٢٧ يونيه يشكو اليه فيه عجز المستشار عن حل المسائل الداخلية وفى مقدمتها المسألة الاقتصادية التي يتوقف عليها الفوز النهائي .

وفى ٦ يوليه القي ارزبرجر خطبة فى الرايخستاج ادهشتنا جد الدهش بما تضمنته من أن حرب الغواصات لم يكن لها أدني نصيب من النجاح وانكاره احتمال فوزنا النهائي في الحرب البرية .

فهذا التصريح وأمثاله تظهر الى اي حد وصلنا والى أين نحن ذاهبون فاذا لم تتخذ الاحتياطات اللازمة لمنع هذه الافكار من الانتشار بين الجمهور وإذا لم تضرم نيران الحماسة فى نفوس الشعب فاننا بلا شك نسير باقدام سريعة الى الانهزام .

ووافقنا وزير الحربية على أرائنا وأرتأي ضرورة تقديم تقرير الى الامبراطور من الفيلد مارشال وذهبنا الفيلد مارشال وأنا يوم ٦ يوليه مساء الى برلين . وكان رأى الامبراطور أن حوادث برلين داخلية محضة لاشأن لرجال العسكرية فيها على ان لهم ممثلا فى الداخل هو وزير الحربية . فلم يكن لوجودنا فى برلين يوم ٧ أدني فائدة . فسافرنا مساء الى كروزناخ .

ولكن الحالة ازدادت تفاقماً في برلين فان المستشار على الرغم من علمه برغبة العدو الاكيدة فى محونا صادق يوم ٨ على القرار الذي أصدرته أحزاب الغالبية بشأن الصلح . وأدى هذا الامر الى ازدياد رغبة الاعداء في

مواصلة الكفاح . ورأى المستشار أن يقدم استقالته يوم ١٠ إلا انها رفضت يوم ١١ صباحاً .

وكنا نعتقد فى كروزناخ بان البرنس بيلوف سيخلف الفون بيتمان في الاستشارة إلا أن النمسا كانت نصيرة لبقاء الفون بيتمان فى منصبه ومجافية لتولى البرنس بيلوف زمام الاستشارة وذهب وريث المانيا الى برلين فلم يلبث ان وافق على هذه الخطة .

ولقد اعتقدت بعد قضاء عدة أعوام في ادارة الحرب أن المعسكر العام الأكبر لا يمكن أن يقوم بما ينتظر منه إلا اذا اشترك في العمل مع وزارة قوية الارادة تمده بكل مطالبه وتبعث الحماسة في نفوس الشعب وتحارب الآراء السيئة التي تتسرب بين الجماهير الالمانية ، والمستشار الحالى لا يرأس مثل هذه الوزارة المنشودة فهو رجل خائر العزم لا هم له إلا أن يعلن الرغبة في ابرام صلح تراض وتصاف لا صلح غبن وتحكم ، ولكن هذا الصلح مستحيل ما دام الجيش لا يلجئ الاعداء الى قبوله ، وهيهات أن يصل الجيش الى هذه النهاية إلا إذا ساعدته الأمة بكل مواردها الحيوية عليها وهذه المساعدة انما تتيسر بوجود رجل حازم قدير صارم على رأس الحكومة يستخدم سائر عناصر البلاد في مصلحة الجيش لقد كانت البلاد في عام ١٩١٤ لا تشعر إلا بعاطفة واحدة وهى الرغبة في الانتصار واملاء شروط الصلح .

ومن الغريب أن المستشار لم يفكر في الحصار النائل الذى ضربته انجلترا على الامة الالمانية مخالفة به كل حقوق الانسان والقوانين الدولية وعاطفة الرحمة والانسانية ، ولا فكر بالمثل في اخوته الذين فى الاسر يذوقون كؤوس الذل والهوان وليس من العدل ولا من الانسانية أن لا ننتقم لهم من الوف الاسرى الذين بين أيدينا

وكذلك لم يدافع المستشار عن سيده الامبراطور الذى يؤيده والذى وضع ثقته فيه ولم يشأ ان ينزعه من مركز الاستشارة عندما أعلن ويلسن تصريحه حالة دخول الولايات المتحدة الحرب بشأن الشعب الالماني والامبراطوره وامرائه ، فلقد أحتج الرايخستاج إذ ذاك ولكن المستشار التزم السكوت التام

وبالاختصار اني لم أجد هذا المستشار الرجل الذى يمكنه أن يعمل باتحاد مع المعسكر العام الأكبر والذي يستطيع أن يهيئ للجيش أسباب الانتصار النهائي الذى يؤدي الى ابرام الصلح العادل فالمهمة التى أخذتها على عاتقى لا يمكن تحقيقها فى مثل هذه الحالة وإذن لا يسعنى إلا تقديم استقالتي

ولقد ايدني الفيلدمارشال هندنبورج وقدم استقالته بالمثل وارسلنا استقالتينا في مساء ١٢ الى برلين، وكنا اخطرنا قبل الظهر وزير الحربية بما عزمنا عليه، فاجاب الوزير بانه بالنظر لمركز الجيش الحالى يحسن بالفيلدمارشال ان يقدم تقريراً آخر الى الامبراطور ومن جهة اخرى فان الامبراطور ابدى رغبته فى محادثتنا

وكان وريث المانيا قد حادث زعماء الاحزاب في الرايخستاج فلم يجد منهم من يؤيد المستشار وبناء على التقرير المقدم من ولى العهد فى هذا الصدد قرر الامبراطور أن يقبل من الفون بيتمان تقديم استقالته مرة أخرى

وعندما وصلنا الى برلين فى صباح ١٣ كان الامبراطور قد بت فى الامر فرجوت أن يتاح للاستشارة الرجل الحازم الذي يستطيع أن يحسن حالة الامة الادبية وينهض بالبلاد من العثار الذي أصيبت به

وكنا قد عزمنا الفيلدمارشال وانا فى زيارتنا برلين يوم ٧ على أن نطلع

أعضاء الرايخستاج بصراحة على حقيقة الحالة الحربية إلا أننا لم نفعل ذلك إلا يوم ١٣ وتناقشنا مع النواب في مواقفنا في سائر الساحات وحرب الغواصات والحالة الاقتصادية فكانوا يرددون دائماً ذكر الصلح فأفهمتهم أن الحالة لا تدعو الى اليأس وختمت قولى بهذه الجملة (اننا سنظفر إذا ظل الشعب محتفظاً بالاتحاد خلف الجيش . ويجب على ممثلى البلاد أن يعضدونا) .

ثم طلب الوزير هيلفريخ من النواب أن يتمهلوا في نشر قرارهم المختص بالصلح الى أن يتفاوضوا مع المستشار الجديد غداً أو بعد غد فوافقوا إلا انى رأيت هذا القرار منشوراً في الصباح في جريدة الفورفارتس وحاولت كثيراً أن أحول دون نشره فلم أوفق لان غالبية المجلس كانت موافقة على ابرام الصلح .

وتعين الدكتور ميخايليس مستشاراً وكنا قد طلبنا من الامبراطور أن يسمح لنا بزيارة الرجل الذى ستسند الاستشارة اليه قبيل تعيينه إلا أن هذا المطلب كان عسير التحقيق لأن اختيار هذا الرجل صادف عناء فالظاهر أن الجيش أنبت رؤوساً كبيرة وأما الادارة فأصيبت بالعقم وهذا أمر يستوجب الأسف . والح علينا المستشار الجديد بحضور المناقشات التي ستحدث في وزارة الداخلية في صدد قرار الصلح مع أعضاء الرايخستاج فبعد الامتناع في بادئ الامر لاننا كنا أتممنا مهمتنا منذ مساء الأمس ولا حاجة لنا بالتعرض لجو الفوضي السياسية رأينا أن نجامل المستشار بتسهيل تحمل هذا الميراث الثقيل عليه قبقينا . وأخذنا نظهر للدكتور ميخائليس مقدار الفائدة العظيمة المترتبة على تساند المعسكر العام الأكبر والحكومة . وكتب اليه الفيلد مارشال عدة رسائل في هذا الصدد .

ودارت المناقشات حول ابرام الصلح فأظهرنا مضار القرار الذي يصدره الرايخستاج في هذا الصدد فكان الجواب أن الاغلبية البرلمانية تعتمد في اصدار هذا القرار على الرأي العام حتي إذا لم يتيسر هذا الامل حمل الجمهور على موالاة الكفاح ضد أعداء لا يقبلون الاتفاق معه . وأن هذه لصورة محزنة تمثل حالة الجمهور في اسوإ مظهر . على أن الأمل في سقوط الاعداء كان قريباً الى الذهن إذ ذاك لأن الاشتراكيين الروسيين أرادوا أن يلجئوا حكومات الاتفاق على العدول عن مقاصدهن . فلم يسع الفيلد مارشال إلاّ أن يحتج بصفته أقدم ممثل للجيش في هيأة القيادة العليا على قرار الصلح. واقتصرت على أن أظهر لأعضاء الغالبية الموجودين بجانبي إن هذا القرار أهمل فيه رأي الجيش فأبدى هؤلاء النواب اعتراف الأمة بالجميل للجيش . وعند عزمنا على الرحيل رجوت من النائب أرزبرجر أن يعارض في اصدار هذا القرار . إلاأن هذا القرار انتشر من منبر الرايخستاج في سائر العالم . فلم يكن له أقل تأثير في نفوس أعدائنا سوى الاستدلال به على ضعفنا . وأخذ البلغاريون والعثمانيون يساورهم اليأس من اقتدارنا على الظفر . ولم يحدث الغرض المقصود في الداخل من امتناع العدو عن تقبل مقصدنا الحسن ، وبدلا من استبسال الامة واعتزامها على مقاومة الخصم الذي لا يريد التصافي معها أخذت تزداد جنوحاً بل تشبثاً بفكرة الصلح القائم على قاعدة التراضي والتصافي . هذه هي النتيجة التي أحدثها قرار الصلح ولقد أردنا الفيلد مارشال وأنا أن لا نحدث انقساماً في الداخل بين الحكومة وغالبية الرايخستاج فسمحنا للمستشار بأن يذكر في المجلس اننا نعضده في آرائه وانتظرنا منه في مقابل ذلك أن يزيل على توالي الزمن تاثير هذا القرار واعداد الأمة للاستمرار على الدفاع عن سلامة الوطن حتي يقبل

اعداؤه ابرام صلح شريف عادل .

ولاحظت وانا في برلين أن حالة البلاد الأدبية ساءت . ولم يكن في استطاعتي أن أقف مكتوف اليدين أمام هذا الانحطاط الخلقي المؤدى الى انحطاط الجيش بالطبع . فرجوت من المستشار الحديث كما رجوت من سلفه في العام الماضى أن يتولى بنفسه ادارة مصلحة تتصرف في شؤون الصحافة وترويج النشر في البلاد . فوعدني بالمناقشة في هذا الصدد في أواخر أغسطس .

— ٨ —

ان حالة البلاد العقلية كانت تدعو الى الحذر والعمل الموصول . وكانت مجاري الاحوال اذ ذاك تسمح كلها لنا باكتساب الحرب . الا ان الحرب كانت لاتزال دائرة ومن الواجب ان نحتفظ بما اكتسبناه الى ذلك الحين . فصار من الضروري التنبه الى الحالة العقليه السارية في داخل البلاد لان الاضطراب لم يعد مقصوراً على الأهالى بل لقد تخطاهم الى الجيش . وقد كتب رئيس المعسكر العام الاكبر يوم ٢٥ يوليه في هذا الصدد : « من المؤكد ان الحزب الاشتراكي الديموقراطي المستقل يسعى لاحداث اضطراب في الجيش مضر الى الدرجة القصوى بطاعة الجيش » وقد أكد ليد يبور رئيس الاشتراكيين المستقلين هذا البيان اذ قال في احد اجتماعات الجنود والعمال بخصوص الحوادث التى وقعت ما بين ٥ و ٩ نوفمبر ١٩١٨ : « ان هذه الأيام الاربعة التي انتهت بيوم ٩ نوفمبر اتاحت لشايدمان ورفاقه ان يجنوا ثمرات ما غرسه وتعهده المستقلون في عامين تقريبا » . وكذا

صرح بالبيان الآتي الزعيم ريشار مولار : « لقد اعدت وسائل الثورة في يونيه ١٩١٦ على الرغم من ان مقاصدها لم تكن اذ ذاك واضحة تماما » وهكذا اخذ الحزب الاشتراكي الديموقراطي المستقل يستعد للثورة وغالبية الرايخستاج وقسم من الشعب ومن الصحافة تعضده على غير علم منها .

وعن لى في يوليه ١٩١٧ انه لايحسن بالقيادة العليا ان تلتزم جانب الجمود الى آخر اغسطس وان لابد لها من من اتخاذ وسائل خاصة لانهاض حالتنا الادبية الا اني كنت معتقداً ان كل عمل لا تتداخل فيه الحكومة لا يصادف نجاحا . ولكن الحكومة بطيئة واعمالها مختبطة مرتبكة وعلى الرغم من وجود المستشار الجديد فانها لاتزال باقية على ما كانت عليه

ففكرت فى ايجاد محاضرات لترويج الافكار الوطنية بين الجيش إلا أن هذا العمل لم يكن سوى مشروع ضعيف نقارع به ترويج الدعوة الفظيعة القائم بها الاتفاق في الجيش الالماني . ثم لاح لى أن نتوسع في انهاض الشعور الوطني في مجموع الشعب ولكني لم أجد مساعداً على تنفيذ هذه الفكرة على الرغم من موافقة المستشار الدكتور ميخائيليس والوزير كوهلمان

ولكي يكون لهذا العمل تأثير ناجع في نفوس الجنود رأيت أن تكون المحاضرات قائمة على أساس الحالة الاقتصادية . فأردت أن يفهم الجندى أن الحالة الاقتصادية في المانيا تساعد على رخاء عيشة العامل وإن الحرب القائمة الآن انما يراد بها حرمان المانيـا من أهم موارها الاقتصادية وافقارها والقضاء عليها فمن الواجب اذن الاستمرار على متابعة الحرب حتى يعدل الأعداء عدولا نهائياً عن فكرة اعدام المانيا وحتى يتيسر نمو الحالة الاقتصادية في المانيا بلا عائق .

ثم أفهمت الجيش أن انتصارنا النهائي محقق وهو متوقف على اتفاق الادارة والسلطة من جهة وعلى طاعة المرؤوسين من جهة أخرى . وأخيراً ذكرت للجنود أن الانانية يجب أن تمحى من النفوس امام المقصد الوحيد الاسمي، وإن الاضراب عن العمل يعرض سير الحرب للخطر ويؤدي الى اراقة دماء العساكر بكثرة ، وان المبدأ السلمى وكذلك تثبيط الهمم يطيلان أمد الكفاح ، وان الاتحاد الداخلى مدار القوة ، وإن كل العوامل الأخرى مضعفة .

وأخيراً جعلت المقصد من الحرب تأمين مستقبلنا ، وانتهيت بدعوة الشعب والجيش الى أن يسير امتكاتفين ثابتى الجأش خلف زعماء الامبراطورية الى ابرام الصلح .

وعرض مشروع التثقيف الوطنى على الرايخستاج في اكتوبر إلا أن الرايخستاج لا يلذ له إلا الانتقاد .

ولقد كان يوجد في البلاد فريق من الالمانيين الملمين بحقيقة مقصد العدو فارادوا أن ينهضوا حالة البلاد الادبية وانشأوا لهذا الغرض « حزب الوطن » (فاترلاندس بارتاى) واني وان لم تكن لى أدنى صلة بهذا الحزب فقد استقبلت عمله بابتهاج عظيم لما سيكون له من الفائدة في سير الحرب . إلا أن هذا الحزب لم يلبث ان استجره تيار السياسة الداخليـة فقضت الحكومة وخصومه على حميته . فكانت مشيئة الله هكذا : لقد تخلى الله عن مساعدة الشعب الألماني لأن هذا الشعب تخلى عن مساعدة نفسه .

وشغلنى مشروع التثقيف الوطنى الى درجة عظيمة فرأيت خير واسطة لتعليم الجيش أن أعهد بنشره الى ضباط الجبهة وضباط الصف بل الى من هم دونهم من ذوى الكفاءة و الأخلاص وأحياناً الى رجال مدنيين

وكان لا بد من مضى زمن كاف لنجاح هذا المشروع لانه صادف عقبات كأداء وقوبل في بادئ الامر بشيء من الارتياب .

ولم نكن نهتم برفع الحالة الادبية لدى الجنود فقط بل لقد كان من الواجب الاهتمام بمساعدتهم مساعدات تعوض عليهم ماتجشموه من المتاعب والاهوال في سبيل الذود عن الوطن ففكرنا في انه لاينبغى الاقتصار على العناية بامرات الجنود الصرعى في حومة الوغى بل ينبغى التدبر من الآن في منح الجنود الاحياء مساكن لايوائهم بعد عودتهم من الميادين المختلفة واقطاعهم اراضي زراعية بأثمان منخفضة جداً تدفع على مدة طويلة مع منحهم حق تملكها ولكن كل هذه الاعمال الخيرية كان لا بد من السير فيها بتؤدة من غير الاعتداء على نظام الملكية القديم والغاء حقوقه . ولقد أثرت فيّ آراء المصلح العقارى المسيو داماشك أعظم تأثير لانه أثبت ضرورة خفض أجور المساكن وعلى الاخص لجمهور العمال واتقاء المضاربة بالأجور ، وكذلك أثرت فيّ خلاصته التاريخية . وظهرت لى المعلومات التي قررها عن أزمة المساكن بعد حرب ١٨٧٠ — ٧١ في منتهى الخطارة ولم يسع المعسكر العام الاكبر ازاء هـذه المسألة الا ان يخابر المستشار ليستصدر عدة أوامر امبراطورية ترتبط بهذه المسألة . وعهد المعسكر العام الاكبر الى الدكتور القائد فون شاربننج ومساعديه وعلى الأخص الدكتور هوخ هاينر القائمين بادارة الشؤون الصحية في ميادين القتال الاهتمام بكل ماله علاقة بمسألة انماء الاهالى . فأودع هؤلاء الاطباء آراءهم في مذكرة ارسلت الى المستشار .

وبهذه الطريقة أخذت أهتم بكل ما يؤدى الى ايجاد نسل قوى نرجح بعد الحرب . وأردت أن أوجد في البلاد الممتدة على سواحل البلطيق أراضى واسعة يستعمرها الجنود وكذلك عدد كبير من الألمانيين تنتظر

عودتهم من الروسيا. وكانت هنالك بقاع واسعة خصبة إلا انها غير مزروعة يمكن اقطاعها الألمانيين بدون مزاحمة السكان الاصليين والتضييق عليهم وكذلك مقاطعة الألزاس واللورين يجب أن تكون مجالا للاستعمار الذي سيؤدى بهذه الأرض الالمانية العتيقة الى استعادة طبيعتها الالمانية الاولى. وأنبرى القائد ها هو ندورف لدراسة هذه المشروعات الوطنيـة الواسعة بتعمق شديد وتألفت لهذا الغرض شركات استعمارية المانية لاقت تعضيداً كبيراً من أعظم الدوائر الالمانية ذات الشأن واهتم بها الجمهور الالماني اهتماما شديداً

وكانت عنايتنا بالطلبـة الذين كانوا يؤدون إذ ذاك الخدمة الوطنية وبتلاميذ الفصول الراقية عظيما بالمثل لأننا رأينا مستقبلهم محفوفاً بالظلام فأردنا أن نحفظ لهم مستقبلا حسناً لأجل مصلحة الوطن نفسه. وبذل الدكتور شميد وزير المعارف البروسية مجهوداً عظيما في هذا الامر.

— ١١ —

لم تكن خطط الحرب وشؤونها الخاصة هي المسائل الوحيدة التى تشغلنى في كروزناخ بل كانت هنا لك أمور أخرى تعرض لى وإن لم تكن في منزلة الشؤون الاولى. وكانت الحياة تنقضى هنا كما كانت تنقضى في المعسكر العام الشرقى. فكان كثيرون من الزوار يجيئون ويذهبون، وعلى الرغم من العمل الهائل الذى يثقل كاهلي كنت اجد من الوقت ومن القول ما استقبل بهما هؤلاء الزوار. وكنت موصول الاحاديث مع وزيري حرب بروسيا وبافاريا في صدد انهاض الحالة الأدبية لدي الجنود وفي داخل البلدين وفي صدد الاشخاص اللازمين للجيش. وكنا نخوض بالمثل في مسألة

أبطال التسلح مقدماً فقد كانت منتشرة إذ ذاك انتشار صلح التراضى والمساواه . وكنت أرى هذه الفكرة مستحيلة قبل تغير شؤون العالم جمعاء كما كانت تراها كذا حكومات انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الدعوقراطية . وكنت أهتم أيضاً في أوقات كثيرة بمسألة المآكل ونا عائلها من الامور المرتبطة براحة البلاد ورخائها .

وكنت مهتما من الوجهة العسكرية بمسألة الدوبروجه التى كانت مشكلة المراحل فيها تعرضنا لمجافاة بلغاريا لنا إذ كانت بلغاريا تريد أن تضم هذه المقاطعة اليها كلها بدون مبالاة بمراحل الجنود الألمانية . وقد حضر الملك فرديناندو معه رادسلافوف للفصل في هذه المعضلة . ولم تنجح الحكومة الألمانية في حمل بلغاريا على اقصاء سفير الولايات المتحدة من صوفيا حسب رغبة المعسكر العام الاكبر الالماني وقد ادت هذه المسالة فيما بعد الى اهتمام الحكومة الامبراطورية بها .

ومن أهم المسائل السياسية التى كانت تشغلنا مسألة الاراضى الروسية المحتلة وفي مقدمتها بولونيا التى كان من المنتظر أن يحدث اعلان صيرورتها مملكة اهتياج العنصر الليتوانى . ولا شك في أن ضم ولاياتنا البولونيـة المندمجة في بروسيا الشرقية وبروسيا الغربية الى بولونيا المحررة من شأنه أن يحدث ارتباكا شديداً في أعمالنا العسكرية ولا سيما على أثر ازدياد المطامع البولونيه . وأرادت بولونيا أن تصبح مملكة واسعة النطاق على حساب الولايات المجاورة لها فأدى طمعها هذا الى تخوف الليتوانيين . ومن جهة أخرى كنا نرى الليتوانيين أخف مطامع من البولونيين واجنح الينا وآمن عاقبة من مناظريهم فرأينا حينئذ لأجل مصلحة الحرب ومنعاً للمنازعات التي لا تنتهى بين العناصر المختلفة أن نقيم ثلاث حكومات مستقل

بعضها عن بعض أولاها بولونيا والثانية ليتوانيا والثالثة كورلاندا . وقد دارت مفاوضات عديدة طويلة في هذا الصدد بين المعسكر العام الاكبر الالماني ومستشار الامبراطورية ورآسة الجبهة الشرقية واسفرت عن بقاء الشؤون العسكرية في بولونيا كلها تحت تصرف المعسكر العام الاكبر طول مدة الحرب وهذا الحل سهل كثيراً مهمتنا في الميدان الشرقي .

وعدا هـذه المسألة كانت توجد مسألة ثالثة تشغل بالنا وهى مشكلة الالزاس واللورين. فهذه البقعة الالمانية أصلا لم يكن من المناسب جعلها في حكم المستعمرات بمنحها حكما ادارياً خاضعاً يجعل سكانها الذين من العنصر الفرنسوى دائماً نازعين الى فرنسا فلازالة هذه الحالة كان لابد من جعلها جزء غير قابل للانفصال من المملكة البروسية . وهذه الطريقة لا تتم الا بصبغ أهلها بالصبغة الجرمانية البحتة التي لا أميل في الحقيقة الىالالتجاء اليها الا لاسباب قهرية . وللوصول الى هذا الغرض كان لا بد من انتقاء الموظفين الاكفاء الذين يستطيعون بذكائهم وتصرفهـم الحسن ان يزيلوا أسباب الاختلاف والنفور ويجعلوا هذه الولاية بقعة المانية بحتة . ولـكن لا ينبغي انتقاء هؤلاء الموظفين من بروسيا لانهم وان كانوا لن يتأخروا عن تحقيق آمالنا تماماً وبسرعة مدهشة الا انهـم مشهورون بالشـدة بل من المستصوب انتقاؤهم من أهالى المقاطعة الرينية المشهورين بالدعة واللبان . وكانت أمامنا عقبة تحول دون الوصول الى مطلوبنا وهى امتـلاك الاهالى الذين من العنصر الفرنسوي أملاكا جسيمة،ومن المعلوم ان الفرنسويين أثناء الحرب السبعينية طردوا الالمانيين الموجودين في بلادهم الا انهـم لم يصادروا ملاكهم فلم يسعنا قبل الحرب ولا في بدء نشوبها التعرض لاملاك العنصر الفرنسوى ، الا ان انجلترا لم تلبث ان ابتدعت مبدأ جديداً اذ

صادرت أملاك الالمانيين المتوطنين في بلادها لتتخلص بهذه الطريقة من مزاحمتهم الفظيعة التي كانت تضايقها جداً فتبعتها سائر دول الاتفاق . فكان لا بد لنا حينئذ من اتباع الطريقة المثلى في المسألة الالزاسية وقد طلب منا الفيلد مارشال الدوق البيرت الوورتنبيرجي حاكم الزاس واللورين العسكرى تعليمات واضحة يسير بمقتضاها في شؤون هذه الولاية ، فطلبنا من المستشار عقد مؤتمر خاص لهذه المسألة فحدث الا انه لم يفض الى نتيجة جلية.

معركة الفلاندر وسقوط الروسيا

في صيف وخريف ١٩١٧

بعد الوقعة التى حدثت يوم ٧ يونيه عند مدخل وتشائيت بدأت معركة الفلاندر يوم ٣١ يوليه بعد تمهيد بالمدفعية استغرق عدة أيام: وبهذه المعركة يحدث ثاني عمل حربي عظيم قام به المتفقون في ١٩١٧ ، وما هو الا كفاح نهائي لادراك النصر والاستيلاء على قاعدة غواصاتنا في الفلاندر. وانتشرت الوقائع على سائر الجبهة الغربية تقريباً . وعلى الجبهتين الايطالية والمقدونية ثم تمشت فيما بعد الى الجبهة الفلسطينية .

ان المعارك الناشبة في هذه الآونة في الساحة الشرقية ندحت الى حد ان جاءت خسائرنا فيها بدرجة لم تصل الى مثلها فى سائر أدوار القتال التى حدثت حتى الآن وزاد الحرج ان عجز المعسكر العام الاكبر عن اسعاف هذه الساحة بعدد من الميدان الشرقى لاننا نريد ان نظل أقوياء هنالك ليتسنى لنا ادراك الفوز الفاصل على الروسيا ورومانيا ونستطيع بعد ذلك ان نتفرغ بكل قوانا لمهاجمة فرنسا أثناء ١٩١٨ مهاجمة حاسمة

بالاعتماد على حرب الغواصات اذا كانت هـذه الحرب لم توصلنا الى الغاية المنشودة في ذلك الحين . وكانت الحالة العسكرية تتطلب مني ان أتحمل على عاتقي تبعة ثقيلة أنوء تحتها متململا . وانما أتحملها لعلمي بأن هـذه الحالة ستصبح في ١٩١٨ في منتهى الخطورة . ومن البدهي ان المعسكر العـام الاكبر لم يعد في وسعه ان يحرك جندياً واحداً من أحد مواقع الساحة الغربية الى موقع آخر . وكنت أري ساعة الخطر تزداد اقترابا كلما رأيت حربنا البحرية تتأخر عن تحقيق ما هو منتظر منها . والخلاصـة انى لم أكن من أولئك الاناس الذين ينكصون على أعقابهم أمام الخطر الداهم ، فانما وجدت في مركزى هذا لتلافي الخطر ولاستخدام كل شيء في سبيل وقاية وطننا المقدس من أفدح مصيبة متجهة اليه

وكان من الواجب علينا ان نظل منقضـين في الشرق على الروسـيا بضربات ساحقات تؤدي الى تداعى أركان ذلك البناء المشمخر .

وأردت القيام بحركات مهمة في الروسـيا الا اني علمت بأن كل عمل هناك لا ينتج الغرض المقصود الا اذا تمت أعمال مد السكك الحديدية اللازمة لنقل الجنود والذخائر فأصدرت أوامرى بوقف كل هجوم حتي تتم هذه الاعمال . وفي أواخر سبتمبر كانت قد انتظمت السكك الحديدية في جنوب الدنيستر فلاح لى حينئذ ان وقت العمل النهائي في الروسيا قد حان . فأمرت بنقل الجنود اللازمة الى أماكن الهجوم الجديد .

وكانت كل الايام التي انقضت ما بين ٣١ يوليه وأواخر سبتمبر عصيبة جدا . ففى ٣١ يوليه هجم الانجليز على بقعة امتدادها ٢٥ كيلو متراً بمدفعية وذخائر قلما عهدها مثيل حتى فى الميدان الغربي نفسه وتمكنوا من دخول هذه البقعة في عدة أماكن بالنا نبكس . وكانوا قد أعدوا فرقاً من الخيالة

المطاردة . إلا أن أركان حرب الجيش الرابع تمكن بواسطة فرق التداخل من وقف تقدم الانجليز وحصره في أماكنه . وكانت النتيجة استيلاء العدو على أماكن يختلف طولها في الدخول ما بين كيلومترين وأربعة كيلو مترات وخسائر عظيمة من الاسرى وأدوات الحرب وانفاق مقادير جسيمة من ذخائرنا الاحتياطية .

وفي آخر أغسطس هجم الفرنسويون في شمال سان كنتان بلا جدوى على موقع سيجفرييد ، وكذلك قاموا بعدة وثبات أخرى على هضاب الشمان ديه دام لم تكلل بالنجاح .

على أن هجوم الفرنسويين الاساسي انما كان في فردان ابتـدأ من يومي ٢٠ و ٢١ أغسطس ولم يكن هذا الهجوم امراً فوجئ به الجيش الخامس بل كان ينتظره واخلى الاماكن التي يخشى من عدم الثبات فيها منذ بضعة اسابيع . وتمكن الهاجمون بغير التانكس من التغلغل الى اغوار عميقة في اماكن متعددة من جبهتنا هنا لك . وكان هجومهم موفقاً على الضفة اليسرى من الموز واما على الضفة اليمنى فقد اخفقوا . ومع ذلك فقد بذلنا من الجهد هنا ما بذلنا مثله في الفلاندر لاتقاء شر الهزيمة . وكان يوما ٢١ و ٢٦ اغسطس حافلين بانتصارات العدو وبخسائرنا الجسيمة . واظهر الجيش الفرنسوي بسرعة استعداده للهجوم بعد ان عجل بتلافي ازمته الفادحة وفي هذه الايام عرض ساسة باريس شروط صلح لا يتفق مع موقف الدول المتفقة الحربي

وكان للخسائر الجسيمة الحادثة في اغسطس وقع شديد على جنود الجبهة الغربية . ولم يكن الجنود في حالة تتفق مع ما بذله قواد القطاعات وما بذلته انا نفسي من الجهود العظيمة . ولم يلجأ الفرنسويون الى الخطط التي اتبعها

القائد نيفيل من قبل بل تبعوا طرق هجومنا واتخذوا الحيطة التامة لاتقاء كراتنا وهذا بالطبع ما لم نتلقه بالاستبشار

ولقد صرت مهموماً جداً لان حالة الجبهة الغربية لابد من ان تعيقنا عن تنفيذ خططنا المرسومة للساحات الاخرى . وصار من الضروري ارجاء الهجوم المنوي على ضفة الدونا . وهل من المنتظر ان يستمر المعسكر العام الاكبر على ابقاء كل تلك الفرق في الميدان الشرقي ؟ لم يكن وريث التاج وحده هو الذي يشك في هذه المسألة بل لقد كان عدة من كبار الرؤساء المفكرين يشاركونه في رأيه . إلاّ انني كنت أناجي نفسي لعلمي بحالة اعدائنا ان الذي يجب التفكير فيه فقط أثناء هذه الحرب انما هو الانتصار أو الانهزام ، وانه ينبغي الاعتماد على وسيلة معينة ازاء رغبة الاعداء الصادقة في محونا . وكنت مقتنعاً بان الجبهة الشرقيـة قادرة على الثبات حتى فيما لو داهمتها أهوال أفدح بكثير مما أصابها في الهجمات الاخـيرة . إلا أن قضاء مبرماً عرض لها لاتقوى على مناهضته كفاءة الانسان .

ولم يعدل المعسكر العام الاكبر عن عزمه على الهجوم في منطقة الدونا لأن اقتراب هذه المنطقة من سانبطرسبورج جعلته يتوقع فوزاً عظيما .

وكنا نرى هجومنا في مولدافيا ثاني الأمور الواجب البت فيها . إلا أن هذا الهجوم الذي ارجىء الى الانتهاء من اتمام مد الخطوط الحديدية اللازمة له لم يدخل في دور التنفيذ بتاتاً . وذلك لأن هجوم الايطاليين في أواخر أغسطس للمرة الحادية عشرة في جبهة الايسنزو الذي قرن بالنجاح والذي استتبع هجوماً آخر في أوائل سبتمبر جعل الجيش النمسوي عاجزاً عن صـد الايطاليين حتى حسب ولاة الامور في النمسا عدم استطاعة الجيش النمسوي الدخول في معركة أخرى في هذا الملتحم مالم يمـد بجنود

المانيين ، ولم يكن من الموافق امداد هذا الجيش بجنود المانية تمكنه من الثبات على الدفاع فقط بل كان لابدمن امداده بالقوى الالمانية التي تتيح له القيام بهجوم عظيم وهذا الرأى هو الذى حال دون الهجوم في ميدان مولدافيا

إلا انني كنت اوثر الهجوم في مولدافيا على الهجوم في ايطاليا لأن الاول يؤدى الى انتهاء حالة الحرب مع الروسيا بتاتاً. ومع ذلك فان الهجوم على الايطاليين مؤد بلاشك الى تخفيف عظيم عن جهتنا الغربية . ولا نعلم إذا كان تجاحنا فيه مع الازمة الفحمية المستحكمة في ايطاليا يخلقان ازمة عصبية داخل البلاد الايطالية . وعلى كل حال صار من الضرورى الهجوم في الميدان الإيطالى لمنع تدهور النمسا .

وأخذت أعدّ العدة لهـذه المشروعات الجسام وأتفقد مواقع الساحة الغربية ولم أعتمد على برلين التى اعتادت التلكؤ والجمود . وفي أثناء سياحتى هذه قلبت المركبة التى كنت فيها ونحن نأكل والقطار في مسيره فحدث اضطراب وجزع شديدان مدة وجيزة . وتأثرت أعظم تأثر لموت ولدى الاكبر أو بالاحرى ولد زوجتي لانهـا لم تلد مني ذكوراً . وكنت أحب هـذا الولد حباً جماً بقدر ما كنت أحب أخواته البنات . ورأيته لآخر مرة منذ عهد قريب في مدينة ليل وهو يتوقد حمـاسة في فنه ولأجل وطنه. فأصيب في معركة جوية فوق المانش . ولم نهتد الى شلوه الا بعـد بضعة اسابيع وقد قذف به الموج الى ساحل هولاندا .

وبعد توتر الحالة هدأت واستقرت في الفلاندر منذ أواسط اغسطس وفي فردان وايطاليا منذ اول ومنتصف سبتمبر . ولم يعلم أحد مقدار الزمن الذى سيمضى في السكون .

وهجم الاتفاق بجنوده في الجبهة المقدونية ما بين ٣٠ أغسطس و ١٠

سبتمبر لانه لم يفز بطائل . وكذلك هجم بشدة على الهضاب المشرفة على اوخريده وهذا الهجوم له تأثير عظيم في مسالك الحرب العام لانه أدى الى اتساع الجبهة البلغارية .

ولم تقع في رومانيا والروسيا سوى هجمات محلية لا شأن لها من الوجهة الحربية .

وسمحت الحالة فيما بين الكاربات وتارنوبول بأخذ قوي لجعلها احتياطاً لاعمال حربية أخرى .

وفي أول سبتمبر تمكن الجيش الثامن من عبور الدونا بعد ان هاجم رأس الجسر الذى كان يحتله الروسيون وطردهم منه بغير عناء شديد. وعلى أثر ذلك منعنا هذا الجيش من موالاة زحفه وطلبنا منه ان يحصن موقفه بين الدونا وخليج ريغا وأخذنا منه عدة فرق للميدان الغربي وللجبهة الايطالية . ومع ذلك فقد ظل هذا الجيش قادراً على مطاردة الجيش الروسى وهو يلهث من شدة التعب . واذ ذاك سرى عنى بعض حرجى لانى بلغت سؤلى في الجبهة الشرقية .

— ٢ —

ان الطريقة التى اتبعتها النمسا في سنة ١٩١٦ لم تعد صالحة للهجوم على الايطاليين في عام ١٩١٧ واذ لم يكن فى استطاعتنا أن نسعف الجيش النمسوى بأكثر من ٦ الى ٨ فرق وهذه القوة الضئيلة لاتسمح باتخاذ خطة الهجوم في التيرول فقد صار من اللازم أن نتخير أضعف نقطة في الجبهة الايطالية لنقوم فيها بضربة قوية على غرة من العدو وقبل أن يتمكن من

الدفاع عن نفسه في هذه النقطة فينجم عن هذا العمل اختلال واسع النطاق في سائر النقط الاخرى من هذه الجبهة .

ووجدت المجال الصالح لهذا العمل بين فيلتش وكنال . وعلى الرغم من حزونة الارض ووعورة الجبال هنالك فانه كان خير مجال لاحداث الخلل في جهة الايسونزو اذا أمكن نقل الجنود بمدافعهم وأدواتهم الى هذه الجبهة واستخدامهم لاحراز النصر فيها . ولاجل التأكد من صلاح هذه البقعة للهجوم المكلل بالظفر أرسلنا بعثة فنية جاست خلالها بموافقة المعسكر النمسوى العام وقررت هذه البعثة امكان العمل ووضعت التفاصيل اللازمة له

وبما ان هذه المنطقة الجبلية كانت تستلزم مدفعية جبلية والمانيا في عوز شديد الى هذا النوع من المدافع سواءاً كان ذلك قبل الحرب أم أثناءها فقد استمددنا النمسا ما مست اليه حاجتنا منه .

وشرعنا على الاثر في حشد وتجهيز الفرق المختارة ونقلها واخترنا الجنود المعتادين على قتال الجبال كما اننا انتخبنا الوحدات التي لم يتح لها دخول غمرات القتال ولا تزال متعطشة الى إحراز فوز يشرفها .

وأراد الامبراطور شارل ان يتولى هو نفسه ومعه المعسكر العام الاكبر النمسوى ادارة الهجوم المنوى في الساحة الايطالية . وانتدب المعسكر العام الاكبر الالماني لتولى قيادة الجنود الالمانيين المخصصين للهجوم خيرة القواد والضباط واستوثق من الاتصال بهم في كل أدوار العمل بمد التلغرافات والتليفونات في كل أماكن الهجوم . ولكن هذا العمل الحربي لم يكن منتظراً حدوثه قبل منتصف اكتوبر .

وفي هذه الاثناء ظلت الوقائع متتالية في الجبهة الروسية وأردنا أن

نستولى على جسر جاكو بستاد الحصين فأعددنا له حملة مكينة أدت الى انتزاعه من الروسيين في ٢١ سبتمبر وكذلك أردنا الاستيلاء على جزر اويسيل ومون وداجو فأعددنالها عمارة بحرية صغيرة وعدة نقالات الا ان هبوب الرياح بشدة حال دون انزال الجنود في هذه الجزر قبل منتصف اكتوبر بالمثل .

وأدى تأجيل هاتين الحملتين الى منتصف اكتوبر الى تحملنا اعباء ثقالا . وذلك ان الهدوء العميق الذي استولى على الساحة الغربية واجتذب الافكار الى معركة الفلاندر التي انتهت لم يلبث ان تقوضت أركانه يوم ٢٠ سبتمبر اذ حدث هجوم جديد شديد على خطوطنا . وكان وسط الهجوم في المنطقة الكائنة بين باشندائيل وجيلوفيل . وأراد الانجليز به الاستيلاء على القمم الموجودة بين ايبروروليه ومنان . وهذه القمم كانت ذات شأن عظيم لنا لانها محتوية على عدة نقط استطلاع أرضى مهمة ولأنها كانت تحجبنا عن أنظار الاعداء .

ولقد تكلل هجوم العدو في ٢٠ سبتمبر بالنجاح ولم يكن الفضل في نجاحه لعربات التانكس الضخمة لانها في هذه المرة غلبت على أمرها بل كان الفضل فيه لمدفعية العدو القوية ولعجز مدفعيتنا عن اصلاء الجنود المعادية ناراً ملتهبة أثناء الاحتشاد وفي خلال الهجوم . وعاود الانجليز هجومهم في ٢٢ بلا جدوى الا انهم أعادوا الهجوم بشدة متناهية يوم ٢٦ واضطر الجيش الرابع الى ان يعاني قتالا عنيفاً جداً لم يثبت فيه الا بخسائر في منتهي الفداحة . فلم يبق أمامنا اذن أمل في انتهاء سلسلة الملاحم المتلاحقة في هذه الجبهة .

وأقبل اكتوبر مصحوباً بعهد من أعصب العهود التي مرت في هذه الحرب . لقد كان العالم – وفي مقدمته كل المحيطين بي – يرى تارنو بول وكزارنوفيتز وريغاواو بسيل واونيد والتاجليامنتو والبيافا ولا يرى خفقان قلبي وهمومه ولا يشعر بدخيلة كمدى العظيم من جراء ما أصاب جنودنا في الغرب من الآلام . لقد كان عقلي في الشرق وايطاليا وأما قلبي فلم يفارق الميدان الغربي ، فلا بد للعزيمة من ان توحد بين العقل والقلب . ولم يعد الابتهاج يغشى فؤادي منذ مدة من الزمن .

لقد انتهج العدو فى وقائع معركة الفلاندر الثالثة منوال المعركة الثانية ومعركة فردان الاخيرة : فقصر العدو مدي هجومه ليكون في مأمن من كرتنا التى أستعد للقضاء عليها باطلاق النيران الماحقة من مدافعه الكثيرة . وإذ كنت بعد كل معركة أناقش ضباطها فى تفاصيل الوقائع فقد لاح لنا أخيراً ان نعدل عن طريقتنا الحالية فى الكر أثر كل هجوم يباشره العدو بالرجوع الى احدى طرقنا العتيقة التي تتلخص فى تقوية خطوطنا الامامية أكثر من الاول والاستعاضة عن الكر بفرق التداخل التي تستجلب من الخلف بفرقة واحدة تكون مختبئة على مقربة من إحدى فرق الخط الاول فلا يكاد يهجم العدو حتى تباغته الفرقة المستترة خلف كل فرقة . لكننا اذا عمدنا الى اتباع هذه الطريقة وجب علينا ان نعممها فى سائر الأنحاء وهذا مالا يسعنا الاقدام عليه الا بعد التحقق من فائدته .

ولقد استصوبت أن أتفقد معترك الفلاندر بنفسى وأن أقيم دعائم التعديلات المراد احداثها على التجارب التي استخلصتها من مشاهداتي العينية

ووضعت خطة فنية أخرى قوامها العناية بالاستكشاف الارضي قبيل اطلاق المدافع ، اذ لا توجد وسيلة أنجع من هذه الخطة لاصابة مشاة

العدو وسحقها أثناء هجومها ولا سيما حين دخولها خطوطنا وتوجيه مجموع النيران بسرعة الى النقط التي عليها مدار الفصل في حومة الوغى وأما من جهة التانكس فان ضباط الجبهة أظهروا عدم الاهتمام بها لانهم توفقوا الى دفع اخطارها

واقبلت الذخائر والطيارات والاسلحة على اختلاف أنواعها بكثرة عظيمة الى الجيش الرابع

وفي مفتتح اكتوبر عادت المدفعيات الى التناجز . ثم حدثت معركة مدفعية شديدة جداً فى يومى ٢ و ٣ وفي صباح ٤ بدأ اقتتال المشاة ، ولبثنا مالكى ناصيته ولكن بثمن باهظ . ويظهر أن تقوية الخط الاول على النمط الذي قررناه أخيراً في سبتمبر لم يجىء بالنتيجة المرجوة فعن لى حينئذ أن انفذ ما استخلصته من التجارب بدون استشارة أحد وأمرت الجيش الرابع باعداد منطقة قتال متقدمة أي براح رقيق من الاراضى يقع بين خط العدو المتقدم والخط الذي يجب أن يستقر فيه الجنود المخصصون للدفاع المتحرك . فيضطر العدو أثناء هجومه الى اجتياز هذه المنطقة المتقدمة فتهيأ لمدفعيتنا الفرصة التي تمكنها من تسليط نيرانها الساحقة على جنود العدو قبل بلوغ خط مقاومتنا الاساسى . وصعوبة هذه الخطة منحصرة في اخلاء هذه المنطقة من جنودنا الذين يشغلونها وتوجيه نيران مدفعيتنا الى خطنا الخاص . فاخذ الجيش الرابع ينفذ هذه الخطة بفتور في باديء الامر ثم تعود عليها واعتقد فائدتها . وبذلت جهدي عدا ماتقدم في تدريب مدفعيتنا على حشد السنة نيرانها في مكان واحد لتكون افتك بالعدو المهاجم

وحدثت في يومي ٩ و ١٢ وقائع اخري تساندت فيها أجزاء الجبهة

اكثر من يوم ؛ على الرغم من احداث العدو فتكاذريعاً فى بعض الاماكن وسدت أماكن الفراغ من الجبهة الغربية والفرقتان اللتان كانتا قادمتين من الميدان الشرقى الى الساحة الايطالية حولتا وجهة سفرهما فجعلتاها الفلاندر . وتمت الحملة على اويسيل اما الحملة الايطالية فلم تتحقق قبل ٢٢ اكتوبر ثم أجلها سوء الجو الى ٢٤ وهو اليوم الذي وصلت فيه الازمة الى حدها الاقصى

— ٣ —

مثل الفصل الخامس من مأساة الفلاندر يوم ٥ اكتوبر . فبعد أن هطلت غيوث القذائف من سائر الانواع بدرجة لم تكن قابلة للتصور قبل الحرب ابتدأت جموع المشاة تزحف كالامواج الهائلة فحصدتها نيراننا ثم التقى الزحفان ودارت رحى المنون . وفي عام ١٩١٨ عند ما استرددنا هذه البقاع رأيناها مكسوة بربوات من الجثث تعد بالالوف وثلثا هذه الضحايا الانسانية من الاعداء والثلث الاخير من الالمانيين الذين ماتوا في هذه الساحة ميتة الابطال . وينبغى الاعتراف فى هذا المقام بان بعض الوحدات لم تكن تحتمل بعد هذه الوقائع الحامية الاقامة في الحفر التي تؤثر أسوأ تأثير في الحالة الادبية والاقتصار على الحركة الدفاعية

وحدثت وقائع فى منتهى القسوة في أيام ٢٦ و ٣٠ اكتوبر و ٦ و ١٠ نوفمبر فان العدو اندفع كالثور الهائج على السور الحديدي الذي يقصيه عن قاعدة غواصاتنا ثم أخذ يرتد هاجماً منقضاً على غابة هوتولست ثم على بويلكابيل وباشانداييل وجيلا ويلت وزاندفورت ، وتوصل في عدة اماكن من اجتياز خطنا . وحاول هذا الوحش الغضوب أن يخترق السور إلا أنه

لبث ثابتاً على الرغم من ارتجاجه . وعلى الرغم من صواب الخطة التي قررتها من الوجهة الخططية فانها لم تقض على جهود العدو . وكنا نعلم أن العدو يبذل في وثباته ضحايا عظيمة جداً من قواه الا اننا كنا نعلم بالمثل انه فى منتهى القوة وان قوة ارادته لا تقل عن قوته المادية . فلويدجورج يريد إلانتصار وانجلترا في قبضته

وعمد الفرنسيون فى الوقت نفسه الى الهجوم . وكانوا قد بحثوا لهم عن بارزة تصلح للهجوم فوجدوها فى الجنوب الغربي من لاون وهى المعروفة ببارزة لافو . وكان قد لوحظ استعداد العدو منذ ١٥ اكتوبر للهجوم فاتخذ الجيش كل ما رآه لازماً له من ضروب التأهب والاحتياط للدفاع . وعلى الرغم من نصيحتي بتوفير قواه الى أن يحين وقت الانتصار المؤكد لم يشأ أن يتخلى عن هذه البارزة

ونجح وثوب العدو في ٢٢ اكتوبر إذ ادى الى زحفه على شافينيون واخترق قوس البارزة خرقاً ضيقاً إلا انه عميقاً فاضطررنا الى اخلاء القوس والتراجع بالجبهة الى ما وراء القناة الممتدة من الوازالى الاين . وبلغت الخسائر حداً مؤلماً جداً فقد تمزقت بعض الفرق . واجبرنا ارجاع جبهتنا الى التخلى عن هضاب الشمان دى دام التي بذلنا جهوداً هائلة في سبيل الاستيلاء عليها

وأحرز العدو يوم ٢٣ اكتوبر فوزاً آخر أثناء تقدمه الى جهة القناة إلا انه لم يلبث أن أخفق فى كل حركاته التى أراد بها الاحداق بنا أو اختراق خطنا وكان اعتماد الفرنسويون في هذا المكان على جمع مدافعه بكثرة هائلة واطلاقها بشدة متناهية كما فعل فى فردان.

وبينما كانت معارك الميدان الغربي تسقى بطاح فرنسا دماءنا كان جيشنا في الميدان الشرقى موفقاً فى الحملة التى وجهها الى اوسيل وجنودنا

الموجودة في الساحة الايطالية متقدمة الى اقتحام الهيجاء لتنتقل من نصر الى آخر

ثم خفت الازمة الناجمة عن معركتي الفلاندر وبارزة لافو . فاخذنا نترقب عودة القتال في هاتين الجهتين إلا اننا فوجئنا في يوم ٢٠ نوفمبر بحادثة كمبريه ، ولم يكن موقع سيجفريد قوى الحماية لان الفرق التى تتولى حمايته اضطرت الى الانتشار برضاء المعسكر العام الاكبر . فنجم عن ضعف هذا الموقع خطر عجلنا بتلافيه بمجهودات كبيرة . واعمنا استبدال الفرق الغربية المنهوكة قواها بالفرق الشرقية المرتاحة القادمة حديثاً

واستفاد الانجليز من تكاثف الآجام العظيمة المنتشرة فى جهة هافر نكور فحشدوا فيها طائفة كبيرة من التانكس وعدة فرق من الخيالة بين الطريقين الموصلين من باوم وبيرون الى كمبريه ، وفي صباح ٢٠ نوفمبر اتخذوا خطة الهجوم بعد تمهيد قصير إلا انه شديد بالمدفعية . واجتازت التانكس العوائق والخنادق وفتحت الطريق للمشاة الذين يتبعونها وكذلك لفرق الخيالة . وعلمت من محادثة تليفونية مع رئيس أركان حرب الجيش الثاني في الساعة الثامنة صباحاً ان العدو تدفق بافواجه على خطوطنا . فارسلت في الحال بضع فرق كانت فى فترة الارتياح وكذلك بضعة فرق أخرى خلف مجموعة وريث المانيا لم تذق الراحة بعد الى كمبريه . وكان القائد كوهل قد سار باتوموبيله الى الجيش الرابع قبل أن يفاجأ بنبأ المعركة التى يصطلى الجيش الثانى نيرانها المتواصلة الحامية . فاخذنا نستقدم قوي بوجه السرعة إلا أن قدومها المتفرق من أماكنها المختلفة كان يتقاضى من يومين الى ثلاثة ما بين سير الى محطات السفر ثم النزول من القطارات والسيارات ثانية على الاقدام الى أماكن القتال . ووصل أول قطار الى

محطة كمبريه صباح ٢١ ولم تكتمل لدينا النجدات التي تسمح بمقاومة هجوم العدو إلا في يوم ٢٢ . وحـدث تألم شديد من نقص المركبات اللازمة لنقل الجنود

ولم اتبين مقدار عظم الثغرة الاحوالى الظهر فعراني اضطراب شديد. وكل ما كان يمكن عمله لتلافي هذا المصاب كان لا يزال فى طريق الاعداد . فلا سبيل سوى ترك الاقدار تجرى فى مجاريها .

ولم يستفد رؤساء الجيش الانجليزى من الفوز الباهر الذى ادركوه ولو انتهزوا الفرصة لما استطعنا سد هذه الثغرة . وأمكن حصر هجوم العدو بعد ظهر يوم ٢٢ ويوم ٢٣ فى الخط الممتدبين سيفر وبور لون وفونتان ونوابيل وما سنيير . وحينئذ رأيت ان احمل على قوة الهجوم الانجليزى من الجنب . وهذا الرأي صواب من الوجهة الفنية الا انه عسير من الوجهة العملية لانه يقتضى مدة طويلة واعمالا تحضيرية شاقه .

وانتهى الهجوم الانجليزي الفرنسوى دون ان يستنفد مقادير هائلة من قوانا . وفى ٢٩ نوفمبر كان الجيش الثاني قد صار مستعدا للكر . ففوجيء الانجليز وتكللت كرتنا التي حدثت في ٣٠ نوفمبر بالنجاح لاعتمادها على مفعول المدفعية الشديد الا انه لم يكن النجاح الذى كنت آمله بيد انه على كل حال يسرلنا الانتصار في الجبهة الغربية بالمثل . والذى يرفع من شأن هذا الظفر انه حدث على ايدى جنود لا يصلحون للهجوم لانهم خليط من فضلات الوقائع . وحدث شيء فى منتهى الخطارة جعل هذا الانتصار ناقصاً ، وذلك ان احدى الفرق المتينة التقت فى طريق هجومها بمستودع مؤن الهاها عن متابعة سيرها وراء العدو . وكر الانجليز ثانية فدفعناهم وظل القتال ناشباً الى ٥ نوفمبر الذى استرددنا فيه البقاع المغتصبة

بل لقد تقدمنا في بعض الاماكن . وهذه خير خاتمة للوقائع المتناهية في الشدة التي اختتم بها عام ١٩١٧ اذ اكتسبنا نصراً مبينا على الانجليز ونقط ارتكاز في منتهى الاهمية تفيدنا فى اعمالنا الهجومية المنوية لسنة ١٩١٨

ولم يتعرض الانجليز والفرنسويون للهجوم في بقية ١٩١٧ وشغلهم ما دعتهم اليه الضرورة القصوى من انجاد حليفتهم ايطاليا التي اصيبت بهزائم شنعاء فارسلوا اليها عدة فرق . ثم ساد السكون الجبهة الغربية فى الوقت الذي صرنا في اشد الحاجه اليه

— ٤ —

بدأ الهجوم على الجيش الايطالى يوم ٢٤ اكتوبر وكان لا بد للجيش النمسوى الموجود في جهة فليتش وللجيش الرابع عشر الالماني من الاستيلاء على الجبال الصخرية الممتدة على الشاطىء الايمن من الايسونزو ومن جملتها هضبة ماتاجور البالغ ارتفاعها ١٦٤٣ مترا . وبينما كانت جميع الفرق تتسلق هذه الهضاب كانت الفرقة الثانية عشرة من المشاة منطلقة من تولمينو في اتجاه كار فريت ومارة حول الماتاجور قاصدة تشيفيدال بواسطة الطريق المنسابة فى الوادى .

وسار الجيش الرابع عشر ببطء شديد فى منطقة الجبال لانه لم يكن له فيها سوى طريقين ضيقتين جداً فى بعض الاماكن ولانه أراد اخفاء حركاته عن انظار الايطاليين . وارسلت المدافع وقاذفات الالغام تحت حماية عدة طوابير نمسوية . ثم سار المشاة بعد وصول التشكيلات المتقدم ذكرها

واستغرق حشد قوى الهجوم في المكان المعد لها عدة أيام . ولقد أفاد هجوم الاعداء بشدة في الميدان الغربي فائدة عظيمة في الجبهة الايطالية لانه صرف نظر القائد كادورنا عن احتمال حدوث هجوم فجائي في ساحته

بعد تمهيد المدفعية الذي دام بضع ساعات تسلق الجنود القمم التي في أيدى الايطاليين يوم ٢٤ نوفبر بينما كانت الفرقة الثانية عشرة مندفعة الى الامام بجد فى الوادى لتبلغ كارفريت وتتخطاها . وتم استيلاؤنا على خط القمم بأمره يوم ٢٥ وصار الاستيلاء على القسم الاعظم من هضبة المـاناجور . وفى ٢٧ اسـتولينا على بقاع أخرى من المنطقة الجبلية فى اتجـاه مجرى التاجليامنتو واحتللنا تشيفيدال . فبدأت الجبهة الايطالية الشمالية الـكائنة على امتداد تخم كارنيول وجبهة الايسونزو تتزعزعان الان مجموعة بورويفيك لم تقتف آثار العدو بهمة تذكر فتمكن قسم عظيم من الايطاليين من الفرار . فصـدر الامر للقائد بيلوف بالزحف بجناحه الايسر الى كودرويبو والى ما وراءها بسرعة شديدة لاصابة العدو اصابة قاضية فيما وراء التاجليامنتو . وفى ٣٠ نوفبر سقط ٣٠٠٠٠ اسير ايطالى بين أيدينا . وفى أول ديسمبر بلغنا مجرى هذا النهر على طول امتداده فى جنوب تولميزو .

فكان يوم ٣٠ نوفبر يوم انتصار عام في كمبريه بفرنسـا وفي جميع الجبهة الايطالية .

وتم اجتياز التاجليامنتو في ٦ ديسمبر وفي ١١ بلغنا نهر البيافا . وتقدم الجناح الايمن من الجيش الرابع عشر في منطقة الجيـاد مكتسحاً كل ما أمامه ففرت القوة الايطالية الى ما وراء نهر البيافا فانحدر الجنـاح الايمن الى المنطقة السهلية الا ان فيضان هـذا النهر حال دون اجتيازه . وأخذ الايطاليون يلمون شعثهم خلف ذلك النهر وأقبلت اليهم الفرق الاولى من النجدات الفرنسوية الانجليزية .

وصـار من الضروري بعـد انحدار معظم الجيش الى السهل تنظيم المواصـلات الخلفية بمد السكك الحديدية اللازمة . وكذلك أصـبح من

الواجب اراحة الجنود الذين أتعبهم قتال الجبال . وأخذت القوى المتخلفة في المنطقة الجبلية توالي زحفها ولكن ببطء شديد من جراء ما ألمّ بها من الوصب فلم تقو على انتزاع أهم وآخر ذروة جبلية منيعة وهي قمة جرابا.

وظهر لي من مباحثة القائد كرافت ان لا فائدة لنا من موالاة هجومنا على نهر البيافا . وبما ان الهجوم الذي شرع فيه القائد كونراد على الايسنزو في ٤ ديسمبر لم يؤد الى نتيجة حاسمة فلم تبق لنا حاجة الى ابقاء الفرق الالمانية في الجبهة الايطالية ولا سيما بعد ان دخلت الروسيا في دور المفاوضات التمهيدية للصلح . فالنمسا تستطيع الآن ان تتحمل اعباء القتال بمفردها لأن جيشها استفاد قوة وشجاعة جديدتين ولأن الجيش الايطالي أصيب بهزيمة شنعاء تمنعه الى وقت طويل من معاودة الهجوم . فطلبنا حينئذ من القائد آرز ان ينقل بالسكك الحديد الجنود الالمانية الى الجبهة الغربية .

ولقد ظهر من هذه المعركة العظيمة أن الجنود الالمانيين لا يزالون حاصلين على خصيصة القتال المتحرك حتى في أشق مناطق الجبال . الا ان أمارات الضعف والتراخي أخذت تبدو على ملامح بعض الجنود الشبان.

٥

بعد ان حدث نشاط متزايد في الجبهة المقدونية أثناء شهر سبتمبر ساد السكون هذه الجبهة واستتب فيها . واهتم القائد فون شولتز بتنظيم الجنود البلغاريين وبتقويتهم استعداداً للقتال المقبل . وحذا حذو هذا القائد كل الرؤساء العسكريين الموجودين في الميدان المقدوني . بيد ان

المعسكر العام الاكبر البلغارى أخذ من الآن فصاعداً لا يهتم بتاتاً بهذه المسائل المتناهية في الخطارة .

وفى خلال هذه الفترة لم تن عزيمة الاتفاق من استمالة الجيش اليوناني الموالىء الملك الى مصاف الدول المتفقة . وكان الملك قسطنطين قد أزل من عرشه وأخلفه ابنه اسكندر فتولى فينزيلوس أزمة الاحكام وتأهب الجيش اليوناني للحرب الا ان تعليم الجنود ظل بطيئاً .

ولبث مركز العثمانيين فى فلسطين وفى العراق سيئاً . وقد صحت العزائم على توجيه حملة الى بغداد فى خريف ١٩١٧ أو ربيع ١٩١٨ وبدىء في اعداد مطالب هذه الحملة الا ان العمل لم يتقدم فى طريق الاتمام علي الرغم من تحسن وسائل النقل باستخدام النفق الذي تم احتفاره ، وذلك لان حركة الشحن والتفريغ بقيت متعبة وغير منتظمة . وكان الرؤساء العسكريون المحليون يعتقدون ان في امكانهم التغلب على سائر العقبات بفضل التعضيد الذي يلاقونه من المعسكر العام الاكبر ، فكان اعتقادهم هذا قائماً على حسن ثقة متناهية فى الاتراك .

وكانت قاعدة العمل الحربي في الحملة الموجهة الى بغداد ان تظل الجبهة الفلسطينية قوية . وظلت ألفت نظر أنور الى هذه النقطة طالباً منه تقوية الجبهة المذكورة وتحسين حالة النقل في سوريا . وأيد المعسكر العام الاكبر أنور باشا بكل ما استطاعه من ضروب التأييد والمساعدة الا ان كل ما أرسله اليه من المساعدات التي لا تكاد تفى بالحاجة الا بالجهد الجهيد أساء الاتراك التصرف فيها .

وكان الكولونيل فون كريس في مقدمة الذين اجتهدوا فى اصلاح حالة الجيوش العثمانية فى فلسطين . وعلمت أخيراً انه كان مطلعاً على هواجس

وآلام المعسكر العام الفلسطيني أكثر من اطلاع رجال الاستانة عليها وقد أخطر المعسكر العام الاكبر بها على علاتها .

وأخذ القائمون بالامر في القسطنطينية يتحولون بالتدريج الى فكرة الاهتمام بالذود عن فلسطين أكثر من الاول . وأرادوا ان يحلوا هـذه المسألة بالقيام بهجوم كبير فأرجئت الحملة على بغداد . فلم يكن اذ ذاك بد من نقل هيأة أركان حرب الفون فلكنهاين الى فلسطين . غير ان الكولونيل فون كريس كان يشك فى امكان القيام بهجوم بالنظر لحالة الوسائل النقلية وحالة الجنود العثمانية . وكان محقاً في وجهة نظره اذ بدلا من هجوم الاتراك شرع الانجليز فى الهجوم . فطفق الكولونيل بعد اخفاق الانجليز فى هجومهم على غزة في مارس يمزق المواصلات الانجليزية فى شبه جزيرة سيناء ويزعج مؤخرتهم باغارات متتابعة وبحملات جوية . ونجح مرة في اتلاف مجرى الماء العذب ولكنه لم يستطع ان يحدث خسائر فادحة ولا ان يقطع السكة الحديدية .

وفي أوائل أغسطس زحفت كراديس هائلة من الخيالة الانجليزية على بئر سبع بقصد الاحداق فيها بالجناح الايسر من جبهة غزة وللاقتراب من مشارع المياه القريبة من أورشليم فأخفقت هذه الكراديس فى مشروعها كما أخفقت القوى الانجليزية فى الحملات التي همت بها ما بين ٢ و١٨ اكتوبر ولم يستول الانجليز على بئر سبع الا في ٢ نوفمبر . ثم هجموا على أثر ذلك على غزة براً وبحراً فارتد الجيش العثماني ولم يقف في ارتداده الا فى خط ممتد من يافا الى البحر الميت لتغطية أورشليم ، فتبعه الجيش الانجليزي على مهل . وفي ١٧ استولى على يافا ونشر قوى عظيمة فى اتجاه أورشليم . فلم يثبت الاتراك فى اورشليم الى ان يتم الفصل فى الوقعة بل تراجعوا

الى موقع محصن فى جنوب نابلس كائن ما بين البحر ونهر الاردن. وفى ٩ ديسمبر احتل الانجليز اورشليم فأصيب الجيش العثماني بخسائر فادحة. فلم يعد هنالك أمل فى ان يقوم الا بدفاع ضعيف. وأخذ فيلق آسيا الالماني يصل أجزاء متقطعة الى الجبهة الاسيوية فأكسب قديمه حلفاءنا شيئاً من الصلابة والاقدام.

واحدثت هزيمة الاتراك أثراً سيئاً في نفوس العرب الذين أخذوا يستدبرونهم مصوبي وجوههم شطر الانجليز

وأخذ الانجليز بعد استيلائهم على بغداد يستولون على الاراضى المنتشرة على طول الدجلة والفرات فاحتلوا الرمادية وسامراء في اكتوبر واستولوا على بقاع أخرى على مقربة من ولاية الموصل في نوفمبر

على أثر نجاح الانجليز في الجبهتين الفلسطينية والعراقية اصبحت قوة المقاومة العثمانية فيهما ضعيفة ولا يمكن تقويتها إلا بارسال نجدات عظيمة الى الجبهتين

ووقفت أعمال التأهب تماما في الجبهة الروسية العثمانية لان أنور شرع عملا برأيي أن يقوي الجبهة العراقية بامداد مقتطعة من هذه الجبهة، بيداني لم أحقق مطلقا مما اذا كانت قد ارسلت حقيقة جنود من هذه الجبهة الى ارض الجزيره

— ٦ —

استمرت الوقائع على الجبهة الرومانية في سبتمبر من غير التوصل الى نتيجة ثم هدأت واستولى السكون على الجبهة الشرقية. واسترجعنا منذ

منتصف اكتوبر نقطنا الامامية الى الموقع الدفاعى في شرق ريغالان العلائق المتينة اخذت تنتشر بين المعسكرين فرأينا أن نعمل بقدر ما في وسعنا لانماء العاطفة السلمية فى الجيش الروسى .

وفي ١١ اكتوبر أقلعت عمارتنا البحرية الى ليبا والشروع في الاستيلاء على الجزر الكائنة أمام خليج ريغا . وكان هدفنا الاكبر في هذه الحملة البحرية بطرسبورج فأحدث تحرك الاسطول هلعاً واضطراباً عظيمين في الاوساط الروسية الكبري . وقد سررت بتحرك الاسطول لان رجال الحزب الاشتراكي الديموقراطى المستقل انتهزوا فرصة جمود الاسطول وانتشار بحارته في الداخل واحتكاكهم كثيراً بطبقات الشعب فصبغوهم بالصبغة الثورية وساعد على نمو روح التمرد في نفوس البحارة خلو العمارة البحرية الكبرى من أكثر مهندسيها وضباطها الممتازين بالخبرة والحزم والتقدم في السن بسبب انتقالهم الى الغواصات . فقيام اسطولنا بعمل حربي من شأنه أن يزيل سأم البحارة ويرد اليهم روح الطاعة والنظام ويكسبهم نشاطاً وإقداماً

واهتمت امارة البحر بامر النقالات التي ستقل جنود الحملة وبحمايتها ويحمل الجنود وانزالهم وتألفت الحملة من فرقة عاملة ولواء من الخيالة وركاب العجلات واختير خليج تاججا في الطرف الشمال الغربي من جزيرة اويسيل نقطة لنزول الحملة

وبينما كانت العمارة البحرية تدخل خليج ريغا وتتقدم فى اتجاه المونسوند بعد أن اتلفت بطاريات بحيث جزيرة سوورب — في الطرف الجنوبي من اويسيل — كانت عدة من النسافات تدور حول الجزيرة من جانبها الشمالى لتسليط نيران مدافعها على الاحواض المستطيلة التي تصل اويسيل بمون

وتقطع على الجنود المعادية خط رجعتها الى اوبسيل . ثم تمد بعد ذلك الى التقدم في المونسوند من الشمال . وأرادت امارة البحر بهذه الحركة الاشتباك في معركة بحرية مع اسطول العدو الموجود هنا لك أو فصله من قواعده . وأما انزال الجنود في اويسيل فيراد منه الاستيلاء سريعاً على الحوض ثم امتلاك الجزيرة منها فتتمكن بهذه الطريقة جنودنا من الوصول الى مؤخرة المدافعين عن شبه جزيرة سوورب . ونجحت كل النجاح هذه الاعمال سوى تمكن فئة ضئيلة من الحامية من الفرار بواسطة الحوض . وفي ١٦ صارت أويسيل في قبضتنا واستولينا على مون في ١٨ وبعد قليل سقطت داجوي فى أيدينا . وعنت الفرصة لاسطولنا فنازل قوات بحرية معادية وبعد هذه الحركة اصبح الكفاح منتهياً فى الشرق الى حين

لست أدري مقدار ما كان لوثباتنا الاخيرة من التأثير الفعال في حوادث الروسيا ؟ إلا أن انحلال الجيش الروسى ازداد على أثر تولى البولشفيين ازمة الاحكام فى الخريف . وذلك لان الضباط تجردوا من امتيازاتهم ولم تبق لهم سلطة على الجنود لانهم صاروا فى مصافهم بل صاروا فيما بعد أقل شأناً من الجنود . وقد وجد هنا لك بالمثل اناس لا يفقهون ان الجيش هو دعامة السلم والامن والنظام فى سائر البقاع ، وإن فقد الضباط نفوذهم فى الجيش هو تقويض أركان الجيش ، وانتقاض الجيش مؤد الى انهيار أركان النظام الاجتماعى . وقال لى لتمان سكوروبادسكي لا أدرى كيف أفلت من يدى العرضى الذى كنت اتولى زمامه أثناء الحرب ، لقد تم هذا الامر فى لحظة واحدة

ان السلطة لم تسلب من الجيش الروسى بل وضعت فى أيدي مجلس الجنود بدلا من رئاسة القيادة ، وهذا المجلس جرد من السلاح كل من

لم يكن من طبقة العمال وأنشأ الحرس الاحمر . وحدث مثل هذا في الدوائر السياسية فان طبقة الملاك أقصيت من الشؤون الرسمية وتولت طبقة العمال ومجلسها أزمة الاحكام . وأدى هذا التطور الى قلب النظام العتيق رأساً على عقب فحصرت ملكية الاشياء في دائرة ضيقة وقضى على حب العمل وأصبحت المرأة ملكا مشاعاً للجميع ، وطفقت الميول السافلة تزداد شيئاً فشيئاً . وتوطد حكم بعض الافراد المطلق الدموي القائم على كواهل جنود متفانين فى تأييده وهم خليط من كل النحل بما فيهم متطوعة الصينيين . وبخضوع تلك البلاد لهذا الحكم المطلق أخذت تتدهور فى هوة الفناء بيد ان هذا التدهور لم يكن مما يأبه له رجال السلطة المطلقة . فحدث حينئذ هذا الامر الغريب وهو ان الذين كانوا يتذمرون من الاستبداد والاستخفاف بصوت الجمهور أصبحوا من أشد الناس استبداداً واستخفافاً بالشعور العام ، وحشدوا الجنود ولكن لا لمحاربة العدو الخارجي بل للقضاء على كل ما لم يزل باقياً الى ذلك الحين . وفيما بعد أدرك كل أولئك القوم بما فيهم الذين قوضوا اركان الجيش الروسي مقدار الخطر الذى تنساق البلاد اليه وهم فى جملتها ، بيد انهم لم يقبلوا تجنيد أحد غير طبقة العمال ولم يتنازلوا عن شيء من مبادئهم ولا دعوا الى الاتحاد الذي يؤدى الى تجدد النهضة في البلاد . وأصبحت طبقتا الملاك والزراع مجردتين من كل شيء . فمتى تستردان قوتهما الحيوية ؟ لا دليل على امكان حدوث ذلك .

ولقد أخذ مركز البولشفيين يزداد رسوخاً فى الروسيا منذ اكتوبر ١٩١٧ وما داخلني شك مطلقاً فيما سيجلبه انحلال الجيش الروسى والشعب الروسي من الخطر الهائل على المانيا والنمسا . وأخذ قلقي يزداد من جراء الضعف المستولى على حكومتنا وحكومة النمسا . ان حكومتنا بارسالها لينين

الى الروسيا أخذت على عاتقها تبعة عظيمة ! فأما سفره فكان صواباً من الوجهة العسكرية لوجوب سقوط الروسيا . وأما من الوجهة السياسية فكان من الواجب على الحكومة ان تفكر فيماسيؤدي اليه سقوط الروسيا من سقوط المانيا بالمثل .

وقد أعددت في الصيف شروطاً للهدنة لاننا كنا نريد ان نتوصل الى الاتفاق مع الروسيا لما يستدعيه مجرى الحرب العام من استتباب السلم في الجانب الشرقي . وهذه الشروط تقضي بابطال الاعمال العدائية في الخطوط التي يحتاها الطرفان المختصمان وقت المهادنة ، ولم أتطلب اخلاء أية بقعة ولا القاء السلاح ، فخلت الشروط بهذه الطريقة من كل ما يحول دون ابرام الهدنة فالصلح من بعدها . فوافقت حكومة الامبراطورية والمعسكرات الكبرى العامة لحلفائنا على هذا المشروع . وحدث الاتفاق على أنه اذا جرت المفاوضة بشأن الهدنة ما بين الجبهتين فتكون رآسة القيادةالعلياهي التيتباشرها بحضورمندوب منقبلاستشارةالامبراطورية . وكذلك في مفاوضة الصلح بواسطة الاستشارة يحضر مندوب من قبل المعسكر العام الاكبر . وأعددت كل ما يلزم للمفاوضة اذا ما طلبت منا الروسيا المهادنة .

وفي نوفمبر بلغ تأثير البولشفية في تحليل الجيش الروسي مبلغاً جعلني أضعف جبهتنا الروسية بما أخذته منها لتقوية جيوشنا الغربية . وكانت قوانا المنتشرة على طولامتدادالساحة الشرقية تبلغ ثمانين فرقة أيحوالى ثلث قوانا العامة فاتفقنا مع النمسا على سحب معظم قوانا من غاليسيا وترانسلفانيا وبيكوفينا والاستعاضة عنها بالجنود النمسوية . بيدان موقف الروسيا المبهم لم ييسر لنا نقل كل ما نستطيع حمله الى الميدان الغربي .

وفى أواخر نوفمبر بدأت القطارات تنهب السكك الحديديةمن الشرق الى الغرب حاملة فرقا جديدة مرتاحة تتقوى بها سائر نقط الجبهة الغربية .

ومنذ نوفمبر اخذت فكرة الهجوم على فرنسا فى ١٩١٨ تشغل أفكار عدد كبير من رؤساء الجبهة الغربية ، وكنت أنا فى مقدمة المشغولين بهذه الفكرة . ولبثت أترقب على أحر من الجمر اليوم الذي تفاوضنا فيه الحكومة الروسية فى صدد المهادنه . وتم الامتزاج فى نقط عديدة من الجبهة بين الجيشين فى نوفمبر . وأخذت الوحدات التي تمازجنا تزداد زيادة عظيمة ، بل لقد عرضت علينا جيوش روسية منفرد بعضها عن بعض وقف رحى القتال .وصار التخابر فى صدد الصلح في دونابورج إلا أن المخابرات اخفقت . وصار التوقيع فى عدة أماكن على شروط هدنة غير أن الحالة كانت مبهمة مضطربة . فالصلح واقع إلا أن صفة الحرب لاتزال موجودة . وفى ٢٦ نوفمبر سأل رئيس القيادة الروسية ومندوب الشعب كريلنكو بالتلغراف الاثيري إذاكان المسكر العام الاكبر الالماني مستعداً لابرام الهدنه . فأجبنا باستعدادنا . وفى ٢ ديسمبر اخترق المفاوضون الروسيون الخطوط الالمانية . فدارت المفاوضات فى بريست ليتوفسك التى كانت لا تزال مركز القيادة العامة وحضر مفاوضون فى الحال من قبل حلفائنا . وفى ٧ ديسمبر جرى التوقيع على عقد هدنة لمدة عشرة أيام وقد تولى القائد هوفمان هذه المفاوضات بسداد عظيم وحال دون عبث البولشفيين . وعاد ممثلوا الروسيا الى سانبطرسبورج ليتلقوا المعلومات الكافية عن شروط الهدنة وفى ١٥ صار التوقيع على الهدنة العامه ، وهذه الهدنة تبتدئ من يوم ١٦ موعد انتهاء الاتفاق الاول وتنتهى فى يوم ١٣ يناير ١٩١٨ ظهراً . واذا لم يصدر اعلان من أحد الطرفين قبل

انقضاء المدة بسبعة أيام فان المدة تمتد من تلقاء نفسها

ولم يحدث تغيير في معالم الجبهة بل بقيت حدود الطرفين اسلا كهما الشائكة واجتاز اختلاط الجيشين بعضهما ببعض فاصبح من الجلي أن الروسيين يرمون الى ترويج دعوتهم المشاعية بين جنودنا . وأظهر رئيس القيادة الشرقية استعداده لمحاربة الدعوة الروسية إلا أن المعسكر العام الاكبر لم يشأ أن يقبل بمثل هـذه الحالة المبهمة الخطرة غير أن الحكومة الالمانية لم تظاهرنا . وحدثت مفاوضات منفصلة بعضها عن بعض في جهة رومانية وفي آسيا الصغرى على نسق ما حدث في جبهتنا

ولقد يكون من المستحسن المقارنة بين ما فعلناه نحن مع الروسيين وهم مغلوبون وبين ما يريده الاتفاق من افنائنا .

والآن أصبحت هادئ البال إذ بعد ثلاثة أعوام قضيناها في صراع موصول مع دولة متفوقة علينا تفوقاً عظيما عقدنا معها شروط هدنة فتحت أبواب الصلح لرجال سياستنا وكان انتصارنا على هذه الدولة من أعظم الاعمال الحربية التي عرفها التاريخ والتي تدل على مقدار تفوق القريحة الالمانية . وخففنا بهذه المهادنة العبء عن كاهل النمسا التي اكسبناها فوزاً باهراً في الساحة الايطالية . وصار مركزنا في الغرب أحسن مما كان عليه في كل وقت آخر . وصرنا ننتظر البدء في مخابرات الصلح حوالى عيد الميلاد في بريست ليتوفسك ، وصار الحظ مساعداً لنا على انهاء الحرب من طريق الانتصار .

بيد أن الحالة في آسيا الصغري لم تكن جارية وفق المرام إلا أن مجموع الحوادث في أوربا جعل المسألة الاسيوية في مؤخرة الامور المهمة

ان الجنود الالمانيين ورؤساءهم الذين قاتلوا في الجبهة الغربية يحق لهم

الفخر بانهم وضعوا بمجهوداتهم العظيمة أساس هذه النتيجة العظمى . فما تم انتصارنا في ايطاليا وفي الشرق الا بفضل ثباتنا في الملتحم الغربي . فهناك كان الجندى الالماني بطلا بالمثل كما كان الجندى الالماني في الساحات الاخرى

وظلت علائق المعسكر العام الاكبر حسنة مع حلفائنا في هذا العام كما كان شأنها في العام الغابر

وأثر الانقلاب الحربي الذى طرأ أخيراً في الاتفاق إلا أنه لبث يعلق الآمالة بامريكا . أما الرأى العام الفرنسوى فساوره الشك منذ معركة الاين وشمبانيا . وفي نوفمبر تولى كلمانسو رآسة الوزارة وهو أجرأ رجل في فرنسا وبما أنه حضر حرب ١٨٧٠ — ١٨٧١ فهو معتبر من أكبر ممثلي فكرة الانتقام ، وبما انه يعرف حق المعرفة ما يريد أن يفعله فقد صمم على مواصلة الكفاح وأخمد كل حركة ترمي الى السلم وقوى الحالة الادبيـة في بلاده ودلنا ما اتخذه ضد كايو على ما يجب أن نتوقعه منه. ولم يفكر إلا في احراز النصر وهو كلويد جورج يقود البلاد باسرها خلفه . فاكتسى سير الحرب لدى الاعداء ثوباً من الانتعاش والقوة . وكذلك اشتد الميل الى دخول الحرب في أمريكا . وتغلبت الحـكومة على كل شعور سلمى ، كما تغلب كلمانسو ولويد جورج على الشعور الذى غشى ايطاليا من جراء انهزامها الاخير . وبهـذه الطريقة خضعت الدول الديموقراطية للحـكم المطلق

إن القرار الذى أصدره الرايخستاج بشأن الصلح دفع الفاتيكان الى القيام بسعي سلمى . وفي منتصف أغسطس صدرت مذكرة البابا السلمية الموجهة الى زعماء الدول المقتتلة . وهى تتضمن صلحاً بلا ضم ولا غرامة وهي تسلب منا حقوقاً كثيرة وتكسب الاتفاق فوائد جمة لم نكن ننتظرها وكان الرأي العام الالماني ازاء هـذه المذكرة مماثلا لحالته في يوليه عند ما

صدر قرار الرايخستاج . فصحافة أحزاب اليمين رفضتها وأما صحافة أحزاب الغالبية فاستقبلتها بالحفاوة ودعت العدو الى التفكير والى البحث في المذكرة السلمية . واقتصرت الصحافة المعادية على رفض المذكرة

وقرأ علينا المستشار ميخائيليس في كراوزناخ مشروع جوابه على المذكرة . ولم أكن موافقاً على ابرام الصلح بهذه الطريقة غير اني امتنعت عن ابداء اعتراضاتي . وكانت هذه الاقاويل المتكاثرة في صدد الصلح تحرك هو اجسي بما تحدثه من التأثير السيء في مجرى الحرب عندنا . واني كلما استرجعت في ذاكرتي هذه الذكرى آسف جد الاسف لعدم وقوفي بمنتهى قوتي أمام تلك اليد . فان الصلح الذى كنت اصبو اليه يجب أن تبرمه الدوائر السياسية ولكن محادثة الشعب بشأنه على الدوام في حين أن الخصم ثابت على عزمه ومصمم على سحقنا لا تؤدي الى عاقبة حاسمه . ولقد كان الاتفاق في مسلكه ازاء هذه المسألة المثال المحتذى

وكان جوابنا وجواب النمسا مصبوغين بصبغة الملاينة والموافقة واشترك في تحريره سبعة من أعضاء الرايخستاج الذين أصدروا قرار الصلح السابق وأما جواب الاتفاق فكان الرفض أوكان على الاقل مبهما . فلم يتوفق البابا في مسعاه . فعادت النغمة القديمة وهي أن المانيا تريد الصلح والاتفاق يأباه عليها . فهو ينشر بين ظهرانينا الدعوة الى الصلح والاتفاق والتصافي حتى إذا ما دارت المخابرات نحل الاعذار التي تجيز له الرفض وصمم على سحقنا .

وحينما استلم المستشار الدكتور ميخائيليس أزمة الشؤون اعلمته أن المسيو هيجوستين ذو علاقة بسفير اليابان في ستوكهلم وانه عظيم الامل . وكان عازماً على السفر ويريد ان يجتمع بذلك السفير . فاستقبل المستشار

المسيو ستين ولم أقف على ما حدث بعد ذلك

وفي أواخر أغسطس أو في أوائل سبتمبر أشيع فجأة أن قد عنت فرصة للتفاوض مع الاتفاق . وكان المستشار والفون كوهلمان الذى صار وزير الخارجية على أثر التغيير الجديد يتحادثان مراً في هـذا الصدد . وعلمت من الكولونيل فون هايفتن ان قد جاء نبأ من بلد محايد يفيد أن المستر اسكويث رئيس الوزارة الانجليزية السابق التى خطبة في يوم ٢٧ يوليه صرح على أثرها المستر لويد جورج بانه ينتظر منا بياناً عن بلجيكا فأخبرني المستشار حينئذ بان مشروع الصلح طرح على بساط البحث من جانب انجلترا . فكان هذا النبأ داعياً بالطبع لابتهاجى ، لأن انجلترا اذا جنحت الى المسالمة فان الصلح يصير قريب التحقيق . فتباحثنا مع المستشار عدة مرار في صدد بلجيكا . وكان غرضنا أن تدوم صلتنا الاقتصادية ببلجيكا في المستقبل كما كانت قبل الحرب . فصار لدي الحكومة قاعدة من هذا المقصد تكفي للشروع في التخابر مع انجلترا . واخـذت انتظر أن يفضى وزير الخارجية في أواخر سبتمبر بتصريح من هـذا القبيل في الرايخستاج وفي ٢٠ سبتمبر جرت محادثة ضافية بين الكولونيل الفون هايفتن وهذا الوزير الذى ظهر في مظهر المجافاة وقال لمخاطبه : « من ذا الذى أنبأك يا هذا بأنى ابتغى بيع جوادى البلجيكي ؟ الست أنا المتصرف في شأنه الآن ؟ فهذا الجواد لا مساومة الآن فيه . » ولم يتعرض في خطابه الذى ألقاه في الرايخستاج يوم ١٩ اكتوبر لبلجيكا بل خاض مسألة الالزاس واللورين وسلامة أرض الامبراطورية فقال في وسط عاصفة من تصفيق النواب : « ما دامت قبضة المانية تقوى على حمل البندقية فان سلامة ارض الامبراطورية كما تسلمناها من أبائنا ميراثاً مجيداً لا يمكن أن تكون موضوع

المخابرات والمساومات . » فلم نتقدم اذن خطوة نحو انجلترا . وعلى ذلك لم تبق هنالك مشاريع صلحية . ولم تصل الى المعسكر العام الاكبر اجوبة واضحة عن الاسئلة الموجهة منه الى الوزير الفون كوهلمان . فقنطت من ابرام الصلح واسفت على الرجاء الذى خامرني آونة ما . على أن المستشار لم ينجح بالمثل في ربط الشعب بالرايخستاج بل لقد كان موقفه ازاء الرايخستاج موقف الاجنبي

وانتظرت من الفون لا نكن أن يفيدني عن نتيجة مقابلته مع بعض ساسة فرنسا وقد سافر الفون لانكن لهذا الغرض الى سويسرا الا انه لم يقابل أى سياسى فرنسوى. وعلمت من قبيل المصادفة أن وزير الخارجية يتخابر مع سفير اسبانيا في بروكسل بشأن الصلح . هذا كل ما نمى الى علمى عن هذا الموضوع في سنة ١٩١٧ . ولقد علمت من الصحف بعد سفرى بالمشروع المقول أن ولسن عرضه بواسطة المسيو جافيه من مونيخ على وزارة خارجيتنا

وعلى أثر اشاعات الصلح التي كثرت في برلين عقد مجلس التاج في ١١ سبتمبر بحضرته قياماً بواجبي وذكرت فيه مرة أخرى ما تحتاج اليه المانيا لتأمن على مستقبلها مستخلصاً هذا الرأي من تجارب الحرب . وهذه خلاصة الرأى الذى عرضته في هذه الفرصة وفي الفرص الاخرى التي عنت فى خريف ١٩١٨ . « ان حالتنا الداخلية حسب المعلومات المستقاة من المصادر ذات الشأن صعبة من جهة الوقود والفحم . وأما الفحم فرجع النقص فيه الى الاهمال الحادث في الاشهر الاخيرة . وحالتنا المالية في منتهى العسر وقد جعل موقف غالبية الرايخستاج حالتنا الداخلية غير مرضية . وصارت مسألة العمال ومقادير الجنود العاملة أشد تعقداً . بيد أني اعتقد انه من

الممكن التغلب على كل هذه الصعاب بحسن ادارة الحكومة الحالية وحزمها»

وعلى أثر تداعي أركان الروسيا رأيت موقفنا أحسن من موقف الاتفاق فأدليت برأيي الآتي : « انني أرى على كل حال الاجتهاد في الوصول الى الصلح قبل حلول الشتاء ، اذا ما كان مؤديا الى ابلاغنا ما نحن في حاجة اليه ، وما هو كفيل بضمانة رقينا الاقتصادي ، وإذا ما سمح لنا هذا الصلح ان نكون في حالة عسكرية واقتصادية تمكننا من الدخول في أية حرب جديدة دفاعية » وراعيت في مطالبنا الاقتصادية والعسكرية المحافظة على حدودنا الاصلية قبل نشوب الحرب وما اكسبتنا الحرب من الخبرة والعلم بما تقتضيه حياة البلاد فما كانت المانيا تقوى على مواصلة الحرب ثلاث سنين لو لم تكن غنية بالفحم ولديها مقادير كافية من الحديد والمواد الغذائية مع ما يصلها من الحديد من البلاد المحايدة ومن المواد الغذائية المبتاعة بأثمان مرتفعة و التى تمكننا من الحصول عليها فى خلال الحصار الشديد ولو لم تتخذ خطة الهجوم فى هـذه الحرب التى الجئنا الى خوض غمارها ونكتسح بقاعاً واسعة في الشرق وفي الغرب لما بقينا متمتعين بالحياة ولو لبثنا ملتزمين الدفاع ونحن وقوف في حدودنا لـكانت كفتنا الخاسرة من زمن طويل ولو اتيح للعدو وطء ديارنا باقدامه لتعطلت سائر أعمالنا ولضاقت بنا سبل الحياة . وكنا نعلم خطارة شأن الفحم والحديد والمواد الغذائية قبل الحرب . إلا أن قيمة الفحم والحديد الحقيقية لم تبدو واضحة للعالم اجمع الا بعد أن امتد أمد القتال . ولقد رفض السماح بعليامارك لتحصين أحواض المناجم الفحمية في سيليزيا العليا قبل الحرب وبقيت عرضة للخطر ، أما منابع ثروتنا الفحمية في الغرب فكانت في مأمن من كل عدوان بفضل التحصينات العظيمة التي تحميها . ولقد كانت المانيا في موقف محفوف بالمكاره لوجود أهم مناجمها على

حدودها الشرقية والغربية وأهم معاملها أمام بلجيكا ، أما المناجم والمعامل الموجودة في الداخل فلم تكن في المنزلة الاولى

وحدثت تطورات عديدة في أسلحة التدمير أثناء الحرب . فالمدافع صارت ترسل قذائفها الى مدى سحيق وأصبح للمحلقات شأن عظيم . على أن مفعول المدافع ذات المرمي البعيد كان محدوداً إذلم تؤد قذيفة واحدة الى تعطيل حركة العمال في دائرة سقوطها كما تأكدنا هذا الامر في ربيع ١٩١٨ حينما سلطنا هذه المدافع على مناجم الفحم الفرنسوية وفي فرص أخرى اتيحت لنا . وكذلك المحلقات لم يكن مفعولها مطرداً بل مرتبطاً بحالة الجو ولو صارت حرة في العمل لما انقطعنا عن تدمير لوندره .

ان المدافع ذات المرمي البعيد والمحلقات التي تلقي سائر أنواع المدمرات جعلتنا نتوجس خيفة على حدودنا الحافلة بالمناجم الفحمية والمعدنيـة في الالزاس واللورين والمعامل المختلفة في وستفاليا وبمناجم الفحم في سيلزيا فلا غني لنا عن اتقاء شر هذه المدمرات . ولا يتهيأ اتقاؤها إلاّ إذا عدلنا حدودنا من جهة فرنسا عدة كيلو مترات وصار الاتفاق على جعل منطقة منزوعة السلاح كافية لاخفاء حدودنا المنجمية والصناعية عن أعين العدو . ولكن هذا التحوط غير كاف بالمثل بل لابد لنا من تحصين هذه الحدود تحصيناً عظيما في زمن السلم على توالى الايام . ومن أهم طرق الوقاية جعل البلجيك بلداً محايداً على الدوام لا تخترقة الجيوش المتحاربة . ولا غني لنا عن احتلال لييج وعلى ما جاورها من نهر الموز . أما استقلال بلجيكا الداخلي فهذا أمر لابد منه ومن الضروري أن تظل صلات البلادين الاقتصادية على حالتها الاولى قبل الحرب كما انه لابد من أحكام روابطنا بالعنصر الفلمنكي الذى هو أحد فروع الارومة الجرمانية العتيقة . ومن مصلحة

المانيا الاحتفاظ ببعض حقوق الاحتلال في بلجيكا في السنوات الاولى من نهاية الحرب ، ولا يصير العدول عن هذا الاحتلال المحدود إلاّ بعد ان تصير بلجيكا بدافع من مصالحها الخاصة جانحة الى جانب المانيا . ولست ممن يحبذون اتخاذ قاعدة بحرية المانية على شاطئ الفلاندر . وهذا ما كتبته في هذا الموضوع : « لن نستطيع أن نكون آمنين على الدائرة الصناعية الوستفالية الرينية وعلى الاخص بعد انشاء النفق الذى سيمتد بين دوفر وكاليه إلا إذا احتللنا بلجيكا بأسرها احتلالا عسكريا وإلا اذا ثبتت أقدامنا على الساحل الفلاندرى . وليس في وسعنا أن ندرك كل هذه المطالب الآن . ولقد يدور السؤال حول ما اذا كنا سنثابر على الحرب لادراك هذه المقاصد . ومن رأيي أن الجواب على هذا السؤال متوقف على ما يبدو من جانب الانجليز فاذا أرادوا الاحتفاظ بجانب من البقاع الفرنسوية (كاليه) فان الحرب تدوم ، وأما اذا لم يصمموا على امتلاك الشاطئ الفرنسوى فان امتلاكنا شاطئ الفلاندر لا ينبغى أن يكون سبباً لاطالتنا أمد القتال الى ما بعد الشتاء . »

فكنت شديد الاهتمام بتوثيق عرى ارتباط الليكزمبورج بالامبراطورية

أما في الشرق فقد كان مركزنا على طول امتداد حدودنا سيئاً جداً لا لتعرض مناجمنا الفحمية في سيليزيا العليا للخطر فقط بل لان الهجوم الذي حدث في خريف ١٩١٤ على تلك الحدود دلنا على صعوبة المحافظة على مقاطعاتنا الشرقية الممتدة على طول الفيستول . وصار من الضروري أقامة منطقة وقاية لحفظ ولاية بروسيا الشرقية التي أصابتها الحرب باضرار جسيمة وبما ان القوس البارز الناتىء بوضوح تام في قلب بروسيا في الجهة الشرقية القصوى يعتبر خطراً عظيما علينا كما ظهر ذلك اثناء هجوم الجراندوق

نيقولانيقولا يفيتش في خريف ١٩١٤ فلاسلامة لنا الا اذا تضمنت منطقة الحياد في الحدود الشرقية خطاً يمتد من دانتزيج الى تورن . ولا بد لولايتي كورلاندا وليتوانيا أن تزودا جنودنا بالمواد الغذائية في حالة نشوب حرب أخرى . بل يتجه نظرى الى ماهو أبعد من هذا أى الى أن تمد هتان الولايتان جيشنا بالرجال . وأخذت أزداد اعتقاداً كل يوم ينقضي في هذه الحرب الطاحنة ان كثرة الرجال قوة عظمى . فما تفوق الاتفاق علينا الا بما يستمده على الدوام من الجحافل الهائلة من ينابيع رجاله التي لا تنضب وسيظل أهالي هاتين الولايتين حافظين صبغتهم الوطنية البحتة في ظل الامبراطورية الالمانية . والذي يزعجنا هو تكاثر العنصر البولوني في الولايتين المذكورتين الا أن هذا الأمر يمكن التغلب عليه ازاء الضرورة العسكرية . وطريقة الاستعمار التي اتبعها المستشار منـذ ١٩١٥ بمهاجرة الالمانيين الى المنطقة المحمية تضمن لنا في المستقبل نمو العنصر الالماني بدرجة عظيمة . وأخذت أفكر في حصولنا على ميزات تجارية في رومانيا وفي البلقان لتأمين مركز المانيا الاقتصادي بعد الحرب

ورفضت فكرة توحيد المصلحة الاقتصادية في أوروبا الوسطى لانها غير قابلة التحقيق من جهة وحائلة دون تفوق المانيا من جهة أخرى

ولم ادافع امام الرأي العام عن آرائي هذه ولم احبذها ولم أبد فكرى في مسألة الصلح . ومع ذلك فقد خضت في شروط الصلح مع اعضاء الرايخستاج من الاحزاب المختلفة وفقا لرغبة المستشار الدكتور ميخائيليس على انى لم أعين في هذه المناقشات شروطاً مخصوصة . ولم تصر وجهة نظرى في الصلح قاعدة لمفاوضات بين حكومتنا والعدو اذلم أبسط وجهتي من جهة ولم تدخل الحكومة في مفاوضات مع العـدو من جهة اخرى .

بل اتبعت الحكومة طرقاً وآراء اخرى في مداولات بريست ليتوفسك الأولى وهى بعيدة بالمرة عن كل ما كنت اتصووه صالحاً لان يصير دعامة لابرام الصلح . وكل مادار بين القيادة العليا والمستشار لم يخرج عن حد بسط النظريات لان كل انسان كان يعتقد ان الشروط الحقيقية لا يمكن البت فيها الا بانتهاء القتال. واما مايختص بالرد على ويلسن في ٢٩ يناير ١٩١٧ أو عما يجب اتخـاذه تجاه الروسيا في اوائل الصيف أو تجاه انجلترا في اغسطس وسبتمبر او بشان الهدنة الشرقية فقد كانت الآراء تبسط على الاثر حسب مقتضيات الاحوال . وما دام العدو ثابتاً على فكرة سحقنا فلم يكن ثمت سبيل الى انهاء الحرب الا بالنصر او بالهزيمة التامة . على ان الحكومة لم تعرض علينا اية طريقة مؤدية الى كف القتال وعقد الصلح . وكل الذين كانوا يزعمون ان بعض شروط تفضى الى ابرام الصلح انما كانوا يسبحون في جوالوهم ويضللون الشعب الالماني لان الاتفاق لم يعرض علينا اى اقتراح ، ولم يفكر في منحنا أى شيء ولم يكن ليرضى باعادة الحالة الى ماكانت عليه ، بل كان همه الوحيد الاستيلاء على كل شيء . فهل كان يوجد المانى واحد يرتأى تضحية الالزاس واللورين ومقاطعة بوزن او مستعمراتنا ؟ كل ماحدث من هذا القبيل ان تكلم المستشار فون بيتمان عرضاً في ١٩١٦ في جواز منح اواستبدال بعض جهات من اللورين ومن سوندجاو .

لقد اشتعلت نيران القتال فمن الواجب ان نصل الى الخاتمة المحمودة بقوة السلاح ولانتحمل تبعة هزيمة تسمح لنا قوانا باتقائها. والآن اصبح من المحقق ان كل الالفاظ الفخمة التي كان ينشرها الاتفاق اذ ذاك لتضليل العقول القاصرة من امثال حقوق الامم في تقرير مصيرها والعدول عن

بالغرامات وضم الاراضي ونزع السلاح العام ، وحرية التقاليد والعادات لم تـكن ولن تكون سوى اشباح لاظل لها في عالم الوجود !

كل حياة بشرية ليست سوى نوع من الصراع ، وكذلك الاحزاب تتصارع في داخل سائر البلاد ليصل اقواها الى السلطة وذلك شان الشعوب في سائر ارجاء المسكونة وسيظل على هذه الوتيرة ابد الدهر . وان هي الاسنة الطبيعة . ومن الممكن ان يلطف تثقيف العقول وتدميث الاخلاق من حدة الصراع لاجل السلطة ومن فظائع الوسائل المتخذة لهذه الغاية ولكنهما لا يبطلانها بتاتا لان محاولة ابطالها مصادمة لطبيعة الانسان بل مصادمة للطبيعة العامة نفسها . فالطبيعة هي الصراع ! فاذا لم يتغلب الأقوى والاحسن فان أخس مافي الجبلة البشرية يكتسحها الى ان تنهض في وجه هذه الجسة قوي اخرى تصرعها لتحول دون تلاشي كل ما هو سام وشريف ، ولـكن الشيء النبيل السامي لا يمكن أن يظل على قيد الحياة الا بمعونة القوة وتاييدها .

— ٨ —

لقد أخذت الحالة تزداد سوءاً في الداخل من جراء تنازع الاحزاب في الرايخستاج للحصول على السلطة . وحاول المستشار الدكتور ميخائيليس أن يقف في وجه هذا الصراع المحزن فسقط ضحية نشاطه وهمته . لقد انفق قواه في الرايخستاج فلم يجد امامه متسعاً من الوقت يمكنه من العمل لاجل الحرب .

وحاول نلسون في رده على مذكرة البابا أن يتداخل في شؤون المانيا

الداخلية ليفرق بين الشعب والحكومة فاحتج الرايخستاج ولكنه لم يتخط هذا الحد .

ودلت حوادث البحارة التي وقعت في ربيع ١٩١٧ على مبلغ ماوصلت اليه النزعة الثورية ، اذكان الغرض من هذه الحوادث اجبارنا على ابرام الصلح باضراب عن العمل يعم الاسطول . على أن هذا الانذار الخطر لم يلق من الاهتمام مايستحقه بل مر بدون تأثير يذكر

وبدت على الحكومة مظاهر الضعف ، واذا كان المستشار قد أدرك الخطر المحدق بسير الحرب من خطة الحزب الاشتراكي الديموقراطي المستقل فانه لم يبطل عمله الثورى بل ظلت صحافته الخبيثة تبث روح التفريق

ولم يقم الرايخستاج بعمل يدل على شعوره بما عليه من الواجب ازاء هذه الحرب الطاحنة ، بل تعرض بعض مشهورى النواب للدفاع عن كبار محرضى البحارة على العصيان . ولم يعلم الشعب الالماني بمقدار الخطر الناجم عن هذه الامور

وعلى أثر الوسائل القامعة الوقتية التي اتخذت في يوليه سقط الشعب الالماني في وهدة مزعجة أذ تقمصته روح الضعف التي جردته من وسائل الدفاع كما ظهر في سنتى ١٩١٨ و١٩١٩ ولم يصادف مشروعنا الذي يرمي الى تولى أزمة الصحافة والدعوة على أثر شبوب الثورة الروسية وحدوث العصيان البحري التعضيد الذى يستوجبه خطر الموقف

وارتأينا أن ننشيء جريدة كبرى تحارب الافكار المتجهة الى قلب النظام الموجود . فخابرنا برلين فلم توافق فلم يسعنا سوى انشاء صحف للجيش من هذا القبيل تحت اشراف رؤساء القيادات . وبما أن هذا العمل سياسى محض فقد رجوت من الحكومة أن تتولاه فرفضت فالتزم المعسكر العام

الاكبر أن يقوم بمهمة لاتندمج في دائرة اختصاصه . على ان هذه الصحف اقتصرت على سرد الحوادث .

وأخذ يتضح للعيان سوء التصرف الحادث في نظامنا الاقتصادي الحربي . فساءت حالتنا الاقتصادية العامة . واستطعنا أن نتلافى العجز الطارئ على المواد الغذائية ولكن بمشقة وثمن باهظ . ولم نستطع نقل البطاطس في شتاء ١٩١٦ — ١٩١٧ فاستعضنا عنه ببعض البقول الا أن قلتها أدت الى حدوث مجاعة أصابت اناساً كثيرين . وتحسنت حالة التموين في الربيع والصيف بفضل ماحصلنا عليه من قمح رومانيا واذرتها . واجتهدنا في ايجاد العلف اللازم للخيول ، كما وفرنا مواد الحريق المنزلية

وفي الوقت الذى ازمع أن يتخلى فيه المستشار الدكتور ميخائيليس عن منصبه كانت الحالة العامة داخل البلاد منذرة بالعواقب الوخيمة فالحكومة عاجزة عن أتيان أي عمل مقرون بالحزم والرايخستاج لاهم له سوي المقاومة والمشاكسة والأفكار السوداء أخذت تتسرب بين الشعب الالماني الذى أصيب بخيبة الأمل بسبب عدم افضاء حرب الغواصات الى النتيجة التى كانت منتظرة . وبدلامن أن يتشجع الشعب بتأثير الانتصارات الباهرة في ايطاليا ورومانيا والروسيا ولاسيما بالحلال الأخيرة وبثباتنا العجيب في الميدان الغربي على الرغم من تفوق أعدائنا أخذ الضعف يغشاه أما الاعداء فعلى الرغم من تضعضع حالتهم العسكرية وانهيار ركن قوى من أركانهم كانوا متفقين من شعوب الى حكومات على أمر واحد وهو مواصلة القتال الى أن يدركوا النصر النهائى . وكان جل إعتمادهم على انقسامنا الداخلى واختلال نظامنا . وبينما تظهر حكومتنا عجزها عن كبح جماح المهيجين اذا بحكومات الاعداء تكم فم كل معارض

وفي أواخر اكتوبر تولى منصب الاستشارة الامبراطورية الكونت فون هرتلنج . وهو أول مستشار اتفق التاج مع الرايخستاج على تعيينه . وهذا ما وصل اليه تطور السلطة وتمشيها الى البرلمان ، وعظم هذا التطور بالاشتراك فى اختيار الوزراء . ومن هذا الوقت اصبحت تقع على غالبية الرايخستاج تبعة كل ما يصيب الشعب الالمانى

ولم يبلغنا نبأ تعيين الكونت هرتلينج إلا بعد أن صار أمراً واقعاً ، وكان هذا المستشا مزوداً بخير اعتقاد فينا فرجونا أن يكون الرجل الوحيد الذى يحقق آمال المعسكر العام الاكبر فينهض الشعب من خموله ويبعث فيه روح الحماسة والثبات

وأخذت أعمل باتفاق مع وزير الحربية ورئيس الأدارة الحربية لتقوية الجيش الا أن هذين الرجلين لم يحدثا أدنى فائدة لانهما كانا تحت تأثير الحالة الداخلية ولم يستطيعا أن يتمالكا نفسيهما ويتفرغا لواجبهما

واجابة لرغبة القائد شاوخ رئيس الادارة الحربية استقبلنا الفيلد مارشال وأنا ممثلي النقابات الحرة ثم ممثلي النقابات المسيحية فمندوبي جمعيات المستخدمين فشددنا في مطالبتهم بالعمل لانهاض حالة البلاد الادبية والمحافظة عليها من الانحطاط ، لان حالة الجيش الادبية بغير هذه المعونة تصبح عرضة للاذى. فأوضحوا لنا انهم ضد كل اعتصاب ووعدونا ببذل الجهد في انهاض الحالة الادبية العامة . ثم عرضوا عليّ مطالب تختص بتحسين حالة العمال ومع أنها ليست من اختصاصي فقد عنيت بها جدا العناية . واذ كنت شديد الرغبة فى ايجاد صلة قوية بين الجيش والشعب فقد استبقيت هؤلاء المندوبين فى ضيافتنا ودعوتهم الى مائدتنا وتلطفت فى محادثتهم . ومنذ هذا الوقت انقطعت سائر الاقاويل التى كانت تتناقل عنا فى صدد الصناعة والعمال

وحادثت وزير الحربية فيما يحدث داخل البلاد من الامور المحزنة ولاحظت الاهمال الحادث في مراقبة الصحافة . وتكلمنا في شأن جنود الاحتلال وعدم العناية بتعويدهم على الطاعة والنظام . وأخيراً عمد وزير الخارجية الى ملء المعسكرات بالمقترعين ليمنعهم من التشرب بافكار الداخل المثبطة وليقوي فيهم الروح الحربي وليزدادوا مرانا ويكونوا على اتصال بالجبهة . وفي شتاء ١٩١٧ — ١٩١٨ امتلأت مستودعات المعسكرات بمقترعي ١٨٩٩ . وبذلت أنا جهدي في الحصول على الضباط اللازمين لمواصلة القتال . واحصيت الجيش العامل والاحتياطي والمقترعين وقارنتهم بمجموع الشعب ليكون الشعب على علم بالحالة الحقيقية وليصدر قراره في مصيره بنفسه . وفي ١٠ سبتمبر ١٩١٧ احتج المعسكر العام الاكبر بلهجة حازمة لدي مستشار الامبراطورية على اهمال تقوية الجيش ، وكتب الفيلد مارشال في هذا الصدد مايلي :

« إن القوي الاحتياطية الموجودة الآن خلف الجيش المقاتل غير كافية والجيش في أشد الحاجة بالاخص الى قوي احتياطية من كافة الاسلحة تكون تامة التدريب ، فاذا لم توجد القوي الاحتياطية الكافية للجيش فان خاتمة هذه الحرب تكون مجالا للبحث والتساؤل !

« وان واجبي ليدعوني الى التصريح بما يأتي : ان الحالة تصبح حرجة اذا لم نعمل بعزيمة ماضية وفي الحال ، أما اذ عمل بما أوضحت فان الجيش يسوق الحرب الى عاقبـة حميدة ، فيري مما تقدم أن تبعة هائلة تقع على سائر المصالح المختصة بهذه المسائل ولا يجوز التردد في افهام الرأي العام والنقابات وسواها ان أي احجام أو رفض يحملها أكبر الاغلاط ، ومن العبث بعد هذا البيان الحث على الاسراع في العمل بعد هذا الجمود الذي استغرق كل هذه الشهور الطوال »

الا ان هذه الكتابة لم يتردد لها صدى ، ولا ادرى اذا كان الرايخستاج قد علم بها .

وما كدت اتعرف الكونت هر تلينج حتى ايقنت انه ليس بالمستشار المرتجى لموقفنا الحربي العصيب . واذ كان لغالبية الرايخستاج نصيب فى تعيينه فهو بالطبع محازب لهذه الغالبية ولذا لم يخف ميله لابرام الصلح بل اعلنه جهاراً فى خطابته الاولى من غير ان يجد صدى لتصريحه لدى دول الاتفاق . وكان يقول عن نفسه انه « مستشار المسالمة » . الا انى كنت أرى وقت المسالمة لم يحن بعد وان لا بد لنا من مستشار حازم مقدام قوى النفوذ . والكونت هرتلينج ينوء تحت عبء هذا المركز الذى لا يوافق شيخوخته وضعفه فما الذى يجب اتيانه فى مثل هذه الحالة ؟ افيجب عليّ ان ابسط الامر مرة اخرى للامبراطور ؟ ولكن من عساه يكون مستشاراً بعد ان استبعد الامبراطور البرنس بيلوف وامير البحر الاكبر تربيتز من الاستشاره ؟ ومن هو الرجل الذى سيكافح المعارضين ويجمع سائر الاحزاب ويوحد طبقات الشعب ويسوقها بقوة الاقناع الى النصر المبين ؟ لقد اقترح عليّ كثيرون من الناس ان أقبل منصب الاستشارة فأما المقصد من هذا الاقتراح فحسن ولكن قبوله ضلال ، لان العمل الذى يجب علي القيام به فى مثل ذلك المقام هائل ، اذ لا بد لى من ان اكون المتسلط على آلة القتال اذا قبلت ان ادير هذه الحرب العالمية ، لقد استطاع لويد جورج وكليمانسوا ان يكونا حاكمين مطلق التصرف الا انهما لا يعنيان بسائر شؤون الحرب كبيرها وصغيرها ، فالمانيا فى حاجة الى مسيطر ولكن فى برلين لا فى المعسكر العام وان لا يشرف على شؤون الجيش بل يعرف كيف يتملك قياد البلاد فاذا وجد مثل هذا الرجل ربما سارت خلفه

برلين . أما أنا فلا استطيع أن أكلف نفسى مثل هـذه المهمة لا خوفا من تحمل التبعة الناجمة عنها ولـكن لما يدور في خلدى من أن مثل هذه الحرب التي لم يسبق لها مثيل لا يسع رجلا واحدا اثناءها أن يتولى فى آن واحد ادارة البلاد المعقدة الحافلة بالمشاكل وقيادة الجيش التي لا يمكن وصف صعوبتها . وبصفتي ممثل العسكرية المتناهية في الدقة وفي الطاعة لا أقبل مثل ذلك المنصب . إن الحالة في هذة الحرب غير حالات الحروب التى سبقتها وكل ما ذكروه لى من قبيل التمثيل لا يقنعنى ولا يؤيد نظريتهم لان العصور والمواقف مختلفة تمام الاختلاف . ففردريك الاكبر كان ملكا يستمد سلطته من القدرة الالهية ، ونابليون فى أول ظهوره الآخذ بمجامع الالباب كانت فرنسا بأسرها تسير خلفه . ففى الحالتين المذكورتين كانت السلطة المطلقة في يد رجل واحد . فليس لى بعد بسط ما تقدم . سوى أن أظل مهتما بقيادة الجيش الى النصر وان اتابع نضالى مع الحكومة للحصول على كل ما تمس اليه حاجة الجيش ليتمكن من اتمام دفاعه الظافر وانها لمهمة فى منتهى الجسامة . وصرت آمل بعد سقوط الروسيا ان تصبح هذه المهمة سهلة قابلة التحقق

— ١١ —

لقد كانت توجد من جملة المسائل السياسية المقلقلة عدا مسألة الصلح المسألة النمسوية البولونية . وقد فاز الكونت كزرنين باستمالة الامبراطور أولا الى وجهة نظره فيها ثم تمكن من ضم المستشار ووزير الخارجية كوهلمان الى رأيه . وما كاد يرقى الفون هرتلينج مرتبة الاستشارة حتى عقد مجلس

التاج فى برلين للنظر في هذه المشكلة ودعينا الفيلد مارشالى وأنا لحضور جلسته . وبما أن الكونت هرتلينج والفون كوهلمان تابعين لحكومة بفاريا ونائب المستشار الفون بايروور تمبورجي فهم بالطبع اغراب ازاء مركز الولايات البروسية الشرقية بالنسبة لبولونيا، ولهذا لم يتأخروا عن الانحياز الى جانب النمسا في هذه المسألة ووافقهم بقية الوزراء فى هذا الوقت . فابدينا آراءنا الفيلد مارشال وأنا بجدة في حل هذه المسألة . والاعتبارات العسكرية الخطيرة هي التي أملت علينا الوقوف فى موقف المعارضة والرفض . وساعدتنا مقتضيات الاحوال على النتائج التي اختتمت بها أقوالى . وأصبحنا الفيلد مارشال وأنا الاقلية فى هذا المجلس . فأمرنا الامبراطور بدرس الشروط العسكرية . فلم نجد أوثق من اتخاذ منطقة حماية واسعة النطاق على طول امتداد التخم البروسي

ونجحت في خلال هذه المدة أعمال القيادة الشرقية فى كورلاندا ولم تنجح في ليتوانيا فقد تمكن الماجور فون جوسلر من أن يؤلف مجلساً أهلياً في ميتاو فى شهر سبتمبر باحيائه دستور البلاد القديم . وكان نبلاء كورلاندا من البصر بالامور والحنكة بحيث استطاعوا ان ينتهجوا منهاجا قويماً . ودعوا الليتوانيين الى مشاركتهم في العمل فقبلوا . والتأم مجلس البلاد فى ميتاو التئاماً علنيا باهراً وقرر أن يلتمس من جلالة الامبراطور شمول كورلاندا برعايته وقبوله أن يتلقب دوقاً على هذه البلاد . فأجابت الحكومة اجابة مرضية إلا انها تحاشت التعرض لما عرضه عليها المجلس الكورلاندي

أما في ليتوانيا فقد سلك الديموقراطيون شر مسلك فلم ينجح مجلس البلاد الذى عقد في فيلنا فحرمت هذه البلاد من الحياة السياسة

وكان الدكتور ميخائيليس قد طاف هذين البلدين متفقداً دارساً أحوالها قبيل مغادرته منصبه وحينما آب من رحلته دعاني الى برلين ليباحثني فاستبشرت ورجوت لهذين البلدين خيراً. بيد انني لم اكد اعزم على الشخوص الى برلين حتى كان قد غادر منصة الاحكام فاختفت آمالي اختفاء الاحلام

وفي ٤ نوفمبر تفاوضت مع المستشار هرتلينج في جلسة عقدت خاصة للبت في شؤون الاراضي المحتلة في الجانب الشرقي . فاعلمت المستشار الجديد ما حدث الاتفاق عليه مع المستشار القديم بشأن علائق المانيا مع كورلاندا وليتوانيا واردت ان أحصل منه على قبول ذلك الاتفاق - وكذلك اردت ان اتوصل الى تأييد مراكز مديرى شؤون تلك البلاد ليكون لهم وحدهم القول الفصل فيها فلا يتداخل في اعمالهم المستشار او المعسكر العام الاكبر . وكانت التعليمات الصادرة منا الى رآسة القيادة الشرقية تقضي بارتباط كورلاندا وليتوانيا بالمانيا وباتحادهما خاصة بأسرة هوهنزلرن ولم الق آية معارضة في هذه الجلسة . فاستبشر حضرات اركان الحرب المتوطنين في الجبهة الشرقية لأنهم لا يعلمون من احوال برلين ما اعلمه ، اما انا فلبثت متشائما . وابى الليتوانيون الا ان يدبروا حملة شديدة على حاكمهم الليوتنان كولونيل الامير فون ايزمبورج ، وباستقصاء اسباب شكواهم يرى ان مرجعها الى وجود حالة الحرب لا الى اعمال الامير الحاكم . ووجدت هذه الحملة من يعضدها في الرايخستاج وانتقلت المسألة من الرايخستاج الى وزارة الخارجية واخيرا تقرر اعتبار ليتوانيا دولة مستقلة حرة . وكادت ليتوانيا بهذه الحالة الجديدة تصبح فريسة البولونيين لأن حاشية الامير الذى سيتوج عليها سيكونون من أشراف البولونيين أما اتحاد ليتوانيا بالاسرة الهوهنزلرنية فكانت تعترضه رغبات بعض أعضاء

لم يحستاج في اختيار امير وورغبوجي أو آخر ساكسي

وأخيراً لم ير الامير فون ايزمبورج بداً من الاستقالة فغادر مركزه وأنا آسف

وعقدت الحكومة اتفاقاً مع ليتوانيا يضمن لها استقلالها فتداخلنا في الأمر وأودعنا هذا الاتفاق بعض الحقوق الالمانيـة فصرنا بمقتضاها قادرين على منع هذه الولاية من السقوط بين مخالب البولونيين

وعقد مؤتمر كراوزناخ يوم ١٣ ديسمبر تحت رئاسة جلالة الامبراطور للنظر في شروط الصلح التي ستعرض على الروسيا لجري البحث أثناء عقده في هذه الشؤون الشرقية . فوافق الامبراطور على مناطق حماية التخوم البروسية البولونية من غير أن يبدي المستشار أو وزير الخارجية اعتراضاً فصرحنا باكتفائنا بهذه المناطق . وأراد الامبراطور أن يدع لاهل كورلاندا و ليتوانيا التمتع التام بعوائدهم وتقاليدهم

ودخلت مسألة الالزاس واللورين في طور آخر على عهد المستشار الجديد لأنه كان يذهب الى تقسيم هذه الولاية فيجعل شطرها الالزاسي لبفاريا والشطر اللوريني لبروسيا . فلم اوافق على مثل هـذا التقسيم الذي يحدث تأثيراً سيئاً في الرأى العام الوورغبورجي . ورجونا من المستشار أن يسمح لنا بفرصه نباحثه فيها في هذه المسألة بالدقة التى تقتضيها فلم يجبنا الى هذ الرجاء

التأهب لهجوم ١٩١٨ في الغرب

— ١ —

لقد تحسن موقفنا على أثر خروج الروسيا من ميدان القتال في اواخر ١٩١٧ الى حد لم يكن ليخطر لنا على بال . وذهبنا الى إمكان انهاء الحرب بهجوم برى كبير كما كنا نعتقد ذلك في سنتي ١٩١٤ و ١٩١٥ لأننا لم نحرز في ميدان واحد مثل هذه القوى العظيمة المتفوقة في وقت ما .

ولم تؤد حرب الغواصات الى هذه الآونة من الوجهة الاقتصادية ما توقعته أمارة البحر وما ظننت حدوثه أنا بالمثل اعتماداً على ماقرره الفنيون. ولبثت أهتم بأمر انشاء الغواصات على الرغم من وعد أمارة البحر ان تفعل ما فى استطاعتها .وبعث الي نواب عديدون كتبا يقولون لى فيها بامكان الاكثار من صنع الغواصات . وسرتنى هذه الرسائل لانها احدى طرق الاعتراف بصواب رأيي في وجوب المثابرة على الكفاح بكل ما يمكن من النشاط والاقدام . ولكنها أدهشتنى من جهة أخري لأن صنع الغواصات ليس من اختصاصي . فهؤلاء الاماثل طالما آخذوني لتعرضي لما لا يدخل فى دائرة أعمالى ، وان هذه لحالة عجيبة فانهم كلما أرادوا اخيراً للبلاد هرعوا الي . فلم يسعنى ازاء هذه الكتب سوى التوسط لدى ذوي الشأن البحريين بالحاح . واهتممنا بكل ما يلزم للاكثار من الغواصات . وهنا عرضت على الفكر الاسئلة الآتية : ما الذي ستنتجه حرب الغواصات فى ربيع ١٩١٨ وهل اذا لم تنجح الغواصات كل النجاح فى احراج انجلترا أتراها تتوفق

ولو بعض التوفق في تعطيل حركة النقل من أمريكا فلا تصل تشكيلات الولايات المتحدة في أقرب وقت ؟ وهل ستستطيع الغواصات التغلب على تقليل حمولة الاعداء وعلى اغراق نقالات الجنود الامريكية فى آن واحد ؟

ان خفض الحمولة العالمية أهم ما ينتظر من حرب الغواصات وهذا ما قاله لى النائب ارزبرجر فى يوليه ١٩١٢ وماص رحبه في الرايخستاج غيرانها لم تكن عاملا حاسما . فانجلترا مثلا عندما استدعت بواخرها التي كانت في أوستراليا لتعضيد حركة النقل القائمة بها الولايات المتحدة بقيت غلال اوستراليا فيها ولكن هذا الامر لم يقض على انجلترا التى حسبت لهذا الامر حسابه فاعتمدت على انماء محاصيل غلالها ، وهذه المحاصيل الخاصة خففت عنها حرج المجاعة . على أن الاتفاق أدرك مقدار خطر هذه الحرب البحرية فأخذ يحتاط لدرئه بكل الوسائل ويستعد لتوفيق حالته على ماتحدثه هذه الحرب من الضيق الاقتصادى . وقد كتبت مجلة المقتصد فى عدد ٧ سبتمبر سنة ١٩١٨ ما يلى : « ولكن الاسطول . . . . سيتغلب (بمساعدة امريكا !) على خطر الغواصات ويخفض من تأثيرها الهائل الى درجة عظيمة » . وفى وقت الحرب يصير كلا الجانبين المتحاربين جاهلا ما يتخذه الجانب الآخر من وسائل الاحتراس والوقاية . فوزارة الحرب اقامت حسابها وهى لاتعلم بما يمكن ان يتخذه العدو من طرق الملافاة والوقاية ، وكذلك الاعداء كانوا يتلافون خسائرهم ويتقون شرور غواصاتنا وهم لا علم لهم بمقدار ماالديناه من الغواصات وما يمكننا ان نصنعه منها او نبتدعه فيها . واذا لم تظهر فوائد الغواصات المنتظرة قبل ١ اكتوبر ١٩١٨ فان حربها لن تؤثر فى كفتي الميزان بعد ذلك . ولقد نشرت المورننج بوست فى عددها الصادر يوم ٣ أكتوبر ١٩١٨ « ان هذا اعظم خطر مر على حياة انجلترا »

. فمن الخطا تجاهل التاثير الهائل الذي احدثته حرب الغواصات فى حياة دول الاتفاق الاقتصادية باجمعها ، والاغضاء عما احدثته من التخفيف عن الجبهة الغربية . وستظل اعمال بحارتنا الذين اشتركوا فى حرب غواصاتنا صحيفة مجيدة فى تاريخ بطولتنا .

وكنت الى اواخر ١٩١٦ لا ازال اعتقد صحة رأى الامارة البحرية اما بعد هذا التاريخ فقد داخلني الشك فيه الى حد ان صرت احسب لقدوم التشكيلات الامريكية الجديدة حسابا منذ ربيع ١٩١٨ . وكانت قوى الاتفاق فى الربيع مماثلة لنا بخلاف ما آلت اليه في الصيف وفي الخريف فأملنا احراز الفوز العظيم .

واخذت القيادة العليا تتساءل في أواخر الخريف عن اى الأمرين اوفق لها : اغتنامها الميزات التى تيسرت لها منذ الربيع لتوجيه ضربة قوية الى الاتفاق في الغرب ، أو العدول عن هذه الخطة الى الدفاع مع القيام بهجمات ثانوية في ايطاليا ومقدونيا ؟

ولم يثبت التحالف الرباعي في مركزه الا لاعتقاده بان النصر النهائي سيصحب السلاح الالماني .

وقد بلغ الجيش النمسوي من الضعف والاعياء اعظم مبلغ اذ خسر ١٨٠٠٠٠٠ أسير ولم تبق لديه قوى احتياطية ، وانحطت قوة الكفاح لديه وتكاد قوته تكون كافية للثبات امام ايطاليا اذا اختفت الروسيا نهائياً من ميدان الصدام واذا لم تستخدم اية وحدة من وحداته في مجال آخر .

وانتظرنا ان تصرح لنا الحكومة النمسوية فى ١٩١٨ كما صرحت فى ١٩١٧ بانها لا تجالد على النضال الا وقتا محدودا . وفى الواقع ان النمسا كانت قد استنفدت كل قواها العسكرية . ومن الواضح ان سياستها مزعزعة الاركان .

والذى يحفظ البقية الباقية من هذه الدولة الثنائية هو الجيش.

وكان لدى بلغاريا قوى احتياطية كافية إلا انها جندت وحدات أخري وحاربت جنودها فى ١٩١٧ بثبات وأقدام فتحسنت حالتهم الادبية. وانتظمت المواصلات فى مؤخرة الجيش ، وعظم نفوذ العسكرية الالمانية في الجيش البلغاري، إلا أن هذا النفوذ لم يتخط الدوائر التي تشرف عليها السلطة الالمانية. وانشأ أركان الحرب الالمانيون مدارس لتعليم سائر الجيش البلغارى. وتحادثت مراراً عديدة مع القائد جوتشيف في صدد الاستمرار على تقوية الجيش البلغارى فاظهر اعتقاده باقتدار هذا الجيش على موالاة القتال المقرون بالظفر وشدد في طلب الجنود وأدوات الحرب الألمانية . وكان شديد الثقة بانتصار الالمانيين في الساحة الغربية

لقد احتلت بلغاريا كل البقاع التي كانت تطمح ببصرها اليها في زمن السلم فلم تعد تهتم بأمر الحرب إذ لم تعد تفكر إلا بالتمتع بما جنته وهي في دعة واطمئنان. وسئم الشعب البلغارى وجيشه من مواصلة النزال ، فابتدأ الهياج في داخل البلاد ضد الحكومة وضد الحرب . وبدأ خطر الجنوح الى دول الاتفاق . وأخذ الاهالى ينقمون علينا لاننا لم نعد نستورد من الدخان البلغاري لاسباب ترجع الى أعمال القطع النقدي. فاستخدم ممثل الولايات المتحدة الذي ظل مقيما في صوفيا هذا التبرم في مصلحة الاتفاق بمعاملته الاهالى واكسابهم مبلغاً كبيراً من الفرنكات السويسرية ، وبهذه الطريقة انصرفت قلوب البلغاريين الى وجهة الاتفاق . ولا رأى لى في البلغاريين إلا انهم يحتفظون بالاخلاص لنا ما دامت الامور جارية في مجاريها الحسنة أما اذا تلاشت الآمال في الانتصار أو اذا منينا باية هزيمة قلبوا لنا ظهر المجن . . . وهذا شأن الجيش البلغارى بالمثل.

وكانت الدولة العثمانية مخلصة للتحالف ولكن الى حد ما تتحمله قواه ولا عبرة بما إذا كانت السبب في ضعفها أو لم تكنه . وقلت اعداد جنودها لان أغلب جيشها لم يكن موجوداً الا في بطون الاوراق . ولا بد لفلسطين من أن تصبح غنيمة باردة للانجليز اذا لم يمد الجيش العثماني المدافع عنها بنجدات قوية . ولا بد من تلافي سقوط تركيا الذي يؤدي الى أوخم العواقب على الرغم من أن الفصل في هذه الحرب العامة لم يكن في بقاعها

ولقد يتراءى للناظر ان الحالة الادبية في المانيا أحسن منها في بلاد حلفائها ، الا انه لا يكاد ينعم النظر حتي يراها منحطة ويرى الرأى العام مشرباً بروح سيئة . على أنني كنت لا أزال أحسن الظن في البلاد وأذهب الى امكان تلافي النقص الحادث في الجيش .

ان الجيش تغلب بشجاعة وانتصار علي أهوال ١٩١٧ ولكن لم يعد من المؤكد الثبات اذا التزمنا خطة الدفاع في المستقبل على طول امتداد الجبهة الغربية ازاء استعداد الاتفاق الهائل من جهة المواد الحربية . فان الخسائر التي أصبنا بها من جراء المدافعة تخطت كل حسبان حتي صار من المتعذر الاستعاضة عنها وحتى صرنا نعتقد باستحالة تكبيد العدو ما يضارعها ولو قمنا بحملات في منتهى الاستعداد والاحكام . وغدونا نتوقع من العدو ان يستفيد من تجارب الماضى فيقوم بهجوم مضاعف واسع النطاق على مثال ونوبه المزدوج في الاين وشمبانيا في ابريل ١٩١٧ مستخدماً الاكوام التي لا تحصى من الذخائر .

ان تألم الجنود من التزامنا خطة الدفاع مدة طويلة تخطى كل حد حتى انهم لم يعودوا يجلدون على صد تيار الهجوم وحتي ان الكثيرين كانوا يلتمسون لهم مخابئ يتقون بها فتك القذائف المتهاطلة الذريع . ووجدت

وحدات منسحبة من مواقعها مصابة بنقص فادح لم تمض عليها سوى أيام قلائل حتي عادت الى أعدادها الاولى تقريباً . وأخذ الجنود يحسبون حساب الوقائع المقبلة وهم في هلع شديد ، وفقدوا ما كانوا يمتازون به من الجلد والمصابرة ، ولم تبق لهم رغبة في مواجهة العدو الا في حرب الهجوم التى أبلوا فيها خير بلاء في رومانيا وفي غاليسيا الشرقية وفي كبريه بالمثل وتفوقوا على العدو أعظم تفوق . فالهجوم كان يصلح حالة الجنود الادبية والدفاع كان يفسدها . فالهجوم اذن في مصلحة الجيش . وعلى أثر سقوط الروسيا توقع الجيش اتخاذنا خطة الهجوم . وقوى اعتقاده في افضاء الهجوم الى الظفر النهائى . وهذا هو الرأى العام السائد بين الجنود وأكبر القواد المحنكين تشبعوا به . ومن الواضح اني لم أستلم هذه الفكرة العامة لأني كنت مسؤولا عن كل ما يحدث ، ويرجع الي وحدي حق البت فيما يجب اتباعه . وانما كنت ألتقط آراء القواد والجنود لاعرف بها موطن الضعف من الجيش ولا قدر الفضائل الكامنة فيه حق قدرها .

فما تقدم يستخلص ان حالتنا الداخلية ومواقف حلفائنا وحالة جيشنا كلها تستدعى القيام بهجوم قوى سريع يؤدى الى الفصل في الامر بغير تباطؤ .

وللقيام بالهجوم لا بد من جمع أدوات وذخائر حربية هائلة وحشد جنود تكون مشرأبة بأعناقها كرؤسائها لمباشرة الهجوم . فاذا تيسر هذان الشيئان في الوقت المناسب تيسر الهجوم بل وجب القيام به . على أن الهجوم هو الحد الفاصل في الوقائع الكبرى والتاريخ الحربي يوافق عليه وصفحاته حافلة بحوادثه الهامة . والهجوم هو شارة القوة ومضاء العزيمة ودليل تفوق المهاجم على العدو . وأما التريث فلا يجدي سوى تقوى العدو

الذى يغتنم فرصته لاستقدام النجدات التى ترجح كفته .

وكنت أعلم حق العلم ان الهجوم المنتظر في الميـدان الغربى هو من أعظم ما حدث من قبيله فى الوجود · ولا بد للشعب الالمانى من أن يجود بأقصى جهده لأجله · ومن المحتم على المعسكر العام الاكبر ان يجمع لهذا الوثوب كل ما يتوصل الى جمعه من سائر الجبهات الاخرى كما حدث فى معركة تاننبيرج . كما كان من اللازم أن نقدر ان أى اخفاق في إيطاليا أو في مقدونيا أثناء قيامنا بهذا الهجوم الجسيم يحرج مركزنا فى الميدان الغربى.

وطفقنا ننقل على عجل جنودنا من إيطاليا ومن الساحة الشرقية ومن رومانيا بل من مقدونيا على الرغم من معارضة البلغاريين .

وأمام هـذا النقل المعجل كان لا بد لنا من تحققنا من أمر رومانيا والروسيا ولا سيما البولشفيين لا باعتبارهم حكومة نظامية بل باعتبارهم هيئة ثورية وحقيقة موقفهم تجاهنا وتجاه دول الاتفاق . واستحثنا على التعجيل بإنزال الضربة الساحقة فى الميدان الغربى ما رأيناه من تقاطر التشكيلات الامريكية الجديدة الى هـذا الميدان . وألجأنا تدريب الجنود على طرق المواثبة المبتكرة الى تخير أواسط مارس موعداً للهجوم . وفي هذا الوقت تجد الخيول مرعى لها من الحشائش والاعشاب لقلة العلف .

وصـار الهجوم متوقفاً على موقف البولشـفيين في مؤتمر بريست ليتوفسك فاذا أسفرت المداولات الدائرة عن نتيجة ترضى فلا ينهض أى حائل دون مباشرة الهجوم النهائى فى الحال . ومن هذا يتضح مقدار القلق الذى كان يساورنا قبل ابرام الصلح مع الرومانيين والبولشفيين .

— ٢ —

ابتدأت مفاوضات الصلح فى بريست ليتوفسك يوم ٢٢ ديسمبر سنة

١٩١٧ وصرنا نترقب سيرها باهتمام عظيم جداً لما له من التأثير في سائر مشروعاتنا الحربية لأننا الى هذا الوقت كنا لا نزال غرقى فى لجة الحرب العالمية ، ولا يمكننا ان نقرر الهجوم الاكبر فى الجبهة الغربية الذي يدنى نهاية الحرب وينقذنا من الحالة السيئة التي تصيب المهزومين الا بانتهاء هذه المفاوضات وابرام الصلح فى الجانب الشرقي .

وصار من الواجب وضع حد نهائي لمشاكل الشرق باجمعها بما يتفق مع مصلحة المانيا ولاسيما المعضلة البولونية التي يعتبر الحل الذى وضع لها في كراوزناخ يوم ١٨ ديسمبر ضامنا لسلامتنا

وكان مندوبنا المفوض في بريست ليتوفسك وزير الخارجية الفون كوهلمان وتحت رآسته القائد هوفمان بصفته نائباً عن المعسكر العام الاكبر وانتدبت النمسا الكونت كزرنين . وارسلت حليفتانا الاخريان ممثليهما . وأبي الفون كوهلمان أن يتولى الرآسة فتناوبها مندبو التحالف الرباعى

واعتبر المفوضون الروسيون أنفسهم في سائر وجهات النظر مساوين لنظرائهم وبهذه الطريقة أخذوا يعرضون آراءهم الخاصة .

وفى يوم ٢٥ ديسمبر وافق الكونت كزرنين باسم التحالف الرباعى على المشروع الروسى القاضى بابرام الصلح على قاعدة عدم ضم أراض بطريق العنف ومن غير دفع غرامات حربية

ودعيت دول الاتفاق على هذه القاعدة الى الاشتراك في مفاوضات الصلح العامة وحدد يوم ٤ يناير موعداً للشروع فيها

وصرح سياسى التحالف الرباعى الكونت كزرنين في هذا الصدد : بان الاتفاق لوابدى استعداده إذ ذاك لأبرام صلح عام لعرض فى المفاوضات مبدأ « لا ضم »

وبدلا من عرض مطالب معينة بسطت آراء تستغرق المناقشة فيها مدة طويلة وسببت دعوة الحلفاء الى هذا المؤتمر تأخير أعماله . على أن حظ هذه الدعوة من الاجابة كان ضئيلا . ولم أر راع في كل هذا العمل المبادئ التي عرضت في جلسة ١٨ ديسمبر التي رأسها جلالة الامبراطور . وأصبح مستقبلنا في الشرق مجالا للتساؤل . وازداد خطر سقوط الليتوانيين والروس البيض بين مخالب البولونيين . وكل هذا مما يتفق تمام الاتفاق مع مصالح النمسا . ولم يفكر أحد في سلامة الحدود من الوجهة العسكرية . فخاطبت القائد هوفمان وشكوت من سير المفاوضات على نقيض ما ينتظر منها . فأجابني وهو صادق في قوله انه كان يظن أن ما يدور في المؤتمر موافق لما تقرر في كراوزناخ يوم ١٨ ديسمبر . فافهمته باننا لم نعلم بتفاصيل ما حدث في المؤتمر أثناء انعقاده ورجونا منه أن يشدد على الفون كوهلمان وزير الخارجيـة بمراعاة ما تم الاتفاق عليه وعلى الأخص في مسائل ليتوانيا وكورلاندا ومنطقة وقاية الحدود فقبل الفون كوهلمان عملا بتقرير قدمه اليه القائد هوفمان نقطة نظر تقترب من اتفاق كراوزناخ ،فأصبح بهذه الطريقة مناقضا لآراء الكونت كزرنين . فعمد الكونت كزرنين الى التهديد بابرام صلح منفرد ليظاهره الفون كوهلمان . وهذا أمر غير معقول . وقد ظهر في سائر أدوار المفاوضات مقدار ما يزعجنا فقد اتحاد الآراء بيننا وحلفائنا

ولم تكن مفاوضات البولشفيين سوى وسيلة لاطالة مدة المؤتمر عملا برغبة الدول المتفقة ، وظهر اعتماد البولشفيين على الاتفاقيين في نشر الثورة العامة . فحولوا المؤتمر الى ميدان خطابة يذيعون فيه تعاليمهم . وهذا العمل خطر جداً على داخل بلادنا التي لم يكن فيها من مشايعي هؤلاء القوم،

سوي عدد قليل وكانت أحزاب الغالبية في الرايخستاج أول من حمل عليه وجبهه ولم تر هذه الاحزاب في تعاليم المفوضين البولشفيين سوي آراء خاصة سلمية خيالية ترمي الى بث الاخاء العام بين الشعوب وكنت أرى أن البولشفية سواء اناصرها أم لم يناصرها أحد عندنا عدو شديد الخطر علينا ومن الواجب أن نمنع اذاه من الانتشار باستخدام قوانا العسكرية حتى فيما لو تم ابرام الصلح

وافترقت الوفود فى آخر ديسمبر من غير ابرام اتفاقات خاصة قافلة الى بلادها لتؤب تارة اخرى الى بريست ليتوفسك عقب انقضاء الايام الاربعة الاولى من السنة الجديدة

وشخصنا الفيلد مارشال وأنا الى برلين في مستهل يناير لنحادث الوزير كوهلمان ونحثه على انجاز المفاوضات بسرعة وأردت مقابلة القائد هوفمان بالمثل

وعقد مؤتمر فى قصر الامبراطور يوم ٢ يناير فقررت وجوب الاسراع في ابرام الصلح لنتمكن من نقل القوى الى الساحة الغربية في الموعد المضروب اذ لا يمكن الاسراع في نقل الجنود الا اذا غدا الصلح وشيك التحقيق ، وكان من حقنا اذن للاسباب العسكريه الضرورية أن نحول دون طريقة التلكؤ ولدينا القوة الكافية لوضع حد لمثل هذا التلاعب بيد أن الوزير كوهلمان لم يكن وصل اليه بيان فى هذا الصدد

ودار البحث مرة اخرى فى منطقة وقاية التخوم البولونية ، وكان الكونت كزرنين قد انتهز فرصة وجوده فى بريست ليتوفسك فحصل على قبول الفون كوهلمان اختصار منطقة الوقاية التي تحددت يوم ١٨ ديسمبر ، واستجر هذا الاخير والقائد هوفمان الى الموافقة على هذا الاختصار

والى رفع تقرير عنه الى الامبراطور فبعد اطلاع الامبراطور على هـذا التقرير انضم الى رأى الفون كوهلمان . ولا جدال فيما للامبراطور من حق الفصل في أمثال هذه الامور، إلاّ أن الطريقة التي اتبعها في هذه المشكلة آلمتني ، فقد كنت احسبنا الفيلد مارشال وأنا مستشاري جلالته المسؤلين في الشؤون العسكرية ، ومن جهة أخرى فاني أرى في اختصار منطقة الوقاية الى هذا الحد خطراً جسيماً على ولا يتينا البروسيتين الشرقية والغربية وحسبت أن واجبي يحملني على أن أوضح الأمر مرة أخرى لجلالتـه . غير أني شعرت بامتعاضه من عملي هذا

وخاطبت القائد الفون لينكر يوم ٤ يناير بشأن علائقي مع الامبراطور موضحاً له انني أصبحت أرى نفسى غير حاصل على ثقته التامة التي لابد لمركزى هذا المتناهي في الخطارة أن يرتكز عليها ، وانني خاضع لما يعهد الي الامبراطور من القيام به من الاعمال الاخرى . فأشار على القائد لينكر أن أراجع الفيلد مارشال في هذا الصدد . وكان الفيلد مارشال قد آب الى كراوزناخ يوم ٣ فقبلت وتحادثت معه يوم ٥ فرجا منى أن أعدل عن هذه الفكرة وقال لى انه سيسوي هـذه المسألة . فقبلت . ومن سوء الحظ إن الالسنة لغطت بهذا الحادث في برلين وعزته الى مفاوضات بريست ليتوفسك وليس كذلك . ولم يكن السبب الحقيقي في رفع استقالتي سنة ١٩١٨ سوى الخطة التي انتهجها الامبراطور ازائي فاني لا استطيع صبراً على مثل هـذه المعاملة الصادرة من امبراطوري ورئيسى العسكرى الأعلى وهى لا تتفق مع كرامتي

ومما يستوجب الأسف أن قد توترت علائقي بالقائد هوفمان يوم ٢ يناير الا انناعدنا الى التفاهم فيما بعد

وعلى أثر هذه الحوادث رفع الفيلد مارشال الى الامبراطور مذكرة يوم ٧ يناير ذاكراً فيها التبعة الملقاة على عاتقينا نحن الاثنين في نتائج الصلح وان هذا الصلح يجب أن يؤدي الى تقوية الشعب الالماني والى اكسابه حدوداً تمنع أياكان من أعدائه أن يحاول في وقت قريب اضرام نيران حرب جديدة . ولكن المسألة خرجت من هذا الطور بخروج الوزير كوهلمان عن دائرة التعليمات التي رسمها جلالة الامبراطور يوم ١٨ ديسمبر وعما قررته جلالته في موضوع التخوم البولونية يوم ٢ يناير . والمت المذكرة بما حدث في جلسة ٢ يناير والمركز العصيب الذي دفعنا اليه الفيلد مارشال وانا امام جلالته . ثم انتهت المذكرة بما يلي :

« ان الاعتراضات (التي يبديها وزير الخارجية) تعتبر على مايظهر في المرتبة الثانية من خطارة الشأن ماذامت داخلة في طور المداولات الخاصة وليست في حكم المفاوضات العامة . على ان هذه الاعتراضات حدثت هنا وفي بريست ليتوفسك سواء أكانت في صدد المسألة النمسوية البولونية أم في صدد الصلح مع الروسيا . وأصبحنا ونحن نراها ماثلة دائماً في كل مسألة يراد حلها

« لجلالتكم حق الفصل في الامور المختلف عليها ، ولكن جلالتكم لاتريد سوى رجال مخلصين أمناء يؤدون الخدمة لجلالتكم وللوطن بصدق ووفاء ، ويزيلون بنفوذهم وبشهرتهم كل مايضر بالتاج وبالامبراطورية — وهذا هو اعتقادهم الخاص .

« وجلالتكم لاتتطلب مني أن أرفع اليها خطط أعمال حربية من أخطر ماعرفه التاريخ العام اذا لم تكن هذه الخطط ضرورية لادراك مقاصد سياسية حربية عسكرية معينة .

« فانا التمس بمنتهى التواضع من جلالتكم أن تصدروا قراركم الحاسم

في جوهر الموضوع . وان شخصينا أنا والقائد لودندرف لايريدان القيام بدور خاص تجاه المشروعات الحيوية للدولة . »

فأحال الامبراطور المذكرة على المستشار للاجابة عليها . ودارت بيننا والمستشار محادثة في هذا الصدد حوالى منتصف ينابر .

وكان أول ماحاول المستشار مناهضته هو مايعتقده من اننا الفيلد مارشال وأنا نتحمل تبعة شروط الصلح . فأكد ان التبعة واقعة عليه وحده . على أن الفيلد مارشال لم يحاول البتة الاعتداء على حقوق المستشار هرتلينج ولا على حقوق سلفه الفون بيتمان التي خولها اياها الدستور . وأما أردنا التبعة الادبية التي كنا نشعر بها من أعماق قلبينا والتي لايستطيع أن ينتزعها منا أحد كما أردنا التبعة التي نحملها تجاه الجيش وتجاه الشعب . ويرجع الخطأ الى الحكومة التي كانت توافق القيادة العليا على وجهات نظرها في أغلب الاحيان وتظهر استعدادها لحماية وتعضيد مشروعاتنا ورغباتنا التي لاتقوى على تحقيقها فيما بعد . على ان الكونت هرتلينج لم يتبع هذه الطريقة بل كان يحاول جهاراً التخلص من اشراف القيادة العليا . وظل المستشار هرتلينج ينفذ سياسته الخاصة وهو يحسب هذا العمل من حقه غيرذاكر انه يرتبط معنا باتفاقات معينة . ولا أزال حتى اليوم لاأدرى السبب الذى حمل الكونت هرتلينج على سلوك مثل هذا المسلك

ولم تحدث هذه المحادثة ولا الاجابة الامبراطورية على مذكرة الفيلد مارشال أى تعديل في مجرى الامور . على أن أهم أغراض الكونت هرتلينج من ذلك كان متجهاً الى الغرب إذ أراد أن لايجعل بلجيكا ممراً لجيوش الاعداء ، وهو في هذا الغرض على اتفاق مع القيادة العليا

- ٣ -

واجتمعت وفود الصلح خلال هذه المدة في بريست ليتوفسك ولم يكن للمتفقين بالطبع ممثلين بينها . وكان كثيرون من الناس يتساءلون اذا كان الروسيون سيعودون . ولقد عادوا الى المؤتمر الا انهم تحت قيادة تروتسكي . وذلك لان انحلال الجيش الروسي آخذ في الازدياد وهـذا الجيش لايريد سوى الصلح . فمركزنا اذن من أحسن ماتسمو اليه الآمال ولا حاجة لنا بمفاوضات على مثال ماأتاه الاتفاق مع بلغاريا والنمسا والمانيا بل كل مايلزمنا أن نقدم مطالبنا ببساطة ووضوح

ووافقنا على أمور كثيرة فيما يختص في حق تقرير الشعوب مصيرها بنفسها وعدلنا عن وجهة نظرنا القاضية بأن أهالي كورلاندا وليتوانيا قد قررا من قبل رغبتها وقبلنا حق استفتائهما من جديد الا اننا اشترطنا أن يكون هذا الاستفتاء اثناء احتلالنا تلك البلاد . فأصر تروتسكي على وجوب جلائنا عنها أولا ثم يستفتى الاهالى . الا أن الجلاء عن هذه الديار غير معقول من الوجهة العسكرية لاتنافي حاجة الى استمدادها أسباب حياتنا ولرغبتنا في حفظها من عدوان البلشفيين ، ولهذا رفضنا فكرة الجلاء . وقد بدا الآن صواب نظر المعسكر العام الاكبر في هذا الموضوع ، اذ لو قبل رأي البلشفيين المسلحين لكانت المانيا خاضعة الآن لهم . فهؤلاء القوم هم أقل الناس رعاية لحقوق الامة على الرغم من مطالبتهم بها ولا همّ لهم الا زيادة نفوذهم

وعندمايستردن هذهالبقاع منايعتبرونهاعائدة الىسلطتهم . وشعورهم الوطني شديد جدا الى حد انهم يرون فصل كورلاندا وليتوانيا وبولونيا — على الرغم من حرية اختيار المصير — وسيلة عدائية ضد الروسيا

وتعتبر النمسا اكثر الدول استفادة من تقرير حق المصير في بولونيا الذي يشترطه الروسيون

وطالب العثمانيون بباطوم وقارص لانهما لبثتا زمنا طويلا جزءا من الممالك العثمانية وهذا المطلب كان ذاشأن ثانوى في نظرنا الا اننا كنا ملزمين بتحقيقه مراعاة للتحالف .

وكانت مطالبنا العسكرية لاتكاد تذكر لان نزع السلاح جار من تلقاء نفسه في الروسيا ، ولم نطالب باسلحة أو بواخر

ولم نشترط ضم استونيا وليفونيا على الرغم عن شدة رغبتنا في تحرير الاهالى الذين من عنصر المانى أصلى من نير البولشفيين . فتعطل الصلح لا يرجع الى فداحة مطالبنا بل الى مقاصد البولشفيين الثورية والى تردد مفاوضينا وكذلك الى حالة الرأى العام الالمانى والنمسوي الذى لم يخبر طبيعة الثورة الروسية . وحينما عمد القائد هوفمان الى الظهور فى مظهر العزم لوضع حد لطول المفاوضات أخذ تروتسكي الذى لايعتمد على شيء من القوة بوهم بأنه اذا لم يجب الى رغائبه يسحب المفوضين الروسيين ، وسره أن رأى من يرجو منه عدم الاقدام على هذا العمل الذى لم يكن له أقل جنوح الى الباسه صبغة الجد . وارتاح تروتسكى والاتفاق لامتداد المفاوضات واقترح تروتسكي نقلها من بريست ليتوفسك الى بلد محايد . وأخذ يعلن الآراء البولشفية في العالم أجمع وبين الطبقة العاملة الالمانية على الاخص بالتلغراف الاثيرى ، فكل البصراء بحقائق الامور أدركوا ان البولشفيين لا يقصدون من

هذه المحاولة سوى اشعال نيران الثورة في بلادنا للتوصل الى اسقاطنا .

وأخذت أتقلى على الجمر وأنا فى كراوزناخ من هذه المماطلة وحثثت القائد هوفمان على إيجاز المفاوضات . وكان هذا القائد يشايعنى في الرأى من الوجهة العسكرية إلا ان اختصاصه محدود

وارتحل تروتسكي الى سانبطرسبورج يوم ١٨ يناير لأن البولشفيين حلوا الجمعية الدستورية ، فدل عملهم هذا على مقدار احترامهم حرية الشعب. واعلن عزمه على العودة بعد عشرة أيام ولكنه لم يعد إلا يوم ٣٠ يناير

وصرح الفيلد مارشال برجاء منى في مؤتمر عقد في برلين يوم ٢٣ يناير بوجوب معرفة الحالة الحقيقة في الشرق حتى إذا كان البولشفيون لا يريدون ابرام الصلح في الحال فلا بد من اعادة بعض الفرق من الغرب وقطع المفاوضات واعادة القتال ، واذا ما سقط البولشفيون فكل هيأة حاكمة تخلفهم تكون مجبرة على ابرام الصلح

وكانت هنالك بواعث أخرى تحملني على استحثاث هذه المفاوضات وصول الى خاتمتها فان طولها يجعل الآن الاتفاق يسيء الظن في قوتنا للهافتنا على مصالحة الروسيا الى حد ملاينة تروتسكي ممثل الفئة التى لم تعترف بها أية دولة من دول العالم . وكيف يكون شأن كليمانسو ولويد جورج معنا إذا كان هذا مبلغ جهدنا ازاء ممثل فئة فوضوية عزلاء ؟

والجندى الكمى المرابط على الجبهة لم يكن يهمه من هذه المفاوضات ما يقيمه ممثلو البولشفية من الصعاب وما يبدونه من المراوغة بل كان يريد أن يجني ثمرات أتعابه التي أدت الى الانتصار الباهر بعد أن مني بكل ضروب الحرمان وعرض حياته للحمام مراراً عديدة ولا سيما في أول صلح متشوف الى معرفة نتيجته ليزداد به تقوياً على العمل لابرام الصلح في الساحات

الاخرى ، ولن تربح هذا الجندى إلا المساعى الحازمة الصارمة التى يجب القيام بها في المؤتمر لايضاح حقيقة مركزنا في الداخل وفي الخارج

وفى خلال هذه المدة علم أن ترتسكي لا يعبر عن آراء الروسيا بأسرها ولا عن آراء رومانيا اذ قد وصل مندوبون من اوكرانيا يوم ١٢ يناير الى بريست وتبوأوا مقاعدهم تجاه الوفد البولشفى وقد عضدهم القائد هوفمان بصفة خاصة ، وعرضوا على ممثلي التحالف الرباعى رغبتهم في مباشرة مفاوضات منعزله

وفي يوم ٣٠ بدأت المفاوضات مرة اخرى غير انها كانت مصحوبة بامر عجيب وهو أن تروتسكي مدير كل أعمال المؤتمر . فلم يسع الفون كوهلمان والكونت كزرنين سوى قطع المفاوضات والعودة الى برلين يوم ٤ فبراير واستمرت المفاوضات مع أوكرانيا على القاعدة الآتية : تتعهد اوكرانيا بتسليم النمسا والمانيا مقادير جسيمة من الغلال ، وفى مقابل هذا تحصل على تعديل فى الحدود لمصلحتها من جهة بولونيا في دائرة خولم. ووعدت النمسا عدا هذا ان تنشىء بقعة أوكرينية في غاليسيا الشرقية .

وحينما ذهبت الى برلين لمناقشة وزير الخارجية فون كوهلمان والكونت كزرنين فى يومى ٤ و ٥ حصلت من وزير خارجيتنا على وعد بقطع المفاوضات مع تروتسكى بعد ابرامه الصلح مع اوكرانيا بأربع وعشرين ساعة . وكل ما علمته عن هذه المفاوضات دلنى على أن الروسيا لا تريد الصلح . فهى تعلق امالها على انتصار الاتفاق وعلى شبوب الثورة فى المانيا ولا تثق بنا . وازداد الروسيون رجاء على أثر الاعتصاب السياسى الذي حدث في أواخر يناير على الرغم من ارادة زعماء النقابات . وكانت في هذه الآونة العلائق تزداد إحكاماً بين شطر من حركة العمال الالمانيين والبولشفيه !

وفى أثناء المؤتمر الذى عقد فى برلين للتداول فى شأن مؤتمر الصلح أوضح لنا الكونت كزرنين الباعث له على ابرام صلح خاص مع أوكرنيا قد يفضي الى تبرم البولونيين وألح علينا بكتم بعض نصوص الاتفاق الذى سيبرم مع أوكرنيا . أما هذا السبب فهو ان المقادير الواصلة الى النمسا من حبوب رومانيا بدأت تقل بالتدريج بدرجة جعلت المملكة الثنائية في أشد العوز الى غلال اوكرنيا التي اذا لم تصل الى النمسا فى أقرب وقت انتشرت المجاعة فى النمسا . وختم مدير تموين الجيش النمسوى القائد لاندويهر حديث أزمة الحبوب المحزن بوصفه حالة تموين الجيش، ثم رجانى ان أمده بمساعدتى . وعلى الرغم من الضيق المستحكم فى المانيا نفسها فان الفون فالدوف رأى امكان مساعدة النمسا الى حد محدود .

وبعد مداولات أخرى فى برلين حضرتها بالمثل سافر الوزير كوهلمان والكونت كزرنين الى ليتوفسك . وأمضى اتفاق الصلح مع اوكرنيا يوم ٩ فبراير فطلبت من فون كوهلمان ان يقطع المفاوضات مع تروتسكى كوعده يوم ٥ غير انه على ما يظهر لم يشأ أن يفى بوعده . وفى اليوم نفسه وصلت اشارة جوية من الحكومة الروسية الى الجيش الالمانى تدعوه الى رفض الاذعان لرئيسه الاعلى . فقدم الفيلد مارشال تقريراً بهذا الحادث الى جلالة الامبراطور الذى أمر الوزير كوهلمان ان يوجه انذاراً نهائياً الى تروتسكي يجبره به على قبول اقتراحاتنا السالفة وكلف الوزير في الوقت نفسه ان يطلب اخلاء البلاد البلطيقية . فارتأي الفون كوهلمان وجوب الامتناع عن هذا الطلب مراعاة للرأى العام فى النمسا والمانيا فقبل جلالة الامبراطور العدول عن الامر الاخير . فشدد الفون كوهلمان فى حمل تروتسكى على ابرام الصلح فرفض هذا الاخير كل اتفاق مصرحاً في

الوقت نفسه ان حالة الحرب قد انتهت وانه سيأمر بفض الجيش الروسى. فاصبحت الحالة في الشرق شديدة الابهام . ولا يسعنا الوقوف إمام أمر لم يبت فيه إذ من الممكن أن تظهر حوادث جديدة في هذه الجهة مابين آونة واخرى بينما نكون نحن مشغولين بالذود عن كياننا في الجانب الغربى . فموقفنا العسكري يقتضى الوضوح وهذا مالايتم الا بمداولات هومبورج

— ٤ —

عقد اجتماع هومبورج يوم ١٣ فبراير بحضور المستشار ونائب المستشار ووزير الخارجية والفيلدمارشال وامير البحر وأنا وماكان جلالة الامبراطور يحضر جلسات هذا الاجتماع الا من وقت الى آخر .

وكان المعسكر العام الاكبر قد أرسل عدة تلغرافات الى المستشار يرجو منه فيها أن ينقض الهدنة . لان الجيش الروسى الذى لايعتد به في هذه الآونة لايلبث أن يصبح خطراً عظيما اذا اتسع له الوقت فضلا عما تقوم به البولشفية من نشر دعوتها . ومن جهة أخرى فان رومانيا لاتبرم صلحاً الا اذا فتحت لها الروسيا طريقه . وبهذه الطريقة لايقترن هجومنا فى الغرب بالنجاح وتفلت منا فرصة اختتام هذه الحرب العالمية بانتصار باهر على أعداء أكثر منا عدة وعددا. وعدا هذا فاننا مفتقرون الى الاعتضاد باكرونيا على البولشفية . وأين نجد القمح اللازم للنمسا اذا لم نستمده من اوكرانيا ؟ فالمانيا ليس في وسعها أن تستغني عن محصولها ورومانيا لم تعد تسد حاجة النمسا كما كان المنتظر . ولا بد للحملات البولشفية من أن تجعل الصلح مع اكرينيا عبثا اذا لم تبرم البولشفية نفسها صلحاً قهرياً مع التحالف الرباعى . على ان العمل في هذه الآونة ضد القوى التي يواجهنا بها البلشفيون

من شأنه أن يمنع تجدد الجبهة الشرقية ويكسبنا أدوات حربية جسيمة نحن في أشد الحاجة اليها . ومع ذلك فانه لن يكون عملا حربياً عظيما. ولاجل منع الاتفاق من انهاض روسيا كما تحاول الآن القيام بهذا الامر يجب احتجازنا جنودنا وأدواتها الحربية على الشاطىء المورمانى ، وان لم نفعل هذا فلا بد من مجيء انجلترا الى بطرسبورج لتتولى إدارة الحركات الموجهة ضدنا فينبغى اذن أن نحول دون وصولها الى بطرسبورج والى خليج فنلاندا ولا بد لنا بالمثل من اغاثة فنلاندا التي امضها البولشفيون وأخذت تستنجد بنا فاننا اذا أنقذناها تكون نعم الظهير لنا على البلشفيين . ثم اننا باتصالنا بالفنلانديين نحدث ضغطاً على بطرسبورج ونستولى على سكة حديد مورمانيا وان الصلات التي بيني وبعض كبار الفنلانديين من زمن طويل وفى مقدمتهم المسيو هيلت أول سفير للدولة الفنلاندية الفتاة فى برلين تمكنني من استخدامها فى المصلحة المشتركة . وقد أمكن تأليف طابور فنلاندى من الرماة منذ أوائل الحرب واستخدم في ضواحى ميتاو . واذ كان الفنلانديون يحبون وطنهم من أعماق قلوبهم وهم يعلمون اخلاصنا لهم وقد أمددناهم بالاسلحة والذخائر نساعدتهم بطريقة غير مباشرة فقلما يحتمل أن نصادف أقل مقاومة فى فنلاندا .

على انى ما كنت أحب مباشرة أى عمل حربي في الجبهة الشرقية بل كنت أوثر الصلح مع الروسيا الا أن هذا الصلح أصبح غير ميسور بسوى هذه الطريقة . أما ترك عدو آخذ في التقوى حتى يصبح قادراً على المهاجمة فما لاتسمح به شريعة الحرب القاسية .

فهذه الآراء هى التى أوضحتها للمستشار ونائبه مع افهامهم حرج مركزنا في الغرب وفداحة العبء الذي سننوء به هنالك. واننا لانستطيع

القيام بأى عمل عظيم في الغرب الا اذا امنا شر البلشفيين الذين يعملون على إضرام نار الثورة فى المانيا ولا نأمن شرهم الا اذا احتللنا جبهة ضيقة ازاءهم بدل جبهتنا الحالية المتناهية فى الاتساع والتي تعتبر خطراً دائماً علينا بوجودها في منطقة البحيرات . وصرحت بأنى سأكون مبتهجا بالطبع باغاثة ليفونيا واستونيا وعلى الاخص اخواننا في العنصر الرازحين تحت كلاكل المظالم البولشفية والذين يستنجدون بنا .

ولم يشأ المستشار ونائبه أن ينقضا الهدنة بحجة الاضطراب الداخلي وحالة النمسا العامة وتبعهما في رأيهما وزير الخارجية كوهلمان ، ولم يعيروا السياسة الخارجية أدنى أهمية . الا أن الشخصين الاولين أخذا يتحولان بالتدريج الى صفنا تحت تأثير الحالة الغذائية واخيراً انضما الينا تماماً . أما وزير الخارجية الذى كانت تنقصه الصفات العالية التي تؤهله لمركزه العظيم فقد اعتذر بانه لا يذهب الى إمكان نقض الهدنة ولكن بما أن المستشار قبل نقضها فهو يوافق على رأي المستشار دون أن يتحمل تبعة هذا العمل

واخيراً صادق الامبراطور على نقض الهدنة أو على ان الهدنة أصبحت ملغاة من تلقاء نفسها بحكم إمتناع تروتسكي عن ابرام الصلح

— ٥ —

والخلاصة أن القتال امتد على سائر جبهة روسيا الكبرى ابتداء من بعد ظهر يوم ١٨ فبراير واستمر الى ضحوة يوم ١٩ . وفي الحال أنبأتنا الحكومة البولشفية بالتلغراف الاثيرى انها مستعدة لابرام الصلح . واتماماً بنصيحة التجارب السابقة التي مرت بنا في بريست ليتوفسك نهجنا بمفاوضات الصلح منهجاً آخر مخالفاً تمام المخالفة للخطة السالفة . فطلبت الحكومة

عملا بآراء المعسكر العام الاكبر وبالاتفاق مع حليفتها وتطبيقاً لمبدأ بت الشعوب في مصيرها الاعتراف باستقلال فنلاندا واوكرينيا والتخلى عن كورلاندا وليتوانيا وبولونيا واعطاء باطوم وقارص . وتركت استونيا وليفونيا الى المستقبل اكتفاء باحتلالهما في هذه الآونة . ولا بد من فض الجيش الروسي وتجريده من السلاح وتعطيل الاسطول من العمل وكف الروسيا عن نشر دعوتها في المانيا . وارجئ النظر في المسائل الاقتصادية ومبادلة الاسرى الى مفاوضات تالية . وتحتم الاستمرار في الزحف الى أن تقبل كافة المطالب . فاظهر تروتسكي استعداده لأرسال مفوضين جدد الى بريست أما هو فلم يحضر

ووصل الوفد الروسى يوم ٢٨ فبراير وصرح بانه غير مفوض إلا فى امضاء اتفاق الصلح . ووقع الطرفان صك الاتفاق يوم ٣ مارس فوقف القتال

ان صلح بريست ليتوفسك هو نتيجة الدعوة الثورية التي أراد البولشفيون نشرها في المانيا . على انى لم أرد القضاء على الروسيا . فالبقاع التي فصلت من الروسيا لم تكن حيوية لها أما استونيا وليفونيا فكانتا من الولايات اللازمة لها فلذا لم نقرر اقتطاعهما منها . ثم اننا لم نعامل الروسيا معاملة مخجلة أو مجحفة بها ، وفرق بين شروط صلحنا معها وما كان يجب أن نشترطه في مثل ذلك المقام وما يفرض علينا قبوله الآن مع اننا لم نعارض في أي اتفاق مؤد الى الصلح من قبل كما فعل البولشفيون . وقد وافقت الاغلبية الكبري في الرايخستاج على شروط الصلح واعتبرته موافقاً لحرية الامم فى اختيار مصيرها ، وامتنع اشتراكيو الاغلبية من التصويت ، وأما الاشتراكيون المستقلون فهم الذين صوتوا وحدهم ضد هذا الاتفاق

ولقد اوصل الزحف الجنود الالمانيين المؤلفين على الاغلب من

اللاندويهر يين بسرعة مدهشة الى نارفاو بسكوف و بولوتزك واورخاميهيليف .
ولم يبد الروسيون أية مقاومة . واشتملت الغنائم على مقادير هائلة من
الادوات الحربية . وأخذ السكان يشعرون بتحررهم من النير البولشفى .
وتولى رئيس قيادة الشرق ادارة البلاد المحتلة . وكما حدث الزحف في
أراضى الروسيا الكبرى البولشفية فقد حدث بالمثل فى بقاع اوكرينيا
وكنت على اتصال تام بالقائد آزر للقيام باعمال هذه الحمله . وكان الامبراطور
شارل يريد أن يحول دون عودة القتال في الشرق إلا أن المجاعة الجأته الى
قبولها . وصار غرضنا الجوهري من متابعة الزحف الوصول الى كييف
التي احتللناها فى أول مارس . واستمر النمسويون يتقدمون في اتجاه
اوديسا . وإذ كانت الاعمال الحربية تجري على طول امتداد السكك الحديد
فقد دارت وقائع متعددة بين القطارات المدرعة ، واضطررنا الى اختراق
اقطار شاسعة بقوي ضئيله . أما الروسيون البولشفيون فقلما أبدوا دفاعاً
وأما أسرى الحرب النمسويون من العنصر التشيكي فكانوا أصلب عوداً وأنشط
الى القتال فالتحمنا معهم في وقائع حادة . واستمر الزحف والقتال الى
أواسط مايو

واهتم رئيس قيادة الشرق بتأليف فرقتين من أسرى الروسيين من
العنصر الاوكرينى إلا انهما مع الاسف لم يحققا أملنا في هذا العنصر الذى
حررناه من الاستعباد الروسى لانهما عند وصولهما الى ميدان القتال
انصاعا الى تأثير السياسة المتطرفة ، فاضطررنا حينئذ الى حلهما

ولم تكد الهدنة تنقض حتى شرع الاتراك بالمثل في الزحف في نجود
ارمينيا ووجهتهم قارص وباطوم .

— ٦ —

ان مفاوضات الصلح مع رومانيا كانت عسيرة بالمثل كالمفاوضات الاخرى

واذ كانت رومانيا بالنسبة لنا ضرورة حيوية لاحتياجنا البالغ الى بترولها ومواردها الغذائية فلم أشأ أن أدع أمر المفاوضات معها الى دوائر الحكومة المختلفة بل كلفت المعسكر العام الاكبر بمفاوضة برلين ومعسكر ما كنزن بشأن مطالبنا الاقتصادية من رومانيا . وجعلنا هذه المطالب أساس المفاوضات ولم نكسها مسحة عسكرية بل جعلناها مدنية بحتة . على اننا لم نرد الذهاب الى صلح الارهاق بل اعتبرنا الصلح الذي نحاول الاتفاق عليه مع رومانيا احدى ضرورات الحرب التي يصير التنحي عنها عند مباشرة عقد الصلح العام . ولم نشأ بتر أي عضو من رومانيا أو استعبادها أو استغلالها على الدوام كما يفعل الآن الاتفاق الذى محا شعوباً باسرها من الوجوه وحكم على امم بالتمزق واستعبد شعوباً أخري وهذه طريقة تعيد ذكرى همجية العصور العتيقة

ولم يكن من المستطاع تحقيق مطلب بلغاريا القاضى بضم كل مقاطعة الدوبروجا اليها لان هذا الضم مضر بالمانيا قبل كل شئ بل كنت أذهب الى وجوب ابقاء القسم الشمالى من هذه المقاطعة فى حوزة رومانيا وايجاد منطقة محايدة في يد الالمانيين تضمن وقاية سكة حديد تخيرنا فودا . قنسطنزا . ورفضنا ما تطلبته هنغاريا من الاستيلاء على بقاع رومانية مترامية الاطراف اذ لم تكن هنالك حاجة لحماية هنغاريا سوى تعديل بسيط فى الحدود من جهة أوسوفا وفى زاوية البغدان في جنوب كيرلى بابا ولم يعارض المعسكر العام الاكبر في الحاق بساربيا الى رومانيا . وكانت المانيا والنمسا متفقتين على إقامة حكومة فى رومانيا يكون رجالها من الرومانيين الذين ظلوا مقيمين فى القسم المحتمل منها والمعروفة ميولهم الودية لالمانيا . وكانت السلطة العسكرية تبذل قصارى جهدها لتلافى سفر ملك رومانيا وأسرته فجأة الى الخارج قبل ابرام الصلح العام . وأخذت النمسا تتبرم من

ازدياد النفوذ الالماني فى رومانيا وتتوجس خيفة منه وتكافحه وأرسلت لاجل هذا الغرض في أواخر يناير ملحقها العسكرى السابق في رومانيا الى جاسى حيث يقيم ملك رومانيا ليفهمه ان النمسا مستعدة لعقد صلح شريف مع رومانيا

وعهد الى الفيلد مارشال ما كنزن فى بادىء الامر ان يشرف على مجرى مفاوضات الصلح مع رومانيا الا انه رأى نفسه مغلول اليد عن التصرف في كل شيء بما تبديه النمسا من الاعنات . وكانت الحالة الحربية تقتضى العلم بما اذا كان الصلح سيتم حقيقة أم سيظل معطلا . وقد تألفت الحكومة الرومانية الحديثة الا انها لم تجبنا الى تحقيق أى طلب تقتضيه مصالحنا . وأخيراً اسندت رآسة المفاوضات الى الكونت كزرنين ابتداء من ٢٤ فبراير وكنت أذهب الى وجوب القيام بضغط حربي سريع على رومانيا في حالة تأخرها عن ابرام الصلح وبما اننا أصبحنا محدقين بها من كل جانب فان عملنا الحربي لا يستغرق وقتا طويلا . غير ان الحكومة كانت أميل الى ملاينة رومانيا فدل هذا على مقدار تباين وجهة النظر بين الحكومة وبيني

وابرمت مقدمات الصلح في بوفتيا يوم ٥ مارس ثم صار التوقيع على اتفاق الصلح النهائي في بوخارست وانتهت المفاوضات بوجه التقريب في أواخر مارس

وفازت بلغاريا بالحصول على البقاع المترامية الى خط تخيرنافوداقو نسطنزا من الدوبروجه وبقيت البقعة الشمالية تحت إدارة التحالف الرباعى وضمن لرومانيا مخرجا تجارياً فى قنسطنزا . وإذ ذاك رأى الاتراك أن يطلبوا عوضاً عن الغنم الذى فاز به البلغاريون في الدوبروجه التي كان للاتراك الجانب الاعظم من الاشتراك في فتحها إعادة الاراضى التي تخلوا عنها للبلغاريين في

أوائل الحرب غرب أدرنه وشرق الماريتزا فأبي البلغاريون وأردنا التوفيق بين الطرفين فامتنعا . واضطرت رومانيا أن تتنازل عن بقاع واسعة للنمسا حسب رغبة الكونت كزرنين وعلى الرغم من اعتراض المعسكر العام الاكبر الالماني . وسمح لرومانيا بضم بساربيا اليها . وتضمنت معاهدة الصلح تسريح الجيش الروماني وتقليل ما يبقى مجتمعا منه وتسليم قسم من أدواته الحربية ليبقى وديعة في ايدي التحالف الرباعي ونزوح البعثة الحربية الفرنسوية الى الروسيا . وتركت مقاطعة البغدان لرومانيا واجيز لقسم من الجيش الروماني حمل سلاحه ليحتفظ بالبقاع البسارابية كما تقرر بقاء ست فرق المانية نمسوية في الافلاق . ولم يفصل في أمر الملاحة في الدانوب التي تهمنا من وجهة نقل البترول والحبوب الرومانية الينا . ولم يفصل في أمر الاسرة المالكة ولا فيما اذا كان سيجاز لسفراء الدول المتفقة البقاء في جاسي أو الارتحال منها . فأدى هذا الاهمال الى بقاء اولئك السفراء في جاسي واتخاذها مقراً للدسائس المدبرة ضدنا . وأخيراً أمضيت معاهدة الصلح مع رومانيا يوم ٧ مايو ، إلا انها صورية اذلم تكد بلغاريا تتداعى اركانها حتى ظهرت رومانيا في مظهر اخر جعلنا ندرك أن المعاهدة المبرمة معها لم تكن موافقة لخطارة شأن الحرب العالمية

***

لا شك في أن ابرام الصلح مع الروسيا يوم ٣ مارس في بريست ليتوفسك والاتفاق على مقدمات الصلح مع رومانيا في بوفتيا يوم ٥ منه قد أديا الى تخفيف عظيم عن الجبهة الشرقية إلا أن الخطر لم يزل تماماً لتوقع نهوض الروسيا واستجماع قواها بمعونة دول الاتفاق اللواتي يغرين البولشفية . غير أن البولشفيين لم يلبثوا أن تبينوا حقيقة مقاصد الاتفاقيين التي ترمي

الى تقويض دعائم البولشفية واقامة حكومة روسية أخرى على انقاضها تساعدهم على المانيا مساعدة حربية فاداروا وجوههم شطر المانيا وعدلوا عن مقاومتها بالسلاح مقتنعين في الوقت الحاضر بنشر دعوتهم ومهتمين قبل كل شيء باصلاح داخل بلادهم .

وعلى الرغم من أن الصلح المبرم في الشرق لم يؤد الى الطمأنينة التامة لانه لايعتبر سوى صلح مسلح فقد شرعنا في نقل كل قوانا التي رأينا الاستغناء عنها في تلك الساحة غير تاركين فيها سوى الوحدات المؤلفة في الاغلب من الطبقات القديمة . ومع ذلك فاننا لم ننكف عن استجرار كل ما يمكن اقتطاعه من قوى الشرق اثناء فصل الصيف لتقوية الجبهة الغربية به . على ان القوى الباقية فى الشرق ازاء الخطر المتوقع هنالك وازاء اتساع البقاع المحتلة المحتاجة للوقاية وللاستثمار بايدى الجنود ظلت جسيمة .

— ٧ —

لقد استغرق الاستعداد للهجوم المقبل شتاء ١٩١٧ ـ ١٩١٨ كما استغرق تدريب الجنود على خطط الدفاع الجديدة شتاء العام الغابر . وكما ادخلت تغييرات عظيمة على طرق الدفاع فقد استحدثت طرق أخري للقيام بمعركة الهجوم . والطرق المستحدثة قائمة على التجارب المستخلصة من المعارك السالفة ولا سيما وقائع أراس . وأصبح من المعتبر ان العامل الاهم والحاسم في المعارك الهجومية هو الاستيلاء على متسع عظيم من البقاع . ولم يعد الاعتماد في الهجوم كالعهود السابقة على صدور الجنود بل صار المعتمد الاهم هو السلاح الفعال . وصار من المستصوب ترقيق الخط الاول وإردافه بخطوط تعضيد قوية ، واستغني عن الحشود العظيمة بمجموعات متفرقة خفيفة سهلة التحرك سريعة السير من الجنود الرماة . ويجب ان يكون

الجنود المشاةمزودين بالمدافع الرشاشة الخفيفة . وعلى هذه المدافع الحاصدة ينبغي أن يكون أعظم معتمد ومع ذلك فلا يحسن اهمال البنادق. اما المدافع السريعة الثقيله فلشدة نيرانها الملتهمة جعلت مهمتها التمهيد للرماة بين صفوف الاعداء للانتقال من خندق الى خندق . وتجيء بعد السلاحين المتقدمين قاذفات القذائف التى تراد بها اصابة الاهداف القريبة التى لم تتأثر بنيران النوعين السالفين . واذ كانت هذه القاذفات معتبرة سلاحاً خاصاً بحرب الخنادق فقد أدخل عليها تعديل بجعلها سلاحاً ملائماً لحرب الهجوم. واذ كان لابد من اتقاء شر الخسائر الفادحة التي تصيب المشاة في هجومهم من وسائل الدفاع المواجهة لهم فقد ظل من الضرورى التمهيد باطلاق المدافع الغلاظ على مواقع العدو قبل الهجوم غير أن هذه المواقع لن تمحى بتاتاً بنيران التمهيد فلزم اذن إصحاب المشاة بمدافع سهلية سهلة النقل لتقضي على ماتبقى من ملاجيء الاعداء فى الخطوط الامامية ، ووزعت هذه المدافع على الالايات والطوابير . ثم تجيء قاذفات اللهب وهي ترسل اللهيب على الكهوف والخنادق عند اقتراب الجنود الهاجمين منها . ولم يكن لدينا من التانكس ما نستخدمه في هجومنا الا انه نجح بغير التانكس . وانما تأخرنا عن صنع التانكس لاننا كنا في أشد الحاجة الى صنع الاتوموبيلات النقالة التى تقل المشاة من ثكناتها الخلفية الى ميادين القتال وهى مرتاحة لما وجدناه في هذه الوسيلة من المزايا الجليلة . ولقد عانينا أشد الصعاب في الحصول على الوسائل اللازمة لتسيير هذه السيارات ولم نحجم عن استتباع صنعها لصعوبة الحصول على هذه الوسائل . وعلى الرغم من الانهماك في صنع السيارات النقالة فان المعسكر العام الاكبر لم ينصرف عن الاهتمام بصنع التانكس . ولم يظهر للتانكس مفعول ناجع قبل معركة كمبرنه . الا

انها في الغالب لم تصل الى الغرض المقصود منها سوى في القطاعات التي لم تكن حافلة بالجنود وجنودها مع ذلك من الطبقات المتقدمة في السن وغير مزودة بالمدافع الكافيه . وفي أواخر سنة ١٩١٧ أخذت عربات التانكس تكثر لدينا ولم يجيء ربيع ١٩١٨ حتى كان لدينا مايفي بما يستلزمه الهجوم. على ان جنودنا كثيراً ما اتلفوا مركبات التانكس المعادية بالقذائف المتفجرة وبالرصاص ذي النواة الصلبية

واعددنا طياراتنا لتعضيد المشاة في هجومهم فلم تقتصر على الاستكشاف بل اصبحت سلاحاً ناجعاً يستعمل في سائر المعارك . وأخذت الطيارات تمهد للمشاة بمدافعها الرشاشة وبقذائفها الخفيفة فتصيب خط الدفاع الاول وتتخطاه الى الاحتياط ثم تعرقل حركات التموين وزحف النجدات الواصلة من بعيد الى مؤخرة الجيش المعادي .

ان التمهيد العظيم بالمدافع لهجوم المشاة أمر جوهري. ويجب ان يكون عدد البطاريات المحتشدة في كل كيلو متر من الهجوم من ٢٠ الى ٣٠ أي حوالى مائة مدفع . وهذا مقدار جسيم لم يكن يتصوره انسان من قبل وزد على ذلك اكوام القذائف التي ترسلها هذه المدافع المتراصة . ومع كل ذلك فان هذا التمهيد الهائل لا يمحو اثر الحياة من جبهة العدو بل تبقى بقية كبيرة من الاعداء تحتاج الى عمل المشاة الذى يجيء بعد تمهيد المدفعية.

ولقد كان المتبع في اطلاق المدافع اتخاذ حساب للتصويب الا أن وسائل الوقاية ومدافع الخنادق التي تستأصل مدافع الهجوم وذخائرها جعلتنا نفكر في ابتكار طرق لاصابة الاهداف بغير مراعاة حساب التصويب القديمة . وهذه الطرق قائمة على انظمة علمية دقيقة تشترك فيها الطيارات برسم مواقع العدو وتعيين ابعادها ، وفى الاماكن التي تخلو من الطيارات

تقوم قوى الاستطلاع بتقديم هذه المعلومات أو تستخلص من وميض الطلقات ومن اصواتها . وقد وضعت جداول محكمة لسائر هـذه الاعمال ودرب المدفعيون عليها مدة طويلة تأهباً للهجوم المنوى

واعد المعسكر العام الا كبر طريقة لتعطيل مدفعية العدو ومنع خروج مشاته من مخابئهم بتمهيد قصير حاد جداً يراد منه نشر سحاب كثيف من الغاز يتمكن مشاتنا في أثناء انتشاره من التقدم في خط العدو الاول .

وفي خلال وثوب مشاتنا توالى مدافعنا ارسال حممها على مدفعية العدو لمنعها من تعطيل زحف مشاتنا . وحينئذ يشتبك مشاتنا مع مشاة العدو تحت قبة قذائف مدافعنا التي تحميهم وهم مصحوبون بكل آلات كفاحهم الخفيفة السريعة . وبعد استيلاء المشاة على الخط الاول وتراجع العدو الى مسافة بعيدة تتقدم المدفعية الثقيلة الى الخط الذى استولى عليه المشاة لتمهد لهم الهجوم مرة أخرى . واتخذنا طرق الحيطة من الاصطدام بجبهة جديدة كما حدث مثل هذا فى رومانيا وفي ايطاليا بتنبيه المشاة حينئذ الى التزام خطة الدفاع والانتشار على خطوط متدرجة بعضها اثر بعض . وشرعنا ندرب الجنود على كل ما جد من الاعمال الحربية في الخطوط الحديدية وفي التليفونات والتلغرافات بانواعها . وارسلنا قائدا محنكا من الجبهة الغربية الى رومانيا لتدريب القوى الباقية فيها على تعاليم الحرب الحديثة ليكونوا على استعداد تام للانتقال الى الميدان الفرنسوى على أثر ابرام الصلح مع رومانيا . وشرعنا نلقى محاضرات على العساكر والضباط في الميدان الغربي وتوالى التدريب بين المعسكرات من المقترعين الى أقدم الجنود في الميدان واجرينا تمرينات بقنابل حقيقية على العوائق المتحركة . واتفق سائر الرؤساء على وجوب الاحتفاظ بالطاعة في الجيش لانها أساس النجاح في الاعمال الحربية .

ولم يدخر ضباطنا وسعاً لاعداد جنودنا للهجوم العظيم المقبل كما أعدوهم في العام المنصرم للدفاع المجيد الذى قاموا به خير قيام . ويمكن الجزم بمهارة ضباطنا اذا قيست خسائرنا بخسائر اعدائنا من القتلى . فقد خسر الانجليز والفرنسويون اكثر من ٢٠٠٠٠٠٠ قتيل وخسر الروسيون نصف هذا العدد فيكون أعداؤنا فقدوا ٣٠٠٠٠٠٠ قتيل مقابل ٢٠٠٠٠٠٠ قتيل الماني من جملتهم قتلى الميادين الاخرى المتنائية . فنحن اذن أقل خسارة من الاعداء .

ومع استعدادنا العظيم للهجوم فاننا لم نغفل الاستعداد بالمثل للدفاع اذ لابد لنا من انتظار كر العدو على اثر انتهاء هجماتنا . وقد اتبعنا خطتنا الدفاعية السالفة الا اننا اتخذنا احتياطات ناجعة لتلافى أخطار التانكس وضاعفنا عنايتنا بحماية مواقعنا الدفاعية من مباغتات التانكس ببث الاشراك المستورة واعداد الحفر المغطاة وقطع الطرق ووضع الالغام واخفاء عدد كبير من المدافع المخصصة لمكافحة التانكس في أماكن متفرقة . وافادنا وزير الحربية بابتداع اسلحة جديدة لدفع غارات التانكس .

واخذت اختلف الى المعسكرات العامة للجيوش المتفرقة في سائر أنحاء الجبهة الغربية لاستطلاع آراء القواد والضباط والجنود فى الطرق الحديثة . وكذلك شاهدت التمرينات الجارية في أماكن متعددة واستخلصت من هذه المشاهدات ان اعتياد العساكر على الانظمة الجديدة لا يتم قبل شهر مارس

— ٨ —

تراجعت الفرق المعدة للهجوم من الخطوط الامامية فى شهري

وفبراير لتدريبها وتجهيزها . واذ لم نكن حاصلين على تجهيز الجيش المقاتل بأسره بكل آلات الهجوم فقد اقتصرنا على تجهيز الفرق التي ستفتتح المعركة الهجومية . وبما أن كثيراً من الفرق المستقدمة من الساحات الاخرى لم تزل في الطريق فقد استصوبنا أن نشرع فى الهجوم على امتداد خمسين كيلو متراً فقط . وانتظرنا أن ندبر الهجوم بخمسين أو ستين فرقة ولهذا وجب علينا أن نضعف النقط الاخرى من الجبهة بسحب ما يتيسر منها . ومع اننا قد أدركنا التفوق العددي الذى لم نكن نحلم به فى إحدى الساحات في وقت من الاوقات فقد كان من المنتظر أن لا يدوم هذا التفوق لان لدى العدو من الاسلحة الخاصة داخل بلاده ومن جنود المستعمرات ما يكسبه التفوق اذا طالت الحرب

وأراد المعسكر العام الا كبر أن يستمد جانباً من قوى النمسا المتوفرة لهـا من جراء الصلح الرومى الروماني إلا أن حالة الجيش النمسوى كانت لا تسمح البتة باقتطاع وحدات منه . ولقد ارسلت إلينا النمسا عدداً كبيراً من المدافع ولـكن ذخائرها كانت في منتهى القلة

وكان المعسكر العام الا كبر يريد أن يستخدم العرضي الخامس عشر العثماني في الميدان الغربي إلا أن الحالة المحزنة التي آل اليها الجيش التركي في فلسطين اجبرتنا على ارجاع هذا العرضى الى بلاده . وقد اسفت على هذا للعمل فيما بعد لان انور الذى لم تنصرف عيناه عن القوقاز أرسل هـذا العرضى الى باطوم حيث بقي هنا لك بدون أن يقوم بعمل مذكور وكان من الافيـد وجوده فى المعترك الغربى

وكانت بلغاريا تستخدم جنودها في الجبهة المقدونية ومع ذلك فقد كان في وسعها أن ترسل عدداً كبيراً من جنودها الى الميدان الغربي لو

تزودت بحسن الارادة والاخلاص إلا انها لم تفكر البتة فى القيام بواجب تحالفها في هذه الحرب الكبرى . بل انها لم ترد ان تسمح بسحب قسم من الجنود الالمانيين من جبهتها الا بعشقة والجنود الالمانيون الذين غادروا تلك الجبهة اضطروا الى ترك أسلحتهم فيها

وتوفرت لدينا الادوات الحربية بكثرة فى المعترك الغربي غير اننا لبثنا شاعرين باحتياجنا الى وفرة الجنود اذ لم تتحقق كل آمالنا من هذه الوجهة. وفى الواقع أن وزارة الحربية أخذت ترسل فى خريف ١٩١٨ جنوداً من المعسكرة فى الداخل ومن الحاميات الدخلية الى حومة الوغى كان من الواجب ارسالها فى أوائل الهجوم لا عند شدة الضغط . على ان المعسكر العام الاكبر لايزال قادراً على استقدام قوى اخرى على التوالى من الجبهة الشرقية ومن رومانيا ولديه موارد احتياطية أخرى . ولقد أخذت أفكر في استخدام النساء بالمثل فألفنا فيلقا أنثويا يساعد في أعمال التليفونات

على ان الجيش المحارب ما كان يشعر بحاجة الى الاستزادة لو لم يكثر الهاربون من التجنيد والمختفون من الجبهة . فعدد اللاجئين الى البلاد المحايدة هائل جداً يمكن تصور مقداره اذا علمنا ان الموجودين منهم في هولاندا وحدها يعدون بعشرات الالوف . وكذلك يوجد عدد عظيم مختف داخل البلاد يتستر عليهم ذووهم وتقصر الحكومة في حشدهم . فالمدار اذن على الحالة النفسية فلو كانت حسنة لما شكا الجيش نقصاً ولا ضعفاً

ولقد أصبحت المعركة الدفاعية من الطراز الحديث تتقاضى من الخسائر أكثر مما تتقاضاه المعركة الهجومية . نخسائرنا في شهور أغسطس وسبتمبر واكتوبر ١٩١٨ كانت أعظم بكثير من خسائرنا في أشهر مارس وابريل ومايو . لان خسائرنا في أشهر الهجوم مؤلفة من جرحى جروحهم خفيفة

في الغالب ولا يلبثون أن يعودوا الى صفوفهم متى تعافوا من جراحهم ، وأما خسائر الدفاع فكانت محتوية على كثير من الاسرى الذين لايسعنا الا اعتبارهم في عداد المفقودين نهائيا .

وأخذت حالة الجيش الادبية تتحسن على أثر الشروع في الانتقال من الدفاع الى الهجوم . الا أن دسائس تثبيط العزائم بالطرق الخفية كانت لاتزال متبعة فى بعض نقط من الجيش . فقد تعالت الشكوى من مجندي الطبقة التاسعة عشرة بالنظر لما رؤي من سوء حالة هذه الطبقة الادبية وفضلا عن ذلك شوهد تداول النقود بكثرة بين ايدى الجنود الجدد بينما الجنود المتقدمين في السن الذين قضوا فى القتال طول سنوات الحرب خالية جيوبهم

ولم تتغير حالة داخليتنا الادبية . والاضرار بشؤننا الاقتصادية ظل مطرداً فى ازدياد . ومع ان الجيش تقوى عن العام الماضي بوجه عام فقد شوهدت في بعض اجزائه عوامل الضعف . ولم تكن البلاد يائسة من انتصارنا بل كانت عظيمة الثقة بكفاءة الجيش غير ان دعوات العدو هى التي كانت تؤثر في النفوس . ولم نكن نعلم مقدار ما أحدثه الحزب الاشتراكي الديموقراطى من التأثير في الافكار غير أن الاعتصابات التي حدثت في يناير ١٩١٨ دلت على ان انصار هذا الحزب كثروا وان زعماءهم يمتلكون أزمتهم وان النقابات لم يعدلها أقل نفوذ

ولقد أخذت الحركات الثورية تشتد والحكومة لا تتلافى شرورها قبل استفحالها وكان من الاحزم أن تركن الى الصرامة ولو أدى عملها الى قلة المواد الحربيـة وقتيا . وعلمت اذ ذاك باجتماع أول مجلس للعمال والجنود الالمانيين في راينيكندورف دون أن تسعى الحكومة في فضه فلم أأبه أنا

بالمثل بهذا المجلس لاعتمادي على الشعور العام الذي كان يربط الجيش بالشعب اذ ذاك ويوحد الفكرة العامة ، غير ان هذا الاستخفاف أدى الى أوخم العواقب لان هذا المجلس كان له أسوأ مفعول في مجري الحرب في دورها الاخير

ووثق الجيش بأسره بقيامه بواجبه خير قيام فى المعركة المقبلة وعلى الرغم من أن جنودنا الحالية لاتضاهي جنود ١٩١٤ فاننا كنا عظيمى الامل في الفوز . على ان العدو لم يكن أحسن منا حالا من هذه الوجهة . ومع ذلك ألم نقاتل بهذه الجنود وننتصر بها انتصاراً باهراً ؟ وأما الذي يهم الآن معرفته قبل كل شئ هو أي عمل سنقوم به . أفنخترق جبهة العدو ونقوم بمشروع حربي كبير ، أو نكتفي بمجرد القيام بمظاهرة بسيطة ؟ إن هذا الامر لايزال غير مجزوم به . . . وكل شؤن الحرب من هذا القبيل.

وفي ١٣ فبراير صرحت امام الامبراطور والمستشار في هومبورج بأن العراك المقبل فى الميدان الغربي سيكون في منتهى الخطارة وانه لايوجد قائد من قواد الجيش يستطيع أن يجزم بما سيؤل اليه ، ولكن اذا قام كل فرد من أفراد الجيش بواجبه وهو مزود بمحبة الامبراطور والامبراطورية وواثق بشجاعة رؤسائه وقوة أرادتهم ومشغوف بعظمة الوطن فاننا على الرغم من قوة العدو وحسن استعداده سنحرز النصر النهائي . الآن هذا العراك سيكون فريداً في بابه فهو لاينتهى فى وقت معين ولا فى مكان محدود. بل ستطول مدته وستتسع دائرته فيمتد من نقطة الى أخرى حتي يعم سائر الجبهة . ولا ينبغى أن يذهب بنا الوهم الى امكاننا انهاء القتال بمثل ما انهينا به معاركنا فى رومانيا وغاليسيا وايطاليا . بل الواجب أن نتدرع بالصبر وان نظهر من صدق العزم أعظم مما أظهرناه في الميدان الشرقى .

وذكرت للامبراطور ان الجيش المحتشد المتأهب الآن مقدم على « أعظم مهمة عهدت اليه فى تاريخ تكوينه »

هجوم ١٩١٨ في الغرب

— ١ —

من الصعب جداً اختيار نقطة الهجوم . ولا بد من الاسراع فى العمل قبل فوات الوقت فان مايراد القيام به شيء جسيم جداً . فمن حشد الجنود فى منطقة تنحصر في مساحة ضيقة الى نقل مقادير هائلة من الذخائر ومن الادوات الحربية العديدة أنواعها بالسكك الحديدية ، الى أعمال تحضيرية يقوم بها الجنود بانفسهم كتمهيد الاماكن اللازمة للبطاريات وتسوية الطرق وتشييد مظلات للطيارات والادوات التي ستجتاز الخنادق لتكون تحت تصرف الجنود الشارعة في الهجوم . فكل هذه الاعمال تستغرق اسابيع طوالا . وبما أن هذه الاعمال معرضة لخطر الاخفاق اذا تنبه اليها العدو فقد لزم التظاهر بالشروع في الاستعداد في نقط أخرى من الميدان بعيدة عن نقطة الهجوم لاستجرار نظر العدو اليها ، وهذه الاعمال الثانوية لن تكون عبثاً بل ستصير أساساً لهجمات أخرى في المستقبل

وتداولت مع رؤساء الجيوش وقوادها والضباط أركان حربى فى صدد المكان الاوفق للهجوم ، وعلمت أن ثلاثة قطاعات موافقة له وهى : في الفلاندر من ايبرالى لنس ، وبين اراس وسان كنتن او الفير ، وفي جانبي فردان مع ترك المعقل نفسه على حده . وكان لكل من هذه المواضع الثلاثة مزاياه وصعابه .

ورأيت في الهجوم على القطاع الشمالى فائدة عظيمة لانه قد يمكننا من

الاستيلاء على كاليه وبولونيا فنختصر جبهتنا اختصاراً كبيراً . إلا أن وادي اللبز الكائن غرب ليل وهو الذى ينبغى أن يكون المركز الجوهري للهجوم لا يمكن السير فيه الا في ابريل ، والتأخر بالهجوم الى ذلك الحين يفسح الوقت لاستعداد التشكيلات الامريكية .

أما الهجوم على قطاع فردان فيقع في جهات وعرة ومنيعة جداً

وأما الهجوم على قطاع الوسط فغير مصحوب بصعوبة أرضيه سوى أننا لا بد لنا من الاستعداد لاجتياز ساحة الحفر المتخلفة من معركة السوم

والهجوم على القطاعين الاخيرين لا يتوقف على حالة الجو . فحملتني الرغبة في سرعة الوثوب واعتبارات خططية اخرى على تقرير الهجوم في قطاع الوسط .

وبعد تعيين الفرق المخصصة للهجوم ومجموع الموارد التي سنستمد منها حاجاتنا أثناء الحملة على العدو صممنا على توجيه الضربة المنوية الى الجهة الممتدة مابين كروازيل في الجنوب الشرقى من اراس وميفر وبعد ترك بارزة كمبريه على حدة مابين فيلرجيسلن والواز في جنوب سان كنتن ، ويجب أن تكون هذه الوثبة مصحوبة بهجمة محلية في جهة الفير .

وشرعنا في توزيع الجيوش وهيآت أركان حربها على مواضع الهجوم وأكملنا أعداد الفرق وزودناها بكل المطالب اللازمة لمثل هـذا الوثوب العظيم من أدوات القتال والذخائر معتمدين على أدق حساب

وجعلنا الجيشين السابع عشر والثاني خصيصين بالوقعة النهائية تحت امرة مجموعة جيوش ولى العهد روبرخت . والحقنا الجيش الثامن عشر بمجموعة جيوش ولى عهد المانيا . وعهدنا الى مجموعة جيوش وريث المانيا الاشراف على سائر الميدان والمكافحة في كل مكان . وكان مما يدعو الى

اغتباطنا الفيلد مارشال وأنا ان دعتنا الضرورة الفنية العسكرية الى تمكين سمو الوريث الالمانى من الاشتراك في أول معركة هجومية عظمي في الجبهة الغربية . ولم أكن متأثراً في هذا العمل بمصالح الاسرة المالكة لانى مع شدة اخلاصى للمليكي رجل مستقل الارادة ولا اجنح الى المهالأة والملق

وتوقعنا امتداد القتال شمالا في اتجاه أراس وجنوباً على شاطىء الواز الايسر . فأعددنا بعض الفرق ووسائل الوثوب لمباشرة هجوم آخر يعقب الاول على النسق التالى :

فرق من مجموعة جيوش الكرونبرنز روبرخت بين ايبرولنس

فرق من مجموعة جيوش الكرونبرنز الالماني بين ريمس وارجون

فرق من مجموعة جيوش الفون جالويتز المؤلفة حديثاً في معترك فردن القديم .

فرق من مجموعة جيوش الدوق البريخت بين ساربورج في اللورين ومار كبرج وكذلك في السوندجاو

وحدثت تغييرات مهمة في هيآت أركان حرب الجيوش .

وصارت سائر الجبهات الاخرى على قدم الاستعداد للدفاع فى حالة قيام العدو بوثبات فجائية أو بكرات . وتوقعنا في بعض الجهات امتناع الجنود من الاشتباك ونقل خطوطهم الى الخلف

وأخذنا نشتغل في وضع برنامج هذه الاعمال منذ منتصف يناير بهمة عظيمة . وفي أوائل فبراير عينا يوم ٢١ مارس موعداً للهجوم على الرغم من أن حوادث الملتحم الشرقي لم تكن في حالة تامة الوضوح ، وما ذلك إلا لأن الحالة الحربية كانت تقتضى البت في الامور بسرعة وللقيادة العليا

أن تدخل تعديلات فى أي وقت على تفاصيل خطتها ولكن ليس لها أن تبدأ بعمل جديد .

وأوضحت في تقاريرى فائدة اشتراك جناحى الجيشين السابع عشر والثاني الكائنين تحت رآسة الكرونبرنز روبرخت الداخليين في شطر بارزة كمبريه وما يترتب على نجاح هذه المعركة من الشؤون الهامة ، ولاح لى اتجاه أنظار الجيش السابع عشر مبكراً جداً الى الغرب

وارتأيت ضرورة اتخاذ أول انتصار عاجل عاملا لنشر دعوة قوية لاجل عقد الصلح الذى أخذنا نقوى فكرة ابرامه لدى الأعداء . وقد أرسل الي الكولونيل الفون هايفتن مذكرة في هذا الصدد وجهت بها الى المستشار الذى حولها الى وزارة الخارجية

وكان المستشار عالما حق العلم بعزمنا على الهجوم فى الساحة الغربية ولم يكن حثنا اياه على نقض الهدنة الروسية وانهاء مفاوضات الصلح فى الشرق الا للشروع فى هذا الهجوم المنوى الذى كان يعرف ماننتظره من الفوائد الجليلة التي ستنجم عنه . كما اني إعلمته التاريخ المعين للوثوب . ولم يكن امام المانيا طريق اخرى تصل بها الى حمل العدو على ابرام الصلح سوى طريق الهجوم . وما ذلك الا لان الشرط الاساسى لامكان الدخول مع العدو فى مفاوضات الصلح هو زعزعة مركزي لويدجورج وكليمانصو ومع ان العالم أجمع كان على تمام الثقة كدول الاتفاق بعزمنا على مهاجمة الجبهة الغربية فان كليمانسو على الرغم من ذلك صرح بضرورة مواصلة الحرب وكان تصريحه هذا على ماأذكر يوم ٦ مارس

وما كنت أظن اذ ذاك امكان عقد صلح عادل لان العدو الى هذا الحين أصر على رفض صلح التصافي . فهل كان من الممكن اذ ذاك مدحه الالزاس

واللورين واجزاء من ولاية بوزين وغرامة حربية ؟ وكذلك حكومة الامبراطورية لم تذهب الى امكان عقد الصلح لانها لم تستطع أن توجد الصلات التي تؤدي الى مباشرة الصلح بدون مواصلة الصراع . ولا بد انها بذلت مجهودات عظيمة فى هذا الصدد على الرغم من رفض الاتفاق استدعاءه الى الاجتماع فى مؤتمر بريست ليتوفسك . ومن واجب الحكومة اذا كان فى امكانها أن توفر على الشعب وعلى الجيش عناء الملاحم المقبلة. وخطابة الكونت هرتلينج التي القاها يوم ٢٥ فبراير جاعلا قوامها النقط الاربع التي قررها الرئيس ويلسن فى رسالته التى بعث بها يوم ١١ فبراير لم تحدث أقل تأثير فى بلاد الدول المتفقة .

وذهب الكولونيل فون هايفتن في هذا الحين الى الخارج ليبحث عن بعض الوسائل اللازمة لنشر الدعوة. فاتصل برضائي برجل كبير من الاعداء عالم باغراض ونوايا لوندره وواشنجتون الرسمية فارسل لى عنها تقريراً شفوياً وهي فى منتهى الشدة فلا يمكن أن تقبلها سوى المانيا المهزومة . وأنبأني هذا الكولونيل ان كونراد هو سمان عضو الرايخستاج وماكس فاربورج من هامبورج قاما بمجهودات فى سبيل الصلح بدون جدوى . وعظم دهشي لما أشيع حينئذ من أن مخابرات الصلح التي جرت فى مارس لم تنجح لانى صممت على وجوب الهجوم . ولقد رجوت من المستشار أن يكذب هذه الاشاعة الا انه لم يحقق رغبتى

— ٢ —

انتقل المعسكر العام الاكبر فى أوائل مارس من كراوزناخ التي أقام بها عاما الى سبا لانها أقرب بكثير الى الجبهة من كراوزناخ . ولكنها كانت

هي بالمثل لا تزال بعيدة ازاء الغرض الأهم وهو الاشراف على القتال وادارة حركاته . ولهذا السبب اختيرت افين لتكون مركزا لشعبة الحركات الحربية اذ كان من الميسور الذهاب منها مباشرة بالاتوموبيل الى أية نقطة على امتداد جبهة الهجوم

وذهبنا الفيلد مارشال وأنا الى افين يوم ١٨ مارس مصحوبين بشعبة الحركات الحربيـة . ولم تكن كل وسائل الراحة متوفرة لنا فيها لأننا نستقدم أغلب مطالبنا الضرورية من سبا وكذلك احضرنا من سبا معظم الاثاث اللازم لنا

وأراد جـلالة الامبراطور الحضور الى افين غداة شخوصنا اليها واستقر فى قطاره الخاص أمام المحطة المجاورة للبلدة

وفى صباح ٢٠ اغسطس كانت البطاريات وقاذفات القنابل على أتم استعداد وذخائرها من خلفها وقسم من الذخائر أمامها في انتظار تقدمها وهذه نتيجة باهرة لعملنا الموصول. وان عدم اطلاع عدونا عليها لاحدى خوارق العادات ولا سيما عدم استماعه حركات النقل التي استمرت طول الليل . وكثيراً ما كانت تصل مقذوفات العدو الى نطاق بطارياتنا فتصيب أحد أكوام الذخائر وتنسفها ومع ذلك فلم يلفت هـذا الانفجار أنظار العدو لانه متعدد الحدوث على إسار أجزاء الجبهة فلم ير فيه دليلا قاطعاً على طروء حالة جديدة

وتقدمت الفرق المشاة التى كانت قد ارجعت الى الخلف مدة عـدة أيام لاراحتها الى خطوط هجومها الاول واعتصمت بموقعها المستحكم من خطر الطيارات . وكذلك لم تفد العـدو هيأة جواسيسه المنتشرة في كل مكان بالحركات العظيمة الناجمة عن احتشاد اربعين أو خمسين فرقة . وفى

الواقع أن سير الجنود كان على الدوام في جنح الظلام ، إلا انهم كانوا يمرون بالقرى وهم يهزجون باناشيدهم . وكذلك الطيارات لم تلاحظ القطارات العديدة التي تقل الجنود من سائر الميادين الاخرى الى الشطر المخصص للهجوم من الجبهة الغربية

وفي الليلة الواقعة ما بين ١٨ و ١٩ مارس ابق جنديان من احدى فصائلنا المختصة بقاذفات الالغام الى خطوط العدو . وتفيد مذكرات وجدت مع العدو وشهادة الاسرى انهما أطلعا العدو على معلومات عن الهجوم الذى تم اعداده

وأخذ نشاط المدفعية في الاجزاء الاخرى من الجبهة ولا سيما في جهة ليل وأمام فردن يزداد على التوالى

وفي ظهر يوم ٢٠ مارس صار من الواجب على القيادة العليا أن تصدر القرار النهائى بضرورة ابتداء الوثوب يوم ٢١ أو بتفضيل ارجائه ، لأن كل تلكؤ يجعل مركز الجنود المحتشدة في الخط الاول حرجاً ، لان وجود مثل هذا الحشد الحافل على مقربة من العدو بدون حراك أمر مستحيل اذ لابد للجنود الواقفين على أحر من الجمر أن ينتشروا في الفضاء . على أن عمل المدفعية كان متوقفاً على اتجاه الريح وشدة هبوبه لاننا كنا نعتمد على مفعول الغاز . وأخذت أرقب ما ينبئنى به مستطلعى الجوي الدكتور شماوس . غير أن البارومتر لم يدل على موافقة اتجاه الريح وسرعته الى صباح ٢٠ مارس . وفي الظهر أخذ مجري الريح يتغير قليلا فلم ننتظر تحسنه تماماً وأصدرنا الاوامر الى الجنود ليكونوا على قدم الاستعداد للوثوب .

وفي الساعة الرابعة من صباح ٢١ مارس ابتدأت المعركة بنار مندلعة شدة من أفواه المدافع مابين كروازيل ولافير على امتداد ٧٠ كيلو متراً

واستمرت كل مدافعنا ترسل قذائفها على بطاريات العدو مدة ساعتين ثم ابتدأت تسلط لهيبها على استحكاماته وخنادقه وكذلك فعلت قاذفات الالغام وقبيل الساعة التاسعة بقليل أخذت اغلب مدافعنا تطلق قنابلها على العوائق ، وبقيت بضع بطاريات ترسل شواظها على مدفعية العدو . وحينئذ انطلق مشاتنا في طريق الوثوب

ووصل الجيش السابع عشر في هجومه الى الخط الثانى من خطوط دفاع العدو ولم يتجاوزه لانه كان امامأمنع مواقعه ولفقد صلة المشاة بالمدفعية .

وبلغ الجيش الثاني ثاني خطوط العدو واستولى عليه لان مشاته كانت متفقة في وثوبها مع رماية المدفعية .

وتم للجيش الثامن عشر كل ما كنا نتوقعه فقد نفذ الخطط المرتبة له على أحسن مايراد .

وحدث تحسن يسير يوم ٢٢ مارس في مركز الجيش السابع عشر أما الجيش الثاني فقد تلافى أسباب تأخره وهزم العدو واندفع بشدة الى الامام وكذلك الجيش التاسع عشر تقدم تقدماً عظيما . وأدى تباطؤ الجيش السابع عشر الى عدم التمكن من الاحداق بالعدو في نتوء كمبريه والى عدم تيسر زحف الجيش الثانى بالسرعة المنشودة . ومن جهة أخرى فان الصعوبة التي سببت تأخر الجيش الثاني عن بلوغ الاماكن المقصودة بالسرعة المقررة سببت جمود الجيش السابع عشر في مكانه . وبهذه الطريقة لم تستول مجموعة جيوش الوريث روبرخت على الاراضى التي كان من المنتظر استيلاؤها عليها بين كروازيل وبيرون .

وفي يوم ٢٥ مارس تجاوز الجيشان السابع عشر والثاني بعد معارك حادة خط بابوم — كومبل بعدي شاسع ، واستولى الجيش الثالث عشر

على نيل بدون أن يصادف فى طريقه سوي مقاومة ضئيلة . وأصيب الجيش السابع عشر بخسائر فادحة فى يومي ٢١ و٢٢ لانه على ما يظهر قاتل في جموع متراصة . أما الجيش الثانى عشر فكان لا يزال أقوى من زميله إلا أنه شكا من كثرة الحفائر التي لم تمكنه من تخطى البير . ولقد كان اجتياز السوم عائقاً فى طريقه أعظم من مقاومة العدو فسبب بطء تقدم جناحه الايسر . وظل الجيش الثامن عشر ممتلئاً قوة وحمية فاستولى يوم ٢٧على مونديديهواسرع العدو بانشاء جبهة جديدةفى شمال السوم ربما يصعب اختراقها وبدأ ضعف مقاومة العدو في انجاه امبين . فصار من الضرورى العدول عن الخطة الأولى واتخاذ هذه الجبهة نقطة الهجوم الوسطى . إلا أن الجيش السابع عشر ظل بطىء الحراك في حين أن الجيشين الثاني والثامن عشر لا يزالان يكتسحان بقاعاً جديده . فبذلت كل ما في وسعي لتقوية جناح الجيش الثاني الايسر ودفعه بالاشتراك مع الجيش الثامن عشر فى اتجاه امبين

إلا أن هذه القوة التي اختصصناها بالزحف على امبين لم تكن كافية وحدها لتحقيق الامل المرجو أمام احتشاد العدو الكثيف الذى بدأ ينتقل من دور الدفاع والتراجع الى دور المواثبة ، وفضلا عن ذلك فان الذخائر لم تصل بالكثرة اللازمة ، وأصبح تموين القوة الزاحفة عسيرة لوعورة الطرق واستغراق اصلاح الخطوط الحديدية مدة طويلة على الرغم من الاستعداد العظيم الذى اتخذناه قبل الشروع في الهجوم .

وبعد تموين الجيش الثامن عشر بالذخائر اللازمة هجم يوم ٣٠ مارس بين مونديدية ونويون . وفي ٤ ابريل هجم الجيش الثاني بالاشتراك مع جناح الجيش الثامن عشر على مقربة من البير وفي جنوب السوم في اتجاه امبين

إلا أن هذه الملاحم ظلت بغير نتيجة حاسمة . فظهر لنا أن قوة مقاومة العدو أصبحت أعظم من قوة مهاجمتنا . فرأت القيادة العليا ضرورة العدول نهائياً عن خطة الزحف على أميين . وحينئذ عنّ للاتفاق ان يهاجمنا على مقربة من البير وفي جنوب اميين ولكنه لم يتحصل على فائدة من هذا الهجوم

وبعد أن أمددنا الجيش الثانى بما يلزمه شرع في وثوب جديد يوم ٢٤ ابريل على مقربة من فينيه بريتونيه بمساعدة عربات التانكس وحسن موقفه وتقدم تقدماً محسوساً الا انه لم يستطع الاحتفاظ بكل ما استولى عليه

وأخذ الهدوء يسود على الجبهة الممتدة بين البيرومونديه شيئاً فشيئاً أما فى الجهة الاخرى من الجبهة الجديدة ما بين اراس ونوايون فقد كانت السكينة ضاربة أطنابها عليها من زمن متقدم .

وكان انتهاء المعركة الحقيقية في ٤ ابريل وسيظل التاريخ حافظاً ذكراها الى الابد . فاستطعنا أن نأتي بما لم يأت بمثله الانجليز والفرنسويون على الرغم من تمشينا في السنة الرابعة من حرب تنازل فيها العالم أجمع .

ولم ننجح من الوجهة الفنية العسكرية فى ادراك الاغراض التى كنا ننتظر الوصول اليها فى أيام ٢٣ و٢٤ و٢٥ فلم نستول على اميين التى كان استيلاؤنا عليها يجعل اتصال جزئى الجبهة المعادية الكائنين في شمال السوم وفى جنوبه على جانب عظيم من المشقة فأصبنا باخفاق الامل من هذه الوجهة ، واذا كنا قد استطعنا أن ندمر خطوط سكك حديد أميين بالمدافع ذات المرمى البعيد فلم يكن هذا الامر بخير عوض لما قمنا به من المجهود العظيم . وعلى كل حال فقد قاتلت جنودنا خيراً من الجنود الانجليزية والفرنسوية وتفوقت عليهم ولا يرجع الذنب عليهم في عدم وصولنا الى

بغيتنا الكبرى بل السبب المهم في هذا الاخفاق يرجع الى فقد الضباط الاكفاء الذين تواروا تحت الاعشاب . وزيادة على ذلك فان عثور الجنود بمخازن ملاى بالازواد أضاع وقتاً لايستخف به من مدة زحفهم فافلتت منهم فرصة ثمينة لايمكن تعويضها . ولقد علمنا من حالة الجيش السابع عشر مايترتب على قيام كل سلاح بعمله بمفرده من غير ارتباط بالاسلحة الاخرى فان هجوم المشاة بغير انتظار نتيجة عمل المدفعية مضر ، ولقد آلم جنودنا كثيراً من قذائف الطيارات

وأصبح من الواجب الآن أن نقوي جبهتنا الجديدة. فاستبدلنا الفرق المنهوكة قواها في كثير من الجهات بجنود منتعشين مستقدمين من القطاعات الهادئة . واتخذت فى كل مكان الوسائل التى تضمن دوام اتصال الجبهة بالمؤخرة . وأخذنا نعد الجنود البعيدة عن منطقة القتال للمعركة الكبرى بعد أن تمكننا من أراحتها فترة طويلة واجتهدنا في تدريبها على مايلزم من الحركات الحديثة المستخلصة من المعركة الاخيرة . ولا بد من التماس قوى احتياطية أخرى لما يمكن أن نشرع فيه من الوثوب الحديث أو لدفع كرات العدو المتوقعة .

وكانت خسائرنا عظيمة فى هذه الوقعة ولكنها كانت أعظم في الجيش السابع عشر ولا سيما في ضباطه . ولكننا في مقابل ذلك حصلنا على غنائم جسيمة وأسرنا نحو ٩٠٠٠٠ رجل سليما وأصيب العدو بخسائر متناهية فى الفداحة . ورجونا أن يعود الى خط القتال عدد عظيم من جنودنا الذين أصيبوا بجراح خفيفة بعد مدة قصيرة

ولم تكن اماكن العناية بالجرحى كافية على الرغم من اهتمام مفتش صحة الجيش العام بها قبل دخول المعركه .

وقد تقاضت هـذه المعركة اثمن شيء لديّ . وذلك ان اكبر اولاد زوجتي وهو ضابط طيار سقط يوم ٢٣ مارس . وقد اعتبر في بادىءالامر مفقودا الا انه وجد في ميدان القتال الواسع قبر فوقه شاخص كتب فيه باللغة الانجليزية ! « هنا يضطجع ضابطان طياران المانيان »فتبينت بمزيد الحزن حقيقة ولدى وهو الآن ضجيع الثرى الالماني

وكان شعور العدو بهزيمته عظيم جداً . وعلى الرغم من كثرة رجائى والحاحى لم تتخذ حكومتنا أي عمل سياسى تستفيد به من هـذه الحاله . واشتد الاضطراب فى فرنسا ، وأخذ الجمهور يتطلب المساعدة الامريكية الموعود بها . فخاطب كليمانسو حلفاءه في هذا الصدد . وحينئذ عمدت انجلترا الى حشد عشرات الألوف من العمال الذين استخرجتهم من المناجم او انتزعتهم من المصانع وارسالهم الى الجيش المقاتل ، ومع ذلك فلم يكن في الاستطاعة ان تسد الفراغ الحادث في مكان عشر فرق كاملة . وهذهالفرق تلاشت من الميدان صفقة واحدة ولم يسد فراغها الا في الخريف . وقد افسح في سن الاقتراع العسكرى فى انجلترا ولـكنها لم تجرأ على تجنيـد الايرلنديين.ومع ذلك فقـد استمر لويد جورج على التقدمالى الامام في سبيل غرضه الجوهرى . واستحث ويلسن على الاسراع فيارسالجنوده وارسل اليه لاجل هذا العمل كل ماتملكه انجلترا من البواخر . فما عسى ان يكون موقفنا ازاء هذه الحاله ؟ أفسنقوم بكل مافي وسعنـا من الجهود ؟ لقد وصلت حرب الغواصات الى نهايتها فاصابت العدو باعظم ازمة نقلية فى البحروفي البر . وصرح احد رجال الحكومة الانجليزية بمايلى ! « لقـد احرزت الغواصات الالمانية اعظم نجاح في شهر ابريل حتي لو انها والت تدميرها البواخر بهذه الطريقة لانتهت الحرب في تسعة اشهر » وكان هذا

التصريح في البرلمان الانجليزى في نوفمبر سنة ١٩١٨ . فلم يسع انجلترا سوى الاستيلاء على بواخر الدول المحايدة لاستخدام الجنود الامريكيين الذين لم يحملوا معهم سوى اشيائهم الضروريه وهم متكدسون في البواخر . واما مايلزمهم بعد نزولهم فى الأرض الفرنسوية فقد قامت به انجلترا وفرنسا والدول المحايدة ولا سيما اسبانيا . واذا كان تأثير هؤلاء الجنود لم يظهر في بادىء الأمر فانه بلا شك اخذ يظهر على توالى الأيام مع استمرار مجيئهم بغير انقطاع . ويرجع الفضل فى نجاح هذا المشروع المحفوف بالخطر والمشقة لقوة الاراده .

واخذنا نلقى قنابلنا على باريس اثناء المعركة من لاون بمدافع يمتد مرماها الى ١٢٠ كيلو مترا . وهذا النوع من المدافع هو آية الفن ومفخرة العلم وهو بدعة الصناعة التى تبرزها مصانع كروب بمهارة مديرها راوسنبيرج . واحدث هذا الاطلاق تأثيرا هائلا في الشعب الفرنسوى . وغادر قسم من سكان العاصمة الفرنسوية مساكنهم فأدى انتشارهم فى المدن الاخرى الى انتشار انباء انتصارنا فى جميع البلاد الفرنسوية وحينئذ اجتهد رجال هذه المدافع في مواصلة عملهم لاتمام الغرض المقصود .

وتمت الاعمال التى اردنا بها التاهب للقيام بهجوم جديد في اواخر مارس واوائل ابريل . وفى ٦ ابريل تحرك الجيش السابع من شونى ولافير زاحفا على امتداد الشاطىء الايسر من نهر الوازفى اتجاه كورسلافيل والى مايليها من جهة الجنوب . فطرد الفرنسويين الى مايلى القناة الموصلة مابين الواز والاين فكان هذا الزحف مؤيداً للجنب الجنوبي من الجيش الثامن عشر المنتشر في مساحة وسيعة جداً من الاراضى التي اكتسحها .

وكذلك الجيش السابع عشر شرع يزحف في اتجاه اراس في اواخر

مارس بقصد الاستيلاء على ملتقى مواصلات اعمال العدو فى شمال الاسكارب . وكان لابد له لادراك غرضه من الاستيلاء قبل كل شيء على الربوات المحدقة بأراس من الجانبين ليلتقى بعد تقدمه بالجيش السادس القادم من لنس و يتسلق القمم التي تصادفه في طريقه . ولكن هذا الجيش لم يتوفق فى كل هجماته على الرغم من كثرة القذائف التي اطلقها والنفوس التي ازهقها لان طالعه لم يكن سعيدا . فلم يسع القيادة العليا الا ان تعدل عن الهجوم فى هـذه الجهة ومنعت الجناح الجنوبي للجيش السادس من الزحف . ولكنها صممت على ان تضرب ضربة اخرى في سهل الليز مابين ارمنتيير ولابسيه . وكان الجو هادئا والارض جافة والانجليز قد ضعفوا بدرجـة عظيمة في وادى الليز وامام ايبر . فاستعد الجيش السادس للهجوم استعداداً تاما . وتلافي القائد كراست ورئيس اركان حربه اليوتنان كولونيل لنز كل ما كان ينقص الجيوش التي هجمت في ٢١ مارس . وعلى الرغم من قلة عدد العمال فقد تمت اعمال التاهب فى اسرع وقت ولم يبق سوى التنفيذ الذى تحدد له يوم ٩ أبريل . ولقد ابتهجت بهذا التبكير لان الهجوم كلما جاء مبكرا كلما كانت مفاجأته ذات تأثير عظيم على البرتقاليين المخيمين في سهل الليز . ولقد ذهبت بنفسي يوم ٧ الى اركان حرب العرضى ٥٥ التابع للجيش السادس وامكننى الاقتناع بوجوب تنفيذ العمل في الموعد المضروب . وارسلت الكولونيل بروخولر الى الجيش السادس ليفحص الاعمال التمهيدية التي ستقوم بها المدفعيه . وان ما اظهره هذا الكولونيل من الكفاءة والعلم والذكاء وقوة الارادة والحماسة في اعمال المدفعية اثناء الهجوم على غاليسيا الشرقيه وفي هجوم ٢١ مارس الذى تولى فيه مدفعية الجيش الثامن عشر جديرة بان تجعله من اعظم الرؤساء الذين اشتهروا في هذه الحرب . ومن

اقتران الفوز باعمال الكولونيل بروخمو للريتضح جليا مقدار تأثير النفوذ الشخصي في مجري الحوادث اثناء الحرب كتاثيره فى الحياة العاديه. فالقيادة العليا يجب ان تعتمد دائما فى حسابها على كفاءة القائمين بتنفيذ اغراضها وهم متفقون معها على تلك الاغراض اكثر من اعتمادها على حالة العدو .

وبعد ان اختبر الكولونيل بروخمولر استعداد المدفعية واعلن انها على استعداد تام بدىء فى الهجوم يوم ٩ ابريل . وظل الهجوم في حالة حسنة جدا طول ضحوة اليوم . وظلت الاخبار الواردة من المعترك الى الظهر باعثة على الارتياح. فكان هذا خير اعياد ميلادى وقد انسانى مثله من العام الماضى الذي قضيته اثناء التراجع العظيم عن اراس . واصغى جلالة الامبراطور الى التقرير العسكرى في افين و بقى الى ان تناول الطعام والقى خطبة قصيرة يهنئني فيها بعيد ميلادي ملماً فيها بالمثل بذكري ولدي اللذين قتلا في هذا المعترك الربعى واهداني تمثاله الصغير الذى صنعه من الحديد بتزنر . وتوجد امور كثيرة تبعدني عن جلالته وفي مقدمتها ما بيننا من التباين العظيم فى الطباع. فهو امبراطورى الذى بخدمتي اياه اخدم وطنى باعظم اخلاص وتضحيه ، وسيظل هذا التمثال الصغير تذكارا مقدسا لامبراطورى ورئيسى الحربي الاعلى الذي يحب جنوده ويريد خير بلاده وشعبه والذى مج طبيعته الخاصة الحرب ! وهو رجل يتمثل فيه النموذج الالمانى للعصر الذى يلى بسمارك. وهذا المليك الذي يتحمل عبء مثل هذه التبعة العظيمة لم يجد امامه كجده رجالا على شاكلة بسمارك وروون يصممون على ان يطالبوا البلاد بكل ما يقتضيه مجرى الحرب . وهذا هو سبب شقاء الامبراطور وبلادنا فى هذه الحرب

ثم ظهر البطء في حركة الهجوم بعد الظهر . واصطدم اقتحام مواقع

الأعداء بعقبات كأداء . وكانت الطرق غير صالحة للهجوم ، وزيادة عن ذلك فان فصائل عرباتنا التانكس اكملت اتلاف هذه الطرق . واستدعى تقدم المدافع والذخائر وقتا طويلا . واضطر مشاتنا الى التأخر في زحفهم من كثرة اختباء مدافع العدو الرشاشة في هذه البقعة المشجره . وفي المساء واصلنا الزحف في طريق ارمنتيير واقتربنا من لاو .و بقى جناحنا الأيسر مشتبكا بفستوبر وجيفا نشى . فالنتيجة اذن غير مرضيه .

واستمر الهجوم في يوم ١٠ ابريل غير أن الاراضى المكتسحة لم تكن كبيرة الا في اتجاه ارمنتيير وفوق هذه المدينة مباشرة بعد اجتياز اللبز . ولبثت مدافع العدو الرشاشة تجود علينا كرنا بصيب من قذائفها

وصار الاستيلاء على أرمنتيير يوم ١١ ابريل . وكذلك كان الزحف على بايبل حسناً جداً فلم تلبث مرفيل أن سقطت بالمثل . وكان الجيش السادس قداستولى على مسين التي فقدناها يوم ٧ يوليه من العام المنقضى.

والغرض المقصود من هجوم مجموعة جيوش الوريث روبرخت التالى للهجوم الاول هو الاستيلاء على الهضاب التي تحد سهل اللبزمن جهة الشمال وهى تبتدىء بهضبة كمل وتنتهى بالقرب من كاسل ، وان الاستيلاء على هذه الهضاب يؤدي الى تخلي العدو عن موقع الابزر الكائن في أقصى الجهة الشمالية

واعترى قوة الهجوم لدى الجيش السادس ضعف من بعد ١٢ ابريل. وأما الجيش الرابع فظل يكتسح بقاعا في زحفه . وكان الاستيلاء على كمل يوم ٢٥ هو آخر مابذلناه من الجهود العظيمة في هذه الجهة ، لان الفرق الفرنسوية أخذت تتكاثر امام الجيش الرابع فلا ينتظر تكلل أى هجوم في هذه البقعة بالنجاح

وأدى اتساع منطقة الهجوم على كمل الى انثناء الانجليز الذين يقيمون في الجبهة الكائنة غرب ايبر الى هذه المدينة نفسها وسقطت بين أيدى الجيش الرابع بابيل في جنوب كمل ، غير ان الجيش السادس لم يتزحزح من مكانه في أقصى الجنوب

وأدى تأثير معركة ٢١ مارس الى انتداب القائد فوش لرآسة القيادة العامة على جيوش الدول المتفقة . فأرسل القوى الاحتياطية الانجليزية الى الجيشين السابع عشر والثانى والفرق الفرنسوية المخيمة في جبهة الاين بفردان الى الجيش الثامن عشر لوقف الاستمرار على التعمق فى الثغرة الاولى العظيمة التي شققناها في جبهة الاتفاق . وحملت الوقائع التي أنشبها الجيشان الرابع والسادس هذا القائد الى اصعاد قواه الاحتياطية الى الشمال فلم تثمر المحاولات التي أراد بها استرداد كمل . وبالنظر لتراكم قوى الاعداء عطلت القيادة العليا الهجوم

وعلى أثر هذا الصدام الشديد الذي اجهد الاجناد أرسلنا قوى جديدة الى خطوط الجيشين الرابع والسادس الامامية واسترجعنا كل الوحدات التى رأيناها في حاجة الى الراحة لبث القوة والنظام فيها

— ٣ —

كان آخر ابريل ختام الهجوم الكبير الذي افتتح فى ٢١ مارس . ومع ذلك فقد بقيت بقايا مناوشات اقتضاها تعديل جبهتنا الجديدة ودامت عدة أيام من مايو

لقد كان نجاحنا غطيما في هذا الهجوم على الرغم من الحوادث التي تلته فقد هزمنا الجيش الانجليزى فلم يبق فيه سوى عدد ضئيل من الفرق السليمة فاشتبكت في الملاحم ٥٣ فرقة من ٥٩ فرقة انجليزية ، وخاضت ٢٥ فرقة منها غمار الوغا عدة مرار . واشترك الفرنسويون في هذا العراك بما يقارب

نصف فرقهم . وبلغت خسائر العدو المادية مبلغا عظيما . وظهرت فرق إيطالية في الارجون . وساعد اشتراك الجنود اليونانيين في الجبهة المقدونية على استجرار جانب من الجنود الانجليز . ولم يعلم مقدار ماوصل من الجنود الامريكيين الا أن الوقائع الكبيرة التي قاتل فيها هؤلاء الجنود قتالا خاصاً بدأت في منتصف مايو بين سان ميهييل والموزل وعلى الرغم من إجادتهم القتال فقد تغلبنا عليهم بسهولة

وطرأ وقوف على مفعول الغواصات الناجع ، ومع ذلك فقد دلت الحملات البحرية الانجليزية على قواعد الغواصات في أوستندوزيبروج على مقدار تأثير حرب الغواصات في كيان انجلترا . ومن الصعب الوقوف على حقيقة تأثير الغواصات في تموين انجلترا ونقل الجنود الامريكيين غير انى علمت من تقرير مقدم الى هيأة أركان الحرب الكبرى ان قد وصلت فصائل امريكية قوية الى فرنسا . وأخذ مندوبنا فوق العادة لدي هيأة أركان حرب النمسا العامة يلح عليّ مراراً بالتوسط لدى أمارة البحر لاغراق النقالات التي تقل الجنود الامريكية لان الرأى العام النمسوى يميل الى هذا الامر فلم يسع الاميرال الفون هولزندورف ألا الاجابة بأن قد اتخذت كل الوسائل المؤدية الى اغراق مايمكن الوصول اليه من بواخر الاعداء . على أن اغراق سائر النقالات كان من المستحيل لان العدو أخذ يحتاط بدرجة شديدة . وعند ماتعلم البواخر القادمة من أمريكا بواسطة التلغراف الجوى بظهور الغواصات امامها تبادر بتحويل وجهة سيرها الى طريق أخرى ، والبحر أوسع من أن يتم حصاره كله بعدد محدود من الغواصات . وهذه الاحتياطات أدت الى تناقص البواخر المغرقة بدرجة عظيمة . على أن هذه المهمة الشاقة قد صرفت حرب الغواصات عن وجهتها الجوهرية وهي التأثير

في عون العدو . فالغواصات من هذه الوجهة قدأحدثت تأثيراً هائلاجداً يحمل على الرجاء في بلوغ الغاية القصوى .

وكان لوقف الهجوم شأن عظيم جدا اذ مكن العدو من لم شعثه والتأهب وتقوية جيوشه كما مكننا من هذه الامور . وعظمت خسائرنا لعدم وصول قوة احتياطية جديدة . وقد رجوت وزارة الحربية ان توجه عنايتها العظمى الى هذا الامر . ولكن لم تصلني نجدات ذات شأن إلا من أعيد تجنيدهم من اسرى الحرب الذين اطلقت الروسيا سراحهم . فلم يسع هيأة أركان الحرب الكبرى سوى الاعتماد على مصادرها الخاصة فتستقدم كل من تبقى صالحاً للعمل في الساحة الغربية من جنود الجبهة الشرقية ورومانيا وجنود المراحل ، ولكن كل هذه القوى لن تكفي اذا لم تبذل الحكومة كل مافي وسعها لاسعافنا بقوى جديدة منتعشة من داخل البلاد

ولقد قاتل جنودنا خير قتال على الرغم من اخلال بعضهم بالنظام العسكري واهتمامه بمستودعات المؤن التي توجد في البلاد المفتتحة وبحثه عن الازواد في الحقول . وانما هنا لك ما يجب الالتفات اليه وهو فقدنا مجموعة ضباطنا القدماء الذين كانوا يعرفون كيف يقودون جنودهم الى الهيجاء بعزائم ماضيه . ومن جهة أخرى فان القرار الذي اصدره الرايخستاج بمنع العقوبات الشديدة احدث تأثيراً سيئاً على الرغم من وجوب استئصال تلك العقوبات في الاوقات المناسبة ولذلك كثر العفو عن الآبقين والمخلين بالنظام العسكري وأدي هذا التساهل الى ضعف روح الطاعة من نفوس الجنود . ومع أن الاتفاق لبث متبعاً تنفيذ أشد العقوبات في جنوده المخلين بواجبهم فقد أحرز نتائج أحسن من التي توصلنا نحن اليها بتساهلنا المتناهي . ومن الامور التي أدت الى ضعف الحالة الادبية لدى بعض الجنود تأخير محاكمة

الفارين والمختبئين على الفور وازال العقوبات بهم في الحال ، وكذلك استخدام الاسرى المطلق سراحهم قريبا في خطوط القتال الامامية ، وعجز الضباط الجدد عن بث الحمية في نفوس الجنود واهمال الرؤساء في هذه النقطة الخطيرة ، ولقد نبهت وزارة الحرب وهيآت أركان الحرب المتعددة الى مراعاة القوانين العسكرية بدقة تامة . وتعددت شكاوى الضباط من ضعف الحمية المستولى على نفوس الجنود القادمين من بافاريا ومن الجبهة الشرقية . واكثرت من التحدث مع الحكام ذوي الشأن في صدد الشعور السيء المستولي على داخل البلاد ، فقيل لى لاول مرة أن هـذا الشعور السيء صادر من قبل الجيش . وهذا أمر يستوجب الدهشة لان الجيش انما يتبع حالة بلاده الادبية . على أن الجيش كان لا يزال شديد الرغبة في احراز النصر النهائي على الرغم من الفوضى الداخلية ومن محاولة تثبيط عزيمته وافقاده روح الطاعة والنظام . وقد اضطررنا لسوء استعداد الضباط وضباط الصف الجدد ان نستقدم من القوى الاحتياطية عدداً كبيراً من الضباط المسنين ليحفظوا نظام الجنود عند الشروع فى كل معركة . ووجب علينا من وجهة الخطة أن تمرن الجنود على التطورات التي رؤي ادخالها على حركات الجنود وأعمال الجيش المستخلصة من تجارب الوقائع الاخيرة وقد اتخذنا الفرقة ٢٨ من المشاة وقسما من الطابور الثالث من الصيادين كنواة لبث التعليمات الحديثة بالنظر لما اشتهرا به من الخبرة الواسعة في الشؤون الخططية فبعد تلقينهما التعليمات الحديثة يقومان بتمرينات بجوار افين يحضرها عدد عظيم من الضباط وكل رؤساء الجيوش . ومع أن الوقت لم يكن يسمح بارجاء الاعمال الحربية فاننا لم نكن نستطيع العدول عن ادخال كل الطرق المستحدثة وإتمام ما يستلزم الجيش لموالاة القتال

وكان أفيد عمل حربي يمكننا القيام به هو متابعة الهجوم على الانجليز بجوار ايبروبابيل إلا أن قوي الاعداء الهائلة التى احتشدت هنالك جعلت مثل هـذا الهجوم عسيراً جداً ولو بجنود متمتعين بالراحة التامة وكذلك الحال فى الجنوب ، وجهة السوم لا تسمح بحماية أعمال الهجوم . واذ كانت قوى العدو المرابط ازاء الجيشين السابع والاول ضعيفة فقد استصوبنا اعدادهما للهجوم على الرغم من مناعة القمم المستحكمة أمامهما لاعتقادنا بامكان تغلب المدفعية عليها . فصدر الامر الى مجموعة جيوش الوريث الالماني في أواخر ابريل بوضع مشروع للهجوم بين بينون وريمس . وفى الوقت نفسه عين المعسكر العام الاكبر الجنود الذين سيقومون بهـذا الهجوم واستصوب أن يكونوا من الذين حضروا هجوم ٢١ مارس وارتاحوا وتدربوا على التعليمات الحديثة . وأخذنا نعد أعمال الجيوش الثامن والسابع والاول المؤلفة منها مجموعة الوريث الالماني

وصار من الضروري ان تقوم مجموعة الوريث روبرخت بخطة دفاعية محضة فى أثناء هـذا الهجوم لتتمكن من الاستداد للقيام بهجوم جديد في الفلاندر على أثر الانتهاء من هذا الهجوم . فاذا رأينا العدو يحشد جموعا هائلة أمام مجموعة الوريث الالمانى فلا مندوحة من معاودة الهجوم فى الفلاندر

واهتممنا بصحة الجنود وراحتهم واعدادهم في كل مكان من الجهة للدفاع وللهجوم في آن واحد . واخذت مدافعنا ذات المرمي البعيد وطياراتنا ترسل وابلا من قذائفها على خطوط مواصلات العدو الخلفية والمدن والقرى التي تمون جيوش العدو . واعدنا تسليح سائر جيوشنا وتموينها من جديد فغيرنا كثيراً من اسلحتنا وزدنا في اعدادها واصحبناها بالذخائر الكافية واكثرنا من المدافع الرشاشة الخفيفـة المعدة لمكافحة الطيارات . وحسنا

غذاء الجنود وان كان بالطبع ظل اقل درجة من غـذاء الجنود المعاديه ، وكثرت النباتات المعدة لتغذية الخيول . فخففت عنا عبئاً ثقيلا

— ٤ —

بينما تتوالى الحوادث الـكبرى في الغرب كان السكون مخيما على الميدان الايطالى وعلى الجبهة المقدونيه . ولم تكن هتان الجبهتان سوى امتداد في جبهتنا الغربية بقصد وقايتنا من الجنب .

لقد تحسنت حالة الجيش النمسوي في ايطاليـا على اثر عودة مئات الالوف من الأسرى النمسويين من الروسيـا . وارسل الينا القائد آرز ضباطا نمسويين ليشتركوا فى وثباتنا المتوالية في الساحة الغربية ، كما انه عني جد العناية بنتائج تجاربنا العسكرية لعزمه على الشروع في الهجوم فى منتصف يونيه . فهو يريد بهذا ان نقوم بعمل عام ضد الاتفاق . وان انتصار النمسويين في مجال ايطاليا ليخفف عنا عبئا ثقيلا كما حدث من قبل في خريف ١٩١٧ اذ استجر هجوم ذلك الفصل شطراً كبيراً من التشكيلات الامريكية الحديثه .

وظلت حالة تموين النمسا وجيشها حرجة جداً . فاستولت على مقدار حصتها من محصولات رومانيا مقدما وعمدت الى اوكرينيا مستجرة منها كل ماتصل اليه ايدى موظفيها ومع ذلك فلم تكفها كل هذه المقادير . ودفع بها الشغب الحان تضع يدها على حصتنا من محصولات رومانيا بعد ان استولينا عليها وشحناها وتوسطت المملكة الثنائية في طريقهـا الينا . فاحتججنا وغضبنا ولـكن كل هذا لم تجد نفعا .

واستفادت بلغاريا من الهدوء المستتب فى جبهة مقدونيا فارتاح جيشها وطفق يتدرب ويتمرن . غيران رداءة الطعام ورثاثة الثيـاب اضاعت

الحماسة التي كانت مستولية على النفوس هنالك . وانتشرت الدعوة ضد الالمانيين بشدة بين البلغاريين على أثر انسحاب القوى الالمانية المخيمة في بلغاريا وفي رومانيا الى الميدان الغربي .

وأخذت حوادث العصيان والشغب تتعدد في الجيش البلغارى فبذلت هيأة أركان حرب مجموعة شولنز كل ما في وسعها لاعادة النظام والطاعة الى هذا الجيش ، وارسل وزير الحربية كل ما يلزم من الملابس . ونصحنا الجيش البلغارى بان يستبقى مقداراً كبيراً من جنوده ليكون قوة احتياطية بدلا من حشد اغلب الجيش في الخط الامامى . وبدأت تحتشد الجنود اليونانية التي كانت تمالئ ملك اليونان الى جانب التشكيلات الفنزيلوسيه

وهجم الانجليز في ميدان فلسطين في آخر مارس على نهر الاردن فى جنوب البحر الميت بقصد الاحداق بجناح الجيش التركي الايسر المرابط على هذا النهر لاجلائه عن سكة حديد دمشق . فاكتسح الانجليز في مفتتح هجومهم بعض البقاع إلا انهم لم يلبثوا أن اصيبوا بهزيمة شنعاء وقذف بهم الاتراك الى الضفة الاخرى من نهر الشريعة ، ولكن من سوء الطالع أن القائد ليمان الذى أخلف القائد فالكنهاين في فلسطين لم يجد لديه من الجنود ما يتمكن بهم من مطاردة الانجليز . وفى أواخر ابريل وثب الانجليز مرة أخرى وكان نصيبهم فيها الاندحار بالمثل . فصار من الضروري أن يعاودوا الكرة بعد انقضاء فصل الصيف الذى بدأ يشتد حره . واملت ان تنتظم حالة الجنود العثمانيين المدافعين عن فلسطين في هذه المدة ويتقوون كما وعد بذلك أنور . واستمرت العساكر الانجليزية تزحف في العراق نحو الموصل كما تمكنت من التغلغل الى القسم الشمالى من فارس وحلت فيه محل الجنود الروسيين المشتتين

وبدأ الاتراك في زحفهم على نجود ارمينيا فى أواخر فبراير . وفى أواخر مارس كانوا قد استردوا أراضيهم من الروسيين واستولوا على جهتي قارص وباطوم في أواخر ابريل اللتين منحتهم اياهما معاهدة صلح بريست ليتوفسك . ولم يقتنعوا بالوقوف عند هـذا الحد بل امتدت مطامعهم الى الاستيلاء على القوقاز . وكانوا قد نشروا دعوة قوية لاجل هذا الغرض بين مسلمى أذربيجان ، وظهر هنالك نورى أخ أنور لنظم تشكيلات عسكرية جديدة . وفي الوقت نفسه دخلت تركيا فى مفاوضات خاصة مع جمهوريات جورجيا واذربيجان وارمينيا الصغيرات اللواتي تألفن في جنوب الروسيا واشترك في هـذه المفاوضات القائد الفون لوسوف الموجود فى الاستانة بامر من الحكومة الالمانية . ولم يكن في وسعي سوى الموافقة على المشروعات العثمانية التي كانت فى حد نفسها موافقة لمجري الحرب من الوجهة العامة ولـكن لا يجب صرف تركيا عن القيام بواجبها الحقيقي فى هذه الحرب ولا ايجاد صعوبات في سبيل تموننا بالمواد الاولية المجتذبة من القوقاز الذى ننتظر تخفف موارده ضيقتنا بدرجة عظيمة . فواجب أنور هو مقاتلة الانجليز فى جبهة فلسطين ، فلفت نظره الى هذا الامر في التلغرافات التى أرسلتها اليه بمنتهى الوضوح . ولقد أصبحنا ننتظر في هذه الآونة مواجهة الروسيين في شمال فارس والمواصلات بين باطوم وتبريز عن طريق تفليس كانت مساعدة على هذا العمل . ويصبح الاتراك متفوقين على الانجليز في شمال فارس لأنهم يهيجون عليهم العناصر الاسلامية الموجودة هناك ولا سيما أهالى أذربيجان فيؤدون لنا بهذا العمل أعظم فائدة . وكنت أميل الى تعضيد كل هذه المشروعات بارتياح عظيم . غير أن أنور والحكومة العثمانية كانا لا يفكران في مكافحة انجلترا بقدر تفكيرهما في تحقيق الجامعة الاسلامية في البقاع القوقازية . وكانت لهم عدا

هذا أغراض مادية ترمي الى انتزاع كل مايقع تحت أبصارهم من المواد الاولية فى تلك البقاع . وكل الذين يعرفون طرق استئثار الاتراك باستغلال المصادر التي يتحكمون فيها يعلمون انهم لم يشاءوا أن يجعلوا للالمانيين نصيباً من هذه الخيرات . وهـذه الحالة جعلتنا نصطدم مع الاتراك في نقطة مهمة وهي حقيقة مقاصدها من الدخول في بؤرة القتال .

وفي اثناء مفاوضات باطوم طلب ممثلو جمهورية جورجيا من القائد لوسوف أن تحميهم الامبراطورية الالمانية. وكنا قد قمنا ببعض الاعمال في أرمينيا عامى ١٩١٥ و١٩١٦ مع فيالق مؤلفة من الجيورجيين الاحرار الا أن هذه الاعمال لم تتكلل فى النهاية بالنجاح . ومن ذلك الوقت اتصلنا ببعض ذوي النفوذ من الجيورجيين . ولهذا استقبلت طلب الجيورجيين حماية الامبراطورية الالمانية بالابتهاج لانه مكننا من استغلال القوقاز بدون الاشتراك مع تركيا ومن استخدام السكك الحديدية المارة بتفليس. وكان لهذه الخطوط الحديدية شأن عظيم في مجرى الحرب الدائرة في شمال فارس، وأدارة هذه الخطوط باليد الالمانية خير من طريقة أدارتها بالاشتراك مع تركيا . وعلى كل حال فقد أردنا أن نتقوى بحشد جنود من الجيورجيين إذ من الممكن استخدام هؤلاء الجنود في مقاتلة الانجليز . ولـكن لايجب أن تبرح عن البال المشاكل التى أقامها في سبيلنا جيش المتطوعين المحتشد تحت أمرة القائد الـكسيف في أقليم كوبان فى شمال القوقاز . ووافقتني الحـكومة الالمانية على سياسة التداخل في مسألة جورجيا لانها كانت تخشى من عاقبة الخطة التي تنتهجها تركيا تجاه الروسيا البولشفية ، ومن جهة أخرى فانها كانت غير راضية عن القسوة التي يعامل بها الاتراك مسيحيي ارمينيا بلا مبرر وبعد استيلاء الجنود الالمانيين على كييف خفت وطأة الزحف فى

البقاع الالمانية ، وكان سقوطها بين أيدينا في أول مارس . وسقطت أودسا يوم ١٢ بعد قتال خفيف . لقد كنا فى أشد الحاجة الى غلال اكرينيا الا أن حاجة الجيش النمسوي والمملكة النمسوية كانت أعظم من حاجتنا اليها ، وعلى هذا وجب منع هذه البلاد من السقوط فى قبضة البلشفية التي لو استولت عليها لاستخلصت منها عناصر قوة جديدة لها . ومن جهة لابد لنا من تقوية هذه البلاد وإصلاحها بطريقة تضمن لنا نحن بالمثل الاستفادة من خيراتها . واحتللنا يوم ٨ ابريل بعد الاستيلاء على خاركوف أهم أقليم ينتج الحبوب . ولتوقف حركة النقل من هذه البقاع بالسكك الحديدية على الفحم اضطررنا على الرغم من أرادتنا الى احتلال مناجم دونيتز الفحمية ومددنا احتلالنا إلى روستوف التى بلغناها في أوائل مايو . وأردنا كذلك ان نؤمن حركتنا النقلية بالبواخر في البحر الاسود الى ثغر بريلا لان العمارة البحرية الروسية عرقلت حركاتنا في ثغور أودسا ونيقولاييف وخرصون . ولم نعلم الى أية حكومة تنتمي هذه العمارة التي أخلت بمعاهدة بريست ليتوفسك باتخاذها سباستبول قاعدة لاعمالها العدائية ضدنا . فاضطررنا في سبيل مطاردة هذه العمارة الى احتلال القرم فى أواخر ابريل فتمكن قسم من العمارة من الافلات الى نوفو روسيسك . فاستخدمنا البواخر الحربية التي استولينا عليها في سباستبول حالما حصلنا على البحارة اللازمين لها . وأدى احتلالنا هذه البطاح الواسعه الى الالتقاء بعصابات عديدة من البلشفيين شتتنا شملها بسهولة .

وقسمنا مناطق الادارة والاستغلال فى البقاع المحتلة من أوكرينيا بيننا والنمسويين على الرغم من الصعوبات التي لاقيناها في هذا السبيل

وبما أن الحكومة الاوكرينية لم تقو على حفظ النظام والسكينة في

بلادها ولم تف بما وعدتنا به من تسليم الحبوب المتفق عليها فقد اختفت وتولى أدارة الشؤن ليتمان سكوروبادسكي .

وبينما أنا منهمك في أواخر ابريل بالاستعداد للهجوم الجديد المنوى في الجبهة الغربيـة اذا برئيس المكتب الحربي الامبراطوري يبعث الي بتلغراف مرسل الى جلالة الامبراطور يتضمن مر الشكوى من شدة الحكم العسكرى الذى تتبعه مجموعة الجيوش الالمانية المحتلة أوكرينيا فى كييف ويرجو من جلالة الامبراطور التداخل في هذه المسألة فرد جلالته بوجوب الفصل في هذه المسألة بطريقة البحث في أصولها بين الدوائر المختصة. ولقد سررت بهذه الاجابة وأدى التفاهم إلى أن هذه الشكوى منبعثة من أن أحد القواد لم يحسن معاملة أحد رجال الحكومة سابقاً لانه أتى بامور لاتتفق مع المصالح الالمانية . فالحكومة تمشى وراء الاغراض الشخصية بدلا من اهتمامها باجابة مطالب الفيلد مارشال ايخهورن رئيس قيادة تلك المجموعة التي يريد بها تحسين الحالة الزراعية في أوكرينيا وانماء محصولاتها

وادى تولى ليتمان سكوروبادسكي ازمة الحكومة في كييف الى استتباب الأمن وانتظام الادارة لانه على ما عرفته فيما بعد عندما اجتمعت به رجل ذكي واسع الخبرة لاينظر الى الامور نظرة سطحية بل ينفذ ببصره الى أبعد اغوارها . فتفاهم معنا وتعاونا سوية فى العمل المشترك .

ولقد تناهت النمسا في استغلال القسم الذى تولت ادارته من اوكرينيا ومع ذلك فلم تحصل على المقادير المتفق عليها من غلال هذه البلاد . وعلى كل حال فان ماحصلت عليه خفف الى حد عظيم خطر المجاعة الذى كان سيحدث افظع تأثير في الجيش والشعب النمسويين . اما نحن فلم ننل من حبوب اوكرينيا الغلال اللازمة لنا والعلف اللازم لجيادنا بدرجة تقوى الضعف الذى الم بوطننا غير أن اوكرينيا افادتنا افادة عظيمة وامدتنا بمقادير كبيرة

من الهجوم في صيف ١٩١٨ . وكذلك حصلنا من اوكرانيا على عدد عظيم من الخيول التي لولاها لما استطعنا الاستمرار على مواصلة القتال لاننا لو استخدمنا خيولنا الباقية داخل بلادنا لوقفت حركة الزراعة الالمانية . وحصلنا من تلك البقاع بالمثل على سائر أنواع المواد الاوليه.

وفي هذه الاثناء ثارت فنلانده في وجوه البولشفيين الذين لم يشاءوا الجلاء عن هذه البلاد وطلبت منا المساعدة الحربية لان امدادها بالسلاح فقط لم يكفها . واذا أحسسنا بعزم انجلترا على التداخل في شؤون فنلانده عجلنا بايفاد حملة صغيرة مؤلفة من قوة بحرية واخرى بريه. وفي ١٣ ابريل استولينا على هلسنجفور . ثم اخذنا بالاتفاق مع جنود فنلاندا نطوق القوى البولشفية التي تمكنا من حصرها في اواخر ابريل فاضطرت الى التسليم وانتهت بهذا العمل حملتنا العسكرية في فنلاندا بتحريرها واثالتها استقلالها .

وقد احتللنا في نارفا وفيبورج مواقع حربية تسمح لنا بمراقبة الانجليز اذا ارادوا ارسال حملة الى بتروغراد لتاييد البولشفيين فاننا من هذه المواقع نستطيع الزحف على بيتروغراد في اقرب وقت .

وفي اغسطس انجلت قواتنا التي ساعدت فنلاندا على استقلالها عن تلك البلاد قافلة الى المانيا . وقد ترك القائد فون درجولتز رئيس هذه الحملة اعطر ذكرى له في تلك البلاد . على ان سوء تصرف وزارة خارجيتنا صرفها عن الاستفادة من اخلاص هذه البلاد لنا لانها لم تعقد صلات معها ولم تجتذب اليها المشايعين لنا من الفنلانديين .

واني لا انسى العواطف الجميلة التي اظهرها لى الفنلانديون في اثناء الحرب وبعد انتهاء الحرب واعتبرها دليلا قاطعا على ان الاعتراف بالجميل لم

يزل اثره من العالم . وعند ماذهبت الى السويد في سنـة ١٩١٩ واخذت حكومتها تخلق لى المشاكل التى تحول دون استمرار اقامتي هنالك اقبل الي مندوب فنلاندى يعرض على ضيافة فنلاندالى فشكرته اجمل شكر وابيت الذهاب الى تلك البلاد الوفية مفضلا الاوبة الى وطنى .

وقد كسرنا الحصار الذى طوقنا به الاتفاق من سائر جهاتنا بفضل معونة فنلاندا واوكرينيا اللتين اخذتا تعدان جيشيهما للتعاون معنا واصبح مركز البواشفيك بعد تحرير هذين القطرين مرتبكا مزعزعا فأمنا شر الاغارة علينا طول بقية الحرب من الجانب الشرقى .

وفي شهر مايو عند ماشرعنا في القيام بالهجوم الجديد فى الميدان الغربى واستعد النمسويون للهجوم فى شهر يونيه على الجيش الايطالى كانت مواقف التحالف الرباعى كلها مطمئنة الا موقف العثمانيين في الجبهة الفلسطينية الذى كان محفوفا بالخطر .

— ٥ —

حدث ثاني هجوم الماني عظيم في فرنسا والهجوم النمسوى في ايطاليا وفاقاً للخطط المرسومة من قبل .

فحشدت الجيوش في منتصف مايو لاحداث ثغرة فى الشمان ديه دام . وأعد اطلاق المدافع طبقا لتعليمات الـكولونيل بروخمو للر . وفي ٢٧ مايو بدأ الهجوم بين فوزايون وسايتيول فاقترن بالفوز الباهر . وتخطينـا الاهداف المقصودة في اليومين الثاني والثالث على غير ما كنت اتوقع . واستحوزنا على اراض واسعة فيما يلى فيم وعلى أراض اخرى اقل اتساعا خلف سواسون ومن الموجب للاسف الشديد ان احدى هيـآت اركان

الحرب لم تدرك مقدار موافقة الاعمال الحربية في جهة سواسون وعلى هذا لم يكن تقدمنا في هذا القطاع عظيما على الرغم من موافقة المكان للتقدم . ولولا هذه الهفوة لاصبح مركزنا حسناً جداً على سائر خط الهجوم . بل لقد كان لتقدمنا تأثير جوهري في تغيير مجرى الحرب . غير ان الرؤساء لادخل لهم في تنفيذ التفاصيل .

ودفع الجيش السابع قلبه الى الامام حتى بلغ المارن . وتقدم جناح هذا الجيش الايسر مع جناح الجيش الأول الايمن ما بين المارن والفيل في اتجاه جبل ريمس من غير ان يصادفا مقاومة تذكر .

وفي اوائل يونيه وقفنا هجومنا لان القيادة العليا لم تشأ ان تواصل الهجوم الا بين الأين واجمة فيلر كوتيريه في الجنوب الغربي من سواسون. وكنا نريد ان نكتسح بقاعا أوسع فى الجهة الغربية لنستولى على السكة الحديدية الممتدة غرب سواسون والتي تؤدي من وادى الاين الى وادي الفيل لتعضيد الجيش الثامن عشر المهاجم في خط موندديه نوايون .

وعلى الرغم من حدوث بعض الازمات التي كثيراً ما تحدث أمثالها لبثت عساكرنا مواصلة هجومها ودفاعها وهي مالكة ناصية الكفاح . وبدت طلائع الجنود الامريكية على مقربة من شاتوتيرى فهاجمت جبهتنا في جموع متراصة بشجاعة عظيمة غير انها لم تنجح بسبب سوء قيادتها . وكانت خسائرنا طفيفة جداً بجانب خسائر الاعادى الهائلة وعدد اسراهم العظيم وان كانت خسائرنا على كل حال محزنة . وتكرر استمرارنا على الهجوم في الوقت الذى يستلزم اقتصارنا على الدفاع . ومع ذلك ظل جنودنا في منتهى الشجاعة والتفوق

وعلى كل حال فقد كان التأثير الناجم عن هذا الهجوم حسناً جداً .

وفازت مجموعة ولي عهد المانيا فوزاً خططياً عظيما . واضطر العدو أن يستخدم معظم قواه الاحتياطية فى حين اننا لم نستخدم كل جنودنا الامامية . وشعرت باريس بهول الهزيمة الفرنسوية فاضطر عدد عظيم من سكانها الى مغادرتها ولكن الجلسة التي عقدها مجلس النواب في أوائل يونيه وهى التي كنت انتظرها باهتمام مدهش لم تتضمن أى عامل من عوامل اليأس بل لقد نطق كليمانصو بالفاظ حماسية تنم عن عزيمة تضرب بها الامثال اذ قال : « اننا نتقهقر الآن ولكننا لا نسلم بتاتاً » وقال « سنفوز بالنصر اذا ظلت السلطات العامة قائمة بمهمتها خير قيام » و « ساكافح أمام باريس وساكافح في باريس وساكافح خلف باريس » و « لنفكر فيما قضى به القدر على تيير وجامبيتا ، وانى لا امل أن أقوم بالمهمة العسيرة المحرجة التى قام بها تيير . » بل لقد ظل الاتفاق بعد هزيمته الثانيــة العظيمة في هذه السنة نفسها غير جانح للصلح

ولقد كان من الامور السيئة لنا من الوجهة العسكرية الفنيــة أن لا نتوصل الى الاستيلاء على ريمس ونستمر على ازجاء جيوشنا فى تلك الارض المحفوفة بالمكاره . وبالنظر لعدم وجود خطوط حديدية يرتكز عليها الجيش السابع في حركاته ونقل مطالبه سوى الخط الواصل من وادى الاين الى وادي الفيل صار من المحتم الالتجاء الى انشاء خطوط جديدة والى استخدام السكك الحديد الضيقة واعادة اصلاح الانفاق التى اتلفها العدو عند انسحابه وبما ان هذه الاعمال تقتضي مدة طويلة واعمالا جسيمة فقد اضطررنا الى استخدام قوافل الاوتوموبيلات النقالة ريثما يتم انشاء السكك الحديد اللازمة ، فوقعنا في أزمة السوائل اللازمة لتسيير هذه الاتوموبيلات .

ومنذ مستهل يونيه أخذ الهجوم يمتد نحو الغرب الى ملتقى الواز والايليت . وامكن نقل لوازم المدفعية بدون موانع شاقه . وحددنا يوم ٧ يونيه لوثوب الجيش ١٨ ما بين مونديديه ونويون ، والجيش ٧ فى الجهة الجنوبية الغربية من سواسون . ولكننا علمنا أن مدفعيتي هذين الجيشين لن تكونا على تمام الاستعداد للهجوم في الموعد المضروب فاضطررنا الى تأجيل وثوبهما الى ٩ يونيه ، وهذا أمر غير موافق من الوجهة الخططية لان العمل الحربى العام يفقد وحدته المتفق عليها من قبل فينتهز العدو هذه الفترة وينقل في أثنائها قواه الاحتياطية . على انني كنت انتظر ثمناً لهذا التفريط احراز نصر كبير وتكبيد العدو خسائر أعظم من الاول لأن الاستعداد سيكون أتم . وهجم الجيش الثامن عشر في يوم ٩ مزجياً جناحه الايمن في اتجاه ميرى وجناحه الايسر فى اتجاه الهضاب المتناهية في المناعة الكائنة على مقربة من غرب الواز . وفى هذه الدفعة كان العدو مترقباً وثوبنا . وعلى الرغم من تأهبه اجتاز مشاتنا كل تدابير استحكاماته وتركتها خلفها ، وبلغت الاروند من بعض النقط

ومنذ ١١ يونيه ابتدأ العدو يقوم بكرات شديدة جداً ولا سيما على جناحنا الايمن فى اتجاه ميرى استولى بها على بعض الاراضى . واتسعت دائرة هذه الكرات فى يومى ١٢ و ١٣ ولكن على غير جدوى . واذ كانت هذه الكرات قد أدت الى احتشاد جموع كثيفة من جنود الاعداء فقد استصوبت القيادة العليا وقف هجوم الجيش الثامن عشر منذ ١١ تلافيا لما ينجم من فقد عدد عظيم من الجنود ولما كان يتوقع من عدم نجاح الجيش السابع في الوصول الى احداث ثغرة بالهجوم الذي شرع فيه . ولم يؤثر هجوم الجيش الثامن عشر في الحالة التى أصبح فيها الجيش السابع بوثوبه

وفي أواسط يونيه ساد الهدوء على جبهة مجموعة الوريث الالماني خلا بعض وقائع محلية بين الاين واجمة فيلر كوتريه . وكذلك حدثت بعض قلاقل على جانبي الاردر بين المارن وريمس . وقد أفادتنا البقاع المكتسحة موارد فائضة بالخيرات وحسنت حالتنا الغذائية.

كان الهجوم النمسوى في الساحة الايطالية منتظراً يوم ١٠ يونيه او ١١ إلا انه ارجىء لعدم أستيفاء التأهب الى ١٥ . وكان الاستيلاء على جبل اداميللو فى غرب الجبهة التيرولية معتبرا ستاراً للهجوم الحقيقى الذي أراد القائد كونراد القيام به ما بين اسياجو والبحر . وعلى الرغم من الانتصارات المحلية فان هذا الهجوم لم يؤد الى اكتساح بقاع . وقد أفادت الاخبار الواردة من باد ان الجنود النمسوية قاتلت قتالا حسنا فما السبب اذن فى عدم النجاح ؟ على أن البرلمان النمسوى انتقد هذا الاخفاق بشدة عظيمة وكان أولى به أن يلتزم الحزم ورباطة الجأش كما فعل الفرنسيون في مثل هذا الموقف سنة ١٩١٧ وفي السنة الاخيره . ومع ذلك فما الذي فعله هذا البرلمان من الخير للجيش فيستجيز لنفسه حق الانتقاد ؟ انه بعمله هذا يزيد اليأس احتكاما فى النفوس . ولقد آلمني اخفاق الهجوم النمسوى أيما أيلام لاني لم أعد أنتظر من الساحة الايطالية تخفيفاً عن جبهتنا فى فرنسا . وعلى كل حال فان الكفتين أخذتا تتراجحان. وأراد القائد آرز أن يقوم بهجوم جديد في الخريف فلم يسعنى حينئذ سوى أن أقترح عليه ارسال كل مايتوفر لديه من القوى الى الميدان الغربي فقبل هذا الاقتراح على الرغم من الجهود التي لابد أن يكون قد بذلها لدى ملكه الذي عقت مثل هذا الارسال . ولم تزد القوة التي أرادت النمسا ارسالها الينا على أربع فرق لم تصل سوى اثنتان منها في يوليه والاثنتان الأخريان وصلتا في

أواخر أغسطس وأوائل سبتمبر . وحاول القائد آرز أن يردف هذا المدد بفرق أخرى بيد أن الحالة في الصرب حملته على ارسال قوة اليها من جراء تداعى الجبهة البلغارية . ومع أن رجال الفرق النمسوية أقوياء فانهم كانوا فى حاجة الى التدرب وأسلحتهم وذخائرهم محزنة

ولم يحدث فى جبهات التحالف الرباعى في أوروبا مايستحق الذكر سوى ارتداد الجيش النمسوي من غرب بحيرة أو جريدة الى بيرات في يونيه ويوليه

تحسنت حالة الجيش البلغاري نوعاً ما على أثر وصول الملابس والادوات العسكرية والمؤن والذخائر اللازمة من المانيا ولم يكن القائد شولتز يجهل حقيقة روح التمرد المنتشر فى بلغاريا ومحاولة المهيجين أن يحركوا الجيش ضد رادوسلافوف ، ولهذا فقد طلب هذا الاخير زيادة الجنود الالمانيين بدل سحب العدد الكبير منهم ، ولكن الميدان الغربى كان يتطلب غير ذلك . وقد حفظت القوي الاحتياطية التي حشدتها بلغاريا جبهتنا من الانشطار على امتداد واسع . واستعدت هيأة أركان الحرب الالمانية التي تدير مجموعة الجيوش المرابطة في الساحة المقدونية على التراجع قليلا في حالة الضغط الشديد

وأخفقت في فلسطين عدة هجمات قام بها الانجليز . واسترجع البريطانيون الفصائل التي كانوا قد دفعوا بها في اتجاه الموصل . ويظهر انهم قووا جنودهم الزاحفين في شمال العجم وعلى الساحل الجنوبى من بحر قزوين . وظل الارتباك حول تبريز وبجوار باكو

ولم تتغير الحالة فى الجبهة الشرقيه .

صار تمدد القوى الامريكية الواصلة فى اشهر ابريل ومايو ويونيه

بخمس عشرة فرقة . فيمكن اعتبار المحتشد من هذه القوى حتى الآن ٢٠ فرقة ، وهذا فوق ما كنت اتوقعه . فهذا التطور الفجائي أودى بالتفوق الذي كنا نمتاز به في شهر مارس من جهة عدد الفرق . وفضلا عن ذلك فان الفرقة الامريكية تتالف من ١٢ طابوراً والطوابير غاصة بالجنود . ولقد قاتلنا الجنود الامريكيين الموجودين في فرنسا من قبل وتغلبنا عليهم بعدد أقل من عددهم فلا يعقل ان يكون الجنود القادمون حديثا من الولايات المتحدة بسرعة والمفتقرين الى تدريب وتجريب طويلين أنظم وأشد بأسا وأقوى مفعولا من زملائهم الذين قضوا في فرنسا مدة طويلة في التدرب والتمرن . ولكن الذى كنا نخشاه هو ان يضع المنفقون هؤلاء الجنود الجدد فى القطاعات المطمئنة و يسحبون منها الجنود الفرنسوية والانجليزية التي مارست الحرب آماداً طوالا . وهذا الأمر الخطير هو الذى يجعل الولايات المتحدة بدخولها الحرب العامل الاكبر في انهائها .

وأنزلت فرنسا في سنة ١٩١٨ الى حومة الوغى جنوداً اكثر مما انزلته فى السنوات الماضية لانها كانت قد اعدت المقادير اللازمة من جنود مستعمراتها وهى ينابيع لاينقطع فيضها . وانتهز الجيش الانجليزى فترة السكون التي سادت مجاله منذ منتصف مايو فاخذ يلم شعثه ويقوى ضعفه الا انه لم يكن اسرع الى التأهب من مجموعة جيوش ولى العهد روبرخت على الرغم من ان حالة الغذاء لدى الانجليز كانت احسن بكثير منها لدى مجموعة الوريث روبرخت .

واخذت فوائد دعوتنا المنتشرة في بلاد الفلمنك تظهر بوضوح تام فقد طفق الفارون من الجيش البلجيكى يصلون الينا بكثرة مشعرين بتلطف روح العداء ضدنا في الجيش البلجيكى .

وانتشرت النزلات الصدرية في جيشنا وكان مفعولها اشد في مجموعة الوريث روبرخت . على ان هذا المرض تلاشى بعد وقت قصير تاركا ضعفا لايزول الا على توالى الايام . واجتهدنا في اكمال جنود طوابير الوريث روبرخت فلم تعد اقل عدداً من الطوابير البريطانيه . ومع ان جنود هذه المجموعة قد بذلت جهودا عظيمة في مدة ارتياحها ولا تزال بعض فرقها غير كاملة الوحدات فانها بقيت قادرة على انزال ضربة قوية بالعدو تلجئه الى قبول الصلح الذي لاسبيل لحمل العدو على قبول المفاوضة بشأنه الا بهذه الطريقة الوحيده.

وكنا دائماً نحاذر الوثوب علينا من جانب الانجليز في الفلاندر على الرغم من انسحاب القوى الفرنسوية من هذه الجهة الى القطاعات التي دارت فيها رحى القتال بشدة ، وعلى الرغم من ارسال نجدات انجليزية كبيرة الى تلك القطاعات .

وكانت اعظم الحشود الفرنسوية مجتمعة في القوس الذى يرسمه الجيشان الثامن عشر والسابع في اتجاه باريس ، اما المنطقة الممتدة مابين شاتوتيرى وفردان فكانت قوى العدو الخيمة فيها ضئيلة فصممت القيادة العليا على مهاجمة الاماكن الضعيفه مرتئية أن نشرع في الهجوم في اواسط يوليه على جانبي ريمس لتحسين مواصلات الجيش السابع الخلفية بين الأين والمارن . وبعد خمسة عشر يوماً من هذا الوثوب نقذف بكل ما تهيأ لنا من المدفعية وقاذفات الالغام والتشكيلات الهوائية على جبهة الفلاندر ومن المنتظر طروؤ الضعف على جبهة الفلاندر اذا ما نجحنا في جبهة ريمس . فارجئنا العساكر القادمة على الهجوم عدة ايام ، وبذلنا همة عظيمة في استقدام المدافع المتوفرة في الميدان الشرقي واقتطعنا مدافع عديدة من

البطاريات الاحتياطية فلم يجيء منتصف يوليه الا ونحن على قدم الاستعداد للهجوم في جهة ريمس . وحددنا يوم اول اغسطس لحركاتنا الحربية في الفلاندر فأدى حشد القوى العظيمة فى النقطتين المعدتين للوثوب الى ان يتعرض الجيشان الثامن عشر والتاسع لبعض الاخطار . وجمعنا حشوداً قوية جداً خلف مجموعة الكرونبرنز روبرخت وكلها من الفرق الاحتياطية المرتاحة . وانتزعنا من جبهة الكرونبرنز الالماني الفرق المتعبة التي رجعت الى الخلف لتستريح وتتقوى وتستكمل نقص اعدادها .

— ٦ —

ان الهجوم على ريمس معقول وكنا نعتقد بوجوب نجاحه لان جنودنا التي قاتلنا بها مراراً عديدة واحرزنا الانتصار بواسطتها لم تكن في الايام الاخيرة أحسن حالا مما هي عليه عند مباشرة هذا الهجوم . ولقد فكرت طويلا فيما اذا لم يكن من المستحسن ان نكتفي بما احرزناه من الفوائد الكبرى من هجماتنا المتوالية فى النصف الأول من هذا العام ونقتصر على الدفاع ، واخيراً صممت على رفض هذه الفكرة لانها تضعف روح الاقدام الذي نجمل به جيشنا فى العهد الأخير ولما تحدثه من التأثير السيء فى نفوس حلفائنا ولأنها تسمح لعدونا بحشد قواه في الاماكن المناسبة لهجومه وتمكنه من التخطي الى دور الوثوب . وقد تحققنا من ان اسباب الضعف الطاريء على الجنود انما ترجع في الاغلب الى التزامهم خطة الدفاع الذي نعتبره شرا مستطيرا علينا .

على اننا أصبحنا الآن امام حالة خطرة فقد أصبح الروح الذي ينفثه داخل البلاد في الجيش مؤذيا وغدا الجيش يشكو من سوء تأثير دعوة

العدو المنتشرة في الجبهة والتي يساعد على شدة مفعولها الروح السيء المنبعث من داخل المانيا ٠ ومن جملة ماتبرم منه الجيش الرابع تأثير النشرة التي تتضمن رأي الامير ليخنوفسكي بان الحكومة الالمانية تتحمل تبعة الحرب الحاضرة فى الوقت الذي يعلن الامبراطور والمستشار أن المسؤول عن اذكاء جذوة الحرب هو الاتفاق ، فهذه النشرة التي أذيعت في الجيش الرابع أحدثت أثراً سيئاً ٠ ولتأييد رأي الامير ليخنوفسكي تضمنت النشرة بالمثل تصريح احدى الصحف الاشتراكية الديموقراطية المستقلة المماثل لهذا الرأي . فليس من المستغرب أن يطرأ على افكار الجنود فى الجبهة أي تغير ما دامت أمثال هذه الآراء تذاع جهرة ويظل الامير متمتعاً بحريته التامة . ولقد كنت رجوت من المستشار ميخائيليس أن يحاكم الامير ليخنوفسكي . وبما أن اليوزباشي بيرفيلد مسؤلا عن نشر هذه النشرة في فى الجيش فقد حولته علي المحاكمة إلا أن الامتناع عن محاكمة المؤلف نفسه حالت دون اصدار أى حكم على هـذا الضابط . واعدت رجائي الى الحكومة أن تحاكم ذلك الامير تهدئة لافكار الجنود الابطال الذين يجودون بمهجهم فى سبيل سلامة الوطن وانتصارنا ورفعت تقريراً في هذا الصدد الى الامبراطور غير انه لم يتم شيء فى هذه المسألة ٠ فالامير ليخنوفسكي يساعد البولشفيين وسواهم من العاملين على استئصال شافة الطاعة والنظام من الجيش ٠ ولقد صار موقف الحكومة ضعيف ازاء انتشار الدعوة المثبطة فى الجيش بينما لا يرى من حكومات الاتفاق سوي موقف قوي مملوء بالثقة

وعلى الرغم من وضعنا جوائز لمن يبلغ عن النشرات المؤذية وعن مروجي دعوة العدو واتخاذنا ما في وسعنا من الوسائل المزيلة لتأثير هذه الآراء المسممة فقد بقيت مجهوداتنا فى هذا الشأن عاجزة عن تلافي كل

الاضرار بالنظر لاتساع نطاق الجبهة الحافلة بالجموع المتماوجه . غيران انتصاراتنا الاخيرة خففت وطأة التأثير الناجم عن دعوة العدو وآراء المفرطين من الالمانيين . وعلى كل حال فقد كان الاعتقاد الساري بين الجميع هو أن الحرب ستنتهي بفوزنا التام

وقد حدث أمر خطير جداً وهو امتناع الجنود الالمانيين القادمين من الامر في الروسيا عن التقدم الى الجبهة بحجة انهم غير ملزمين بمعاودة الكفاح اسوة بالاسرى المتبادلين مع اسرى الجنود الانجليزية والفرنسوية ووقعت في جراودنز حوادث هائلة من هذا القبيل . وا كتشفت مؤامرة في بفرلو تمكن عدة مئين من الالزاسيين من الهرب الى هولاندا ليتخذوا هنالك الوسائل الكافلة لتهريب الجنود من الجبهة الشرقية فاضطررت حينئذ الى استقدام الجنود الالزاسيين واللورينيين من الميدان الشرقي الى الساحة الغربية التي استقبلوا فيها شر استقبال . وكان الجنود البافاريون يروجون دعوة العدو بطريقة سرية بحملاتهم المدبرة على الامبراطور وولي عهده بل بالمثل على الاسرة المالكة في بافاريا . وانتهى الامر بهؤلاء الجنود الى أن يعتبروا هذه الحرب مسألة بروسية محضة . ولهذا لم تشأ القيادة أن تقدم الجنود البافارية الى الخطوط الاولى بعد السنوات الاولى

واخذت الحالة الأدبية تزداد سوءا في الداخل من جراء المناقشات الخطرة التي كانت تقوم بها احزاب الغالبية في الرايخستاج والتي كانت تروج دعوة خصومنا ترويجا عظيما . ومن اشد الأخطار علينا ان يقوم وزير الخارجية مصرحاً بان نهاية هذه الحرب لاتتم بواسطة الجيش فان هذا الرأي كان من الممكن ان ينطبق على الحقيقة لو ان البلاد في حالة نفسية قوية والجيش على تمام الاستعداد لمواصلة مهمته بغير فتور والعدو على

استعداد للتفاوض في شأن الصلح ، أما وكل هذه الامور غير متوفرة فان رأي هذا الوزير خطأ محض ومضر بمركز الجيش الذى يقدم فيه مئات الالوف من الشبان المستنيرين الذين كانوا يكسبون مكاسب حسنة في أشغالهم الحرة أرواحهم بلا ثمن لاجل سلامة الوطن ، فان هؤلاء الشبان الذين يرون انهم انما يسفكون دماءهم في مقصد غير مجـد لا يلبثون أن يضنوا بحياتهم العزيزة ويؤثرونها على تضحية لن تعود على الوطن بفائدة ما . فهذا التصريح الذى جهر به وزير خارجيتنا شؤم على البلاد . ويضاف الى العوامل المذكورة عامل البلشفية الذى أخذ يتمثل في برلين بمظهر واضح رسمي وقد طلبت ابقاء جوف سفير الروسيا بعيداً عن المانيا وتولي رآسة القيادة الشرقية المخابرة معه في الشؤون الضرورية ، كما أن هيأة أركان حربنا في برلين قدمت للحكومة عدة مستندات تدل على اجتهاد البولشفيين في اضرام نيران الثورة في المانيا ولكن السفارة الروسية على الرغم من مساعينا الموصولة استتبت في برلين وأخذ رجالها العديدون يحكمون صلاتهم بالحزب الاشتراكي الديموقراطي المستقل ويتعاون الطرفان على حض الجيش على التمرد ، فكان للبولشفية مفعولا أشد من تأثير دعوة الاتفاق . ولم تظهر حقيقة أعمال الحزب الاشتراكي الديموقراطي المستقل في اجلى مظاهرها إلاّ فيما بعد اذ صرح فايتز رئيس هذا الحزب في ماجد بورج مما يلي :

« ولقد أخذنا نعد الانقلاب بطريقة محكمة النظام منذ ٢٥ يناير ١٩١٨ فحثثنا مشايعينا الذاهبين الى الجبهة على الفرار . وزودنا المهربين بالوسائل النظامية التي تهيء لهم التهريب ، اذ جعلناهم يحصلون على وثائق مزورة وأمددناهم بالنقود وبالنشرات ، ووجهنا بهم الى كل الاماكن الاساسية ولا سيما الى الجبهة ليعدوا الجنود للاباق وليوهنوا الجبهه . ويتمكنوا من

حمل الجنود على الالقاء بانفسهم في أحضان الاعداء . وبهذه الطريقة أخذت الجبهة تتداعى بالتدريج ولكن بالتأكيد »

وانتشرت الدعوة الى الفرار والى التمرد والمقاومة في القطارات الغادية الى الجبهة والآتية منها . وسول للجنود أن لا يعودوا الى الجبهة واذا اجبروا على العودة ان يمتنعوا عن التقدم الى الصفوف المقاتلة ، واذا دفعوا اليها أن يفروا الى جانب العدو . وفي شهري يونيه ويوليه حدثت بعض امور من هـذه التدابير إلا انها كانت متفرقة وبشكل لا يستدعى شدة الانزعاج ، فالتدابير المذكورة مستمرة على الانتشار بطريقة لا تقاوم ولكن تحت أذيال التكتم .

ولقد سلب نواب الرايخستاج بقية السلطة فتجردت الحكومة من كل حول ونفوذ . ولا أريد الآن أن اتكلم عن الوسائل التي اتخذها المهيجون ضدى باعتبارى الركن الركين لسلطة الحكومة بل أوثر التعرض لما ما لما اتخذوه ضده ضباط الجيش . لقد طفقوا يحملون على هؤلاء الضباط الشجعان زاعمين انهم روح العسكرية الالمانية . وكان ضباطنا فيما سلف بعيدين عن النزعات السياسية المختلفة فهم يؤلفون هيأة قائمة على حدة لاهم لها سوى تأدية واجبها فلما سقط السواد الاعظم من هؤلاء الابطال فى ساحة المجـد دفاعاً عن الوطن المقدس انتهز أولئك المسيئون الى وطنهم وانفسهم هذه الفرصة فعملوا على ادماج عدد كبير من المتشبعين بالميول الرديئة الى سلك الضباط وتولى بعضهم بسرعة بعض الوظائف الكبيرة ، فدب الفساد في دائرة هذه الهيأة التي كانت من أخلص الهيآت الاجتماعيه الالمانية وانفعها للوطن

وفي هذه الآونة تعالت الشكوى من سائر النواحى من الفرق العظيم الموجود بين غذاء الضباط وغذاء الجنود . ولكن هذه الشكوى الداعية

الى التفريق لم تكن قائمة على أي أساس من الحقيقة لان المطابخ النقالة كانت تقدم للضباط نفس الطعام الذي تقدمه للجنود. أما ان الضباط يأكلون مع جنودهم على خوان واحد ويمازجونهم فهذا مالا يتفق مع نظام الجيش ومصلحته لانهم لو أكثروا من مخالطة الجنود والتبسط معهم لما استطاعوا أن يقودوهم الى المعارك ولا أن يحملوهم على الطاعة لزوال هيبتهم من نفوس الجنود

وكذلك قام هؤلاء المحرضون على الابوق بحملات شديدة على هيآت أركان الحرب الكبري . ومن ذا الذي يجهل الاعمال الشاقة والجهود الهائلة الموصولة التي يقوم بها رجال هذه الهيئات ؟ لقد لبثت أعمل ليل نهار أربع سنوات متعاقبة لم أتمتع فيها بالراحة التي يتمتع بها الجنود البسطاء. ولم نكن نعنى بالتأنق في حياتنا لأن أوقاتنا كانت أضيق من التفرغ للامور الكمالية ومع اننا كنا نأكل طعامنا المعتاد قبل الحرب فقد كنا نلتزم فيه البساطة المتناهية . وحينما تشكلت وزارة الامير ساكس في أواخر الحرب خابرت الوزارة بان هيأة أركان الحرب على تمام الاستعداد لان تأكل الأكل العادي الذي يتناوله الجيش والشعب اذا قبل سائر الوزراء أن يتناولوا منه بالمثل فرفض الامير ساكس مستشار الامبراطورية أن يتناول الطعام العادى الذى يتناوله سائر الجمهور

وكم تقولوا على الضباط فاتهموهم بانهم يعيشون على حساب الجنود ، وان الضباط العاملين يلتزمون مكاتبهم . وكل هذه الوشايات لا أساس لها من الصحة ، وقد كلفت المكتب العسكرى باجراء تحقيق دقيق فاسفر بحثه عن كذب تلك الاشاعات . وما عسى أن يقال في الضباط العاملين الذين دل الاستقراء على أن خسائرهم تتراوح بين ٨٠ و ٩٠ في المائة من

مجموعهم . وقد شكا لى بعض رؤساء الفرق قلة الضباط ازاء تراكم الاعمال التي لاحد لها . فهذه الحملة اذن مدبرة ضد أصدق هيأة عاملة في البلاد

واهتممت بما قيل عن السكردانات العسكرية (الكانتينات) فوجدته عاريا من الصحة اذ الضباط والجنود يبتاعون مطالبهم منها بأثمان واحدة وبتوزيع عادل كما أن أرباحها توزع على المشتركين فيها بطريقة عادلة. وكان أركان الحرب وجنودهم يتقاضون مطالبهم باسعار أخفض بقليل من الاسعار التي تتقاضى بها عامة الجنود فازلت هذه الميزة وجعلت الجميع سواء في المعاملة

ولا صحة بالمثل لما أشيع من أن ضباط المراحل يعيشون عيشة رفاه ودعة فان هؤلاء الضباط أدوا خدمات جليلة للجيش وللوطن ومن الطبعي أنهم يتمتعون بغذاء أرقى من طعام جنود المراحل وان كنا لم ندخر وسعاً في تحسين مآكل هؤلاء الجنود . فالضباط على وجه العموم متحلون باشرف الصفات واذا وجد بينهم من شذ عن هذه الصفة الشاملة فانه لايستحق الاهتمام به لانه انحط عن مرتبة إخوانه واخل بواجبه وأساء الى وطنه

ومع أن ضباط الصف لم يأبهوا بدعوة العدو لأنهم اسمى افكاراً من الاغترار بتلك الالفاظ الضخام ولذا لم يوجه اليهم أي تحذير ولم توضع عليهم أية رقابة فقد اختلقوا لهم مسألة دعوها تنافر الضباط وضباط الصف وهي مسألة مفتعلة لاأساس لها قبل الحرب ولا في اثنائها

وأصابت البلاد الالمانية أعراض أمراض اجتماعية يخشى شرها . فقابلني الوريث الالماني مراراً عديدة في افين وشكا لى منها ورفع عدة تقارير عنها الى الامبراطور لايسعني سوى الموافقة على مافيها . ولكن هذه الاعراض كانت مستعصية التشخيص فلا تكاد تعرف عللها الآ عند وضوح هذه العلل . وقد اتضحت فجأة بشكل مدهش فى ٩ نوفمبر. وطالما نبهت الضباط

الى مراقبة هذه الاعراض ودرس عللها ولكنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك وكانت نتيجته وبالا على حياة البلاد

وكانت مسألة النجدات من أهم شواغلنا لانها تستنفد جانبا لا يستخف به من قوتنا الاحتياطية . وقد أريد تقوية الفيلق الاسيوى الالماني بقصد استرداد أورشليم . بيد اني اطلعت أنور على حقيقة حالتنا ليضع حداً لطلب النجدات لان الساحة الغربية تتطلب قوى احتياطية عظيمة

واتبعنا عادتنا في السنوات الماضية فارسلنا الكولونيل باور الى برلين لحث المستشار على إرسال امداد كافية من الداخل للجيش المكافح في الجبهة ولكننا لم نحصل على المطلوب . ودار البحث فى أواخر يونيه في سبا بين المستشار والفيلد مارشال ووزير الحربية وأنا في هذا الصدد فأيدت الكولونيل باور فيما قاله فى برلين وطلبت التشدد في ايجاد القوى الاحتياطية الوافية والمبالغة في معاقبة المختبئين والهاربين واتخاذ كل الوسائل المؤدية الى تقوية الروح الحربي فى نفوس الجمهور . واوضحت اضرار البولشفية ودعوة العدو الجوابة ولهجة بعض الصحف الحزبية . وطالما خضت فى صدد هذه الموضوعات من قبل بلا جدوي ، أما في هذه الآونة فقد وعدت الف وعد بتحقيق سائر آمالى ولكنى لم أشعر بأي تغيير في الحالة العامة

وحاولت في هذه الاثناء الاستفادة من انتصاراتنا المتوالية بتقوية الحركة السلميه في بلاد الاعداء . فارسلنا مذكرة الى المستشار مرة أخرى في هذا الموضوع فاستقدم الكولونيل هايفتن يوم ٢٩ يونيه وبعد بحث دقيق وضعت قواعد الدعوة المراد بثها

وعرض الكولونيل هايفتن على وزير الخارجية في شهرى مايو ويونيه ان يفضى بتصريح مرض عن بلجيكا فرفض الوزير لانه كان يرى من

المستحيل تبادل الآراء مع أعداء لا يريدون التفاهم . وكان قد عرض على بساط البحث في الرايخستاج يوم ٢٤ يونيه تصريح المستر اسكويث السلمي الذى فاه به فى ١٦ فقال الفون كوهلمان في صدده : « طالما يعمد خصوم السلم والصلح الى الحركات الخادعة التي يوهمون بها الرغبة في الصلح وما قصدهم بهذه الحركات سوى مد الشباك وايقاع الشقاق بين الدول المتحالفة فان كل محاولة يراد بها التقريب ما بين وجهات النظر المختلفة لا يمكن الالتفات اليها وكل اقتراح يرمى الى تبادل الآراء بشأن ابرام الصلح لا يصح الاعتداد به »

وكذلك صرح المستشار في خطابه الذى القاه يوم ١٢ يوليه بما يؤيد به رأي وزير الخارجية ذاهباً الى اننا نريد الصلح ارادة صادقة ، ولكن طالما يصر العدو على ارادته محونا فاننا نلتزم جانب التحفظ ، حتي اذا ما أبدى العدو رغبة صادقة فى التفاوض فاننا ندخل حالا في دور المخابرات وقال : « واستطيع أن أقول بالمثل انى لا أنفرد بهذا الرأي بل تشاركني فيه القيادة العليا مشاركة تامة ، لانها لا تريد القتال لمجرد استمرار الحرب بل لقد أفضت الي بما يلي : « حالما يبدى الجانب الآخر فى وضح النهار رغبته الصادقة في الصلح يجب علينا أن نجيبه تواً الى تحقيق رغبته » ولقد عبر المستشار أصدق تعبير عن رأي الفيلد مارشال ورأيي

واني كلما ارجعت البصر كرة الى الوراء مستعرضاً تلك المساعي التي كانت الحكومة الامبراطورية تبذلها لعقد الصلح ادركت استحالة نجاحها الا اذا قرنت بالشروط التي فرضها علينا الاتفاق في هذه الآونة. وما كنا لنتحمل تبعة هذه الشروط فى إبان ظفرنا العظيم بل في اكتوبر أثناء اجتيازنا الازمة العظيمة . فانجلترا والولايات المتحدة كانتا تريدان محونا من الوجهة

الاقتصادية ، وتريد انجلترا اعداذلك ايصالنا الى حالة العجز التام ، واما فرنسا فتأبي إلاّ أن تسيل آخر نقطة من دمائنا . فبينما تعمل دول الاتفاق على خزينا واسقاطنا وافقارنا غير ناظرة الى اسعاد الانسانية مرتكزة في عملها على أقوى سياسة وطنية نرى الافكار متجهة عندنا الى اسعاد الانسانية قبل كل شيءٍ ثم تتجه فيما بعد الى الشعور الوطنى . وعلى كل حال فان الحرب ناشبة وليس فى وسعنا نحن بمفردنا أن نضع حداً لها

وفي مستهل يوليه تخلي الفون كوهلمان عن وزارة الخارجيـة لان تصريحه الذى قرر فيه انه لا يعتقد ان الفصل بحد السيف يضع حداً للحرب كان مخالفاً لرأى المستشار وذاهباً الى غاية بعيـدة لا تتفق مع المصلحة العامة . وقد اعلمناه نحن بالمثل بما يدور في خـلدنا من الشك في هذا التصريح . على أن مسلك الفون كوهلمان الشخصى له دخل أكبر في اعتزاله الاعمال . واليه يعزي استقرار السفارة البولشفية فى برلين والسكوت على نشر دعوتها بلا انقطاع

واستقبلت بابتهاج تعيين خلفه الفون هينتز منتظراً منه بثقـة أن يتمشى معنا الى مستقبل مرتكز على أساس متين . واطلعته على رغبتي في اقناع الاتفاق بابرام الصلح ، كما أفهمته خطر البولشفية علينا أو المساعى التي يبذلها السفير جوف لاشعال لهيب الثورة الداخلية في المانيا . غير انه لم يستطع أن يحدث عملا مذكوراً فى هذا الموضوع

— ٧ —

أصبحت الحالة تجري في الروسيا على غير ما كنا ننتظره ، فقد أخذ

الاتفاق يعد للبولشفيين وحدات جديدة من العناصر التشيكو سالفية التي اسرها الروسيون من الجيش النمسوى في أثناء الحرب ليستخدمها البولشفيك في محاربتنا . فكتبت في هذا الصدد كتاباً ضافياً الى المستشار في أول يونيه

وأراد الاتفاق أن ينقل الجنود التشيكو سلافيين الى فرنسا لتدريبهم وتسليحهم بطريق السكة الحديد السيبيريه . إلا أن هؤلاء الجنود لم يكادوا يصلون الى سيبيريا حتى ادبروا ضد البولشفيين انفسهم لان الاتفاق لم يعد يرجو الخير من الحكومة السوفيتية لاعتقاده انها ترتكز على قوة المانيا فاخذ الجنود التشيكوسلافيون يقاتلون حكومة موسكو

على أن الحكومة السوفيتية لم تكن مخلصة لنا كما يظن الاتفاق بل كانت تعمل على الاضرار بنا وعلى عدم الوفاء بوعودها واتفاقاتها . ولو كانت مخلصة لاعادت اسرانا الموجودين في سيبيريا بالقطارات التي تحمل الجنود التشيكوسلافيين ، ولكنها لم تنفذ شروط المعاهدة الصلحية

واتخذ الاتفاق له جبهة جديدة في الروسيا على ضفتي الفولجا الاوسط حشد فيها الجنود التشيكوسلافيين

وأرسل الاتفاق جنوده من طريق البحر الابيض الي شمال الروسيا ليتقدموا بواسطة نهر الدوينا وجنوداً اخر يتقدمون بواسطة السكة الحديد المورمانية . الا أن حركات هذه الجنود لم تكن ذات شأن يذكر لان مياه البحر الابيض تجمدت ولاننا الفنا قوة من بعض الوحدات الالمانية والجنود الفنلانديين تحول دون تقدم الجنود الاتفاقيين وعمد البولشفيون الى نسف السكك الحديدية التي يريد الاتفاقيون استخدامها في نقل جنودهم

وفي غرب مجري الفولجا الاسفل يمتد قوزاق الدون على طول مجرى الدون الى البقاع التي يحتلها . ويتولى زعامة هؤلاء القوزاق القائد كراسنوف

وهو عدو البولشفية الالد ويكافح جنودها الا انه مفتقر الى الاسلحة والذخائر . فأوجدت صلات بينه وبيني لاحول دون ارتباطه بالاتفاق . الا ان الحالة السياسية كانت مبهمة بدرجة جعلتني لااوافق على مسلك الحكومة الامبراطورية المشوب بالملاينة تجاه البولشفيك ، ومن جهة أخرى فان القائد كراسنوف لم يكن معادياً للاتفاق بل للبولشفيك فقط . وعلى كل حال لقد نجحت في منع هذا القائد من ممالأة الاتفاق جهاراً وجعلته حليفاً لنا . ولو قررنا الزحف علي موسكو لصرح جهرة بالانضمام الينا

وكان الكسيف موجوداً مع متطوعيه فى البقاع الخصبة الفسيحة المنبسطة في أقليم كوبان مابين قوزاق الدون والقوقاز وهو في مشادة ومصادمة على التوالى مع البولشفيين . الا أن قلة الاسلحة والذخائر لديه بالمثل جعلت البولشفيين يتفوقون عليه . وهذا القائد روسى صادق الوطنية ولو رأى منا ممالأة صادقة على البولشفيك لما تأخر عن الانضمام الينا . الا انه كان تحت نفوذ الانجليز لانه لم يجد له عضداً سواهم . وفي أوائل أغسطس . أقبل عدة الاف من البولشفيين من جانب ازوف الجنوبي الغربى مجتازين . بحر ازوف على الرغم من استمرار حكومة موسكو على تأكيد ميولها السلمية حيث نزلوا على مقربة من تاجانروج ، فلم يلبث الجنود الالمانيون أن استأصلوا شأفتهم . وابتدأ مركز متطوعى أقليم كوبان يتقوى ازاء البولشفيين ابتدأ من شهر أغسطس . وطلبنا من حكومة البولشفيين أن تعيد البواخر الحربية التي فرت من سيباستبول الى نوفوروسيسك والا اضطررنا الى اجبارها على العودة . فقبلت حكومة السوفييت إعادة هذه البواخر ولكن لم يعد منها سوى عدد قليل وبقية البواخر اغرقت فى ثغر نوفوروسيسك ، فاظهرت البولشفية انها ذات ميول وطنية قوية على غير ماكانت تزعمه من.

قبل . واشترطنا على هذه الحكومة استخدامنا بواخرها الحربية في أغراضنا العسكرية الى نهاية الحرب بيد اننا لم نجن من استخدامها فائدة تذكر

وفي شهر يونيه كان البولشفيون لا يزالون مستولين على بقاع مجرى الفولجا الاسفل وعلى بحر قزوين لان هتين الجبهتين ذاتا شان عظيم في حياة الحكومة السوفيتية لاستمدادها منهما الزيوت المعدنية والمواد الغذائية بعد ان فقدت حوض دونتز الفحمي وحبوب اوكرينيا واقليمي الدون وكوبان .

وكان العثمانيون مرابطين امام باكو ومستقرين في شمال ايران ولكن من غير ان يخطوا خطاهم في الزحف الى الامام . وعلى مقربة من انزلي على شاطيء بحر قزوين الجنوبي يرابط الانجليز حيث نظموا مواصلاتهم الى اقليم خوبان :

والتزمت حكومتنا ازاء هذه الفوضى السائدة على الروسيا خطة سياسية رخوة جانحة الى ممالأة الحكومة السوفيتية منعتنا طول فصل الصيف من أنشاء جبهة جديدة لنا في الشرق . فادت هذه الخطة الى تقوى النفوذ البولشفي بالطبع . واضطررت الى الرضوخ لهذه الحالة التي لم اكن موافقا عليها . ولقد خاطبت المستشار فيما ينجم من العواقب الوخيمة من اتباع هذه الخطة فذكر لى انه مكره على مجاراة الشعور المتغلب على البلاد الالمانيه . ولقد كنت اعذره فيما ينتحله من السبب لان الحالة الداخلية كانت سيئة الى درجة توجب القلق . لقد كان في وسعنا من الوجهة الحربية ان نضع يدنا بالاتحاد مع الفنلانديين على بتروغراد بلا عناء كما كنا نستطيع بالمثل ان نضع اليد الاخرى بالاتحاد مع قوزاق الدون على موسكو . والقوات الالمانية الضئيلة التي تحتل البقاع الروسية الفسيحة كافية

لانجاز هذا المشروع بدون احتياج الى اي مدد . فكنا نقضي على البولشفية التي تريد القضاء على نظامنا الاجتماعي ونقيم حكومة اخرى نظامية نبرم معها معاهدة صلح اخرى خلاف معاهدة بريست ليتوفسك وتتخذ منها حليفة جديدة صادقة نستعين بها على مواصلة الحرب الى النهاية المقرونة بالظفر .

ولقد كانت حكومتنا عمياء عن المساعي الخفية التي يسعاها السفير جوف في بلادنا ، ولم ينبهها الى سوء نية البولشفيين حادث ماحتى اعتدائهم على حياة سفيرنا في موسكو . بل لقد بلغ من ثقتها بحكومة السوفيت ان همت بارسال اسلحة وذخائر الى هذه الحكومه . واراد البولشفيون ان يصرفوا نظر حكومتنا عن دسائسهم الخفية ضدنا فشرعوا يتفاوضون في وضع الاتفاقات التفصيلية لمعاهدة بريست ليتوفسك فتعهدوا لنا بايراد كثير من المواد الاولية وبنقل الفحم والغلال التي نستمدها من البقاع المحتلة بواسطة سككهم الحديدية ولم نتعهد لهم بشيء هام في نظير ذلك كله وكان اهم مايطمعون فيه ان نحول دون احتلال تركيا باكو . وتعهدنا لهم من تلقاء انفسنا بالجلاء عن البقاع التي احتللناها في فبراير من الروسيا الكبرى على مقربة من برسينا والدون بمجرد دفع اقساط الغرامة الحربية ، وكنت أحسبهم لن يدفعوا هذه الغرامة الا انهم دفعوا اقساطها الأولى فيما بعد

وسمح لنا المستشار في المؤتمر الذى عقدناه في سبا بايفاد الكولونيل كريس القادم حديثاً من الجبهة الفلسطينية الى جورجيا لتنفيذ خطتنا السياسية هنالك ومعه حرس مؤلف من بلوك او بلوكين . فذهب الكولونيل كريس الى جورجيا واخذ يعمل لتزويد المانيا بالمواد الاولية

ولا سيما البترول الذى اشتدت حاجتنا اليه . فانقذنا من الازمة التي كنا سنقع فيها من جراء تفرد تركيا بموارد تلك البلاد . ولا ننسى انها عند ماوضعت اقدامها في باطوم استولت على كل ماكان مخزوناً فيها ولم تنلنا منه شيئاً . فلو انتظرنا رحمتها عند استيلائها على خيرات جورجيا لاضعنا وقتنا سدى وفرطنا في مصالحنا الحيوية . ولقد اسفت لاغراق البواخر الروسية لانها كانت تفيدنا فى نقل البترول . على ان الكولونيل كريس استطاع ان يستخدم سكة حديد القوقاز الممتدة مابين باطوم وتفليس وباكو بالاتفاق مع الاتراك فى نقل البترول بمركبات الصهاريج العديدة في هذا الخط .

على ان رغبة البولشفيين في منع الاتراك من احتلال باكو حالت دون اقترابنا نحن من هذه المدينة واذ كان الانجليز قد اصبحوا علي مقربة منها فى شمال العجم ولم يقف الاتراك حجر عثرة في سبيل تقدمهم فقد ابحرت قوة بريطانيـة من انزلى الى باكو عابرة بحر قزوين واحتلت هذه المدينه . فلم يسعنا الا ان نبادر باعداد حملة صغيرة لاسترداد باكو بالاشتراك مع جنود نورى اخ انور الذى يقود القوى العثمانية المخيمة في البقاع القوقازيه . وفيما نحن نعد حملتنا اغار نورى على ثغر باكو وانتزعه عنوة من البريطـانيين وطرحهم الى الشاطيء الجنوبي من بحر قزوين . وحدثت على اثر ذلك سقطة بلغارية التى شطرت جهتنا الشرقية فعجلنا بسحب جنودنا من رومانيا .

واردنا ان نحدث حركة شديدة في شمال ايران فوزعنا جانبـا من الاسلحة التي اخذناها من اوكرينيا على القبائل الفارسـية المشايعة للاتراك فما زادت هذه القبائل على ان احتشدت بجانب القوة العثمانية الاساسية في باطوم وقارص .

انى لم اكن اذهب في حركاتنا الشرقية الى أحلام بعيدة التحقق طامعاً في السيادة العالمية كما اني لم ارم الى الاستيلاء على بقاع في اوكرينيا وفي القوقاز ، بل كل ما كنت آمله من هـذه الحركات تحسين حالتينـا العسكرية والاقتصادية الحربيه . فأردت تجنيد عدد عظيم من اهالى هذه الجهات للاستعانة بهم في الاعمال الحربية المختلفة واستخدام مقادير عظيمة منهم في داخل المانيا لأخذ ما عائلها من العمال الالمانيين الذين يكسبوننا التفوق العددى في الجبهة الغربية . وكذلك كنت آمل ان استفيـد من العناصر الالمانيه المنتشره في الاصقاع الشرقيه . كما اني اردت ان استمـد من هذه الأمصار الغنية سائر المواد الأولية فنكون قد كسرنا حلقة الحصر التي طوقت بها المانيا . وبهذه الطريقة تنتعش قوانا الجسمانيـة والنفسية فنستمر على الحرب بغير فتور . بيدان اعمالنا في الشرق كانت ضعيفـة بطيئه . ولم اشأ استخدام القوي العسكرية في صبغ العناصر الاخرى بالصبغة الجرمانيـة بل كل ما كنت ارجوه ان اسعى لتوحيد وتقوية الجامعة الجرمانية في الاراضى التى تقطنها العناصر الجرمانيه . وقد قدم لى بعض اصدقائى مبالغ طائلة من الأموال انفقتهـا على الصحافة النمسوية لتقوية الرابطة الجرمانية . وكذلك كنت اسعى في حماية العناصر الجرمانية الموجودة في الامبراطورية الروسية القديمه . هذه دائرة ميولى واعمالي لاجل الجامعة الجرمانيه .

واذ كانت المسألة البولونيـة من اهم المشاكل التي تعرقل مساعينا الجرمانيـة في البقاع الروسية التي تشغلها العناصر الجرمانية فقد اردنا ان ننهى هذه المسألة بوضوح تام بيننا والنمسا . وكان الـكونت كزرنين قد فارق وزارة الخارجيـة النمسوية واخلفه الـكونت بوريان فرجونا من

حكومتنا ان تنتهز هذه الفرصة وتفض هذه المشكلة مع الوزير الجديد . ولكن حكومتنا لم تصل الا الى ابرام اتفاق لايتضمن شيئا يقيدخطوات النمسا فاستمر بوريان على مواصلة خطة كنزرنين بعناد .

— ٨ —

ثم استعدادنا للهجوم الثالث العظيم على النسق الذى تم به التأهب للهجومين السالفين ، فزودنا الجيوش بكل مايلزمها ورتبنا اعمال كل جيش على حدة . وكنا حددنا يوم ١٢ يوليه لوثوب مجموعة الوريث الالمانى ولكن اوجه النقص التي بدت اخيرا حماتنا مع الاسف الشديد على ارجاء الشروع فى الوثوب الى يوم ١٥ . وعهدنا الى الكولونيل برو خمولار الاشراف على مدفعية مجموعة الوريث الالماني من الوجهة الفنيه واردنا أن يكون هجومنا مفاجأة فبذلنا كل ما فى وسعنا لكتم انبائه وستر أعماله غير أن العدو علم بمقاصدنا على الرغم من الوسائل الشديدة التى اتخذناها لتضليله وصرف نظره ولم يعلم العدو بعزمنا من طريق واحد بل من عدة طرق . فمن ذلك ان أحد ضباطنا عبر المارن سباحة والقى بنفسه أسيراً بين يدي العدو وافضى اليه بتفاصيل مقاصدنا وكذلك فعل أحد الضباط المشتغلين باعمال المدفعية الادارية الذى سقط في أسار الاعداء فافشى لهم كثيراً من أسرارنا . ولغط الشعب الالماني بشدة في عزمنا على مهاجمة ريمس وانتهى لغطه الى اسماع الفرنسويين . وحاولت أن اخفى عن علم الشعب الالمانى مقاصدنا الاّ أن الجنود الذين كانوا يذهبون بالاجازة الى الداخل لم يستطيعوا ان يعقلوا السنتهم . وكنا قد منعنا انصراف الجنود الى ذويهم مدة طويلة أثناء الهجومين السالفين فلم نستطع الاستمرار على

المنع لان هذه الاجازات هي خير ما تهديه القيادة الى رجالها مكافأة على صبرهم الجميل

وبلغنا في أثناء الاستعداد من بعض الهاربين من جنود العدو الينا انه عزم على القيام بهجوم عظيم مصحوب بالتانكس من غابة فيلير كوتريه فاعددنا لصد هذا الهجوم خيرة الفرق الموجودة لدينا ولكن هذا الهجوم لحسن الحظ لم يحدث ولعل العدو أدرك استعدادنا لدرئه فعدل عنه

وهجمنا في صباح ١٥ يوليه . فعبرنا المارن بنجاح باهر على الرغم من استعداد العدو بدرجة مدهشة لصد اندفاعنا . بل لقد اقتحم الجيش السابع ما بين المارن والاردر معاقل في منتهى المناعة دافع حماتها عنها دفاع المستميت . ومنيت الفرق الايطالية التى كان من نصيبها المرابطة هنالك بخسائر تتخطى كل وصف

والتقت جنودنا على بعد خمسة كيلو مترات تقريباً في جنوب المارن بالعدو في قوة وعلى استعداد للدفاع فلم تستطع التغلب عليه الا بعبور النهر وعلى أثرها عدة بطاريات ، وهنا استتب الكفاح فى مكانه . واستولينا بالمثل على متسع من الارض يمتد مع مجرى النهر صعداً فى اتجاه الاردر يوم ٢٦ بعد وقائع حامية

وتراجع العدو من أمام الجيشين الاول والثالث بنظام الى خط استحكامه الثاني الذى وقف زحفنا عند بلوغه على طول امتداد الجبهة .

وفى ظهر يوم ١٦ صدر أمر القيادة العليا بالامتناع من التقدم وباعداد الجيشين الاول والثالث لالتزام خطة الدفاع وانتزعت منها عدة فرق . لقد أصبحت مواصلة الزحف غالية الثمن فوجب علينا الاكتفاء بما تيسر لنا من تحسين مراكزنا واسترداد القمم التي انتزعت

منا في ربيع ١٩١٧ فضلا عن المنطقة المستطيلة التي ثغرناها في جبهة العدو. وظلت الفرق التي اجتذبت الى الخلف تحت تصرف الوريث الالماني والقيادة العليا باعتبارها قوة احتياطية . وكنت آمل خيراً كثيراً من استراحتها واستعدادها للعمل .

واذ قررنا وقف الزحف فقد صار من الخطأ ابقاء جنودنا على شاطىء المارن الجنوبي فى بارزة محفوفة بالمكاره . فصار من الواجب استرجاعهم الى الضفة الشمالية . غير أن عبور النهر فى هذه الآونة كان مستحيلا لان الجسرين الممكن الارتداد عليهما كانا تحت طائلة النار المندلعة عليهما من بطاريات الاعداء وقذائف الطيارات فتحتم الانتظار الى آن يتهيأ إعداد المعابر اللازمة لعبور الجنود النهر . وتحددت الليلة الواقعة بين ٢٠ و ٢١ لانثناء جيشنا الى الضفة الاخرى . ولقد قضى جنودنا هذه الايام في أعسر موقف بشجاعة نادرة المثال

ولم يبق سوى شمال المارن صعدا مع الاردر مجالا لمواصلة الهجوم للاحداق بريمس عن كثب وللاستيلاء عليها اذا أمكن . فصدرت التعليمات اللازمة للقيام بهذا العمل الى مجموعة الوريث الالماني فى يوم ١٦ وعلمت من البحث الذي دار في ريفيل ان متابعة الهجوم لا تتيسر قبل بضعة أيام تتم فيها الاعمال التحضيرية

وظلت القيادة الالمانية العليا متجهة الفكر الى إعادة الهجوم في الفلاندر على الرغم من أن ضعف قوة العدو هنالك لم يتم كما كان منتظراً واستمرت حركة نقل المدافع وقاذفات الالغام والطيارات من منطقة ريمس الى جبهة الفلاندر طول يوم ١٦ والايام التالية . وذهبت بنفسي في الليلة الواقعة بين ١٧ و ١٨ الى المعسكر العام لمجموعة الوريث روبرخت مستعلماً عن سير

التأهب . وفي ضحوة يوم ١٨ بينما كنت أتداول مع هيأة أركان الحرب وصلتني الانباء الاولى عن الثغرة التي افتتحها الفرنسويون في جبهتنا الـكائنة في الجنوب الغربى من سواسون، وقدهجموا فجأة بعربات الهجوم وافادتني مجموعة جيوش الوريث الالماني في الوقت عينه انها أرسلت بالاتوموبيلات النقالة على جناح السرعة الجيوش التى كانت معدة للهجوم على شاطىء الاردر الى ساحة القتال . فاصدرت الأمر فى الحال الى الفرقة الخامسة من المشاة المعسكرة في الشمال الشرقى من سان كنتان بالانتقال بالسكة الحديد الى الناحية الشمالية الشرقية من سواسون وانهيت المداولة مع مجموعة الامير روپرخت وانا متوتر الاعصاب وابت الى افين . وفى هذا اليوم رأيت الامير روپرخت لآخر مرة ونحن على أحسن علاقة .

وعند بلوغى افين استقبلني الفيلد مارشال وعلمت منه أن موقفي الجناح الايسر من الجيش التاسع والجناح الايمن من الجيش السابع فى حرج

هاجمنا القائد فوش عبثاً يوم ١٨ في ساحة شامبانيا وعلى جبل ريمس ما بين الاردر والمارن وفى جنوب المارن ، إلا انه استولى على بقاع فسيحة فيما بين الاورك والاين . فعمد في هذه الجبهة الى تمهيد مدفعى قليل إلا انه ذو نيران حامية ثم كسا الافق بضباب صناعى وأرسل المشاة مزودين بمركبات هجوم عديدة جداً بدرجة لم تعهد من قبل فى مكان واحد . فاندفعت هذه القوة المفاجئة تحت غشاء الضباب الـكاذب ، واجتازت عربات الهجوم مواقعنا حتى اذا ما استدبرتها انحدر منها جنودها وسلطوا مدافعها الرشاشة على ظهور رجالنا الذين لم يثبت أكثرهم لشدة ما عراهم

من الدهش . والفرقة التي كنا نحسبها أشجع الفرق وهي مرابطة في الجنوب الغربي من سواسون اضطرت الى التنحي عن مكانها . والفجوة التي انفتحت هنا لم تلبث ان اتسعت من جوانبها ولا سيما فى اتجاه سواسون . وكانت توجد ثلاث فرق على مقربة من هـذا المكان منهوكة القوى لم تستطع أن تقاتل على التعاقب بل اتحدت وتمكنت من صد العدو فوق الربى المصاقبة سواسون من الجنوب الغربي . وأمكن صد الهجوم بين الاورك والمارن واضطرت مقتضيات الاحوال جنودنا الذين يقاتلون في شمال الاورك الى الارتداد من جراء اندفاع العدو بشدة متناهيه الى الجنوب

هذا ما علمته في الساعات الاولى من وصولى الى آفين فالمسألة اذن كرة قوية قام بها القائد فوش على بارزتنا الناتئة بين سواسون وريمس وقد اشتركت فيها فرق انجليزية بالمثل. وقد فشلت وثبة العدو على الاردر وأوصله وثوبه على سواسون الى اكتساح بقاع عظيمة واضطرت الفرقة الخامسة التي كانت تقلها القطارات الى سواسون الى النزول بعيداً عنها في وادى الايليت لان المدفعية شرعت ترسل حممها على محطات هذه الجهة ، فدعا تأخرها عن خوض غمار الوغى الى الغم الشديد . واستطاعت الفرقة العشرين الوصول الى المكان المقرر لها في مساء ١٩ . ولم يمكن الاعتماد في أعمال الدفاع على الفرق الاخري اللواتي سيرتها مجموعة الوريث الالماني إلاّ فيما بعد . فالمنتظر اذن أن تزداد الحالة توتراً . ولم يعد من الميسور التعجيل باسترداد الجنود الموجودين في جنوب المارن لعدم الاخلال بالنظام العام ، اذ تقرر استرجاعهم فى نفس الوقت الذى يتراجع فيه الجنود المرابطين في شاتوتييرى أى فى الليلة الواقعة بين ٢٠ و ٢١

واستمرت مجموعة الامير روبرخت تستعد للهجوم على الرغم من الفرق اللواتى اقتطعن منها

وزال خوفي مؤقتاً على الجيش الثامن عشر والجناح الايمن من الجيش التاسع لان العدو لايسعه الوثوب في كل مكان .

وظل يوم ١٩ حرجا بالمثل ولم يستول العدو على أراض تذكر فى اتجاه سواسون . وأما من الجهة الجنوبية فقد اجتاز في الواقع الطريق الموصلة من سواسون الى هارتين الا انه رد على أعقابه في المساء بهجمة قوية عليه من الفرقة العشرين ، فاستقرت الحالة حينئذ في هذا المكان ومع أن العدو اكتسح بقاعاً واسعة في الجنوب الغربى من هارتين فانه لم يصل الى نتيجة حاسمة . واخفقت الوثبات التي قام بها الامريكيون فى شاتوتيرى كما اخفقوا في اليوم السالف . وكذلك أخفق العدو في جنوب المارن وبين المارن والاردر وفي شمبانيا . واذ ذاك تحسنت الحالة بوجه عام تحسناً عظيما والجنود الذين تغلب عليهم الذهول يوم ١٨ كافحوا كفاحاً جيداً يوم ١٩

وفي يوم ٢٠ تمكنت الفرقة الخامسة من بلوغ سواسون كما وصلت فيه فرق اخرى الى الاورك

وأخيراً تحريت أسباب الفتور الذى طرأ على عزائم جنودنا وجعلهم يمكنون العدو من الكر عليهم بمثل هذا النجاح فعلمت انها عديدة ، فمنها أن الوحدات كانت ناقصة نقصاً كبيراً لم يتيسر اكماله بعد الهجمات السابقة ومنها ان الاكل الرسمى لم يعد كافيا لتقوية الاجساد فتغلب عليها الهزال والضعف ، ومنها ان آثار الحمى التي انتشرت فى الجيش كانت لاتزال باقية لدى الجنود ، ومنها أن الفرقتين اللتين كانتا فى القطاع الاوسط من الهجوم لم تكونونا قد ارتاحتا بعد من متاعب المعارك السالفة ، وفضلا عن ذلك فان العدو لم يشعر جنوده بعزمه على الهجوم الا قبيل الشروع فيه ببضع ساعات ، والانباء التى أرسلت الى خطوطنا الاول قبل مباشرة الوثوب بقليل

جداً لم تصلنا . ويضاف الى كل هذه الامور جمع العدو عربات هجوم عديدة لم ير لها مثيل في احد الميادين واحتجابها بالغلال الطويلة التي سترتها عن الانظار . ولكن بعد أن أفاق الجنود من دهشة المفاجأة في يوم ١٩ استردوا عزائمهم وصلبت أعوادهم على العدو . ومما لوحظ في هذه المعركة أن المشاة لم يوفقوا بين حركاتهم وأعمال المدفعية بل انطلقوا مسرعين الى الامام قبل الاوان ، وهذا شيء محمود الا انه يفسد الخطة المرسومة من قبل . وبعد استقرار الجنود في أماكنهم جيء بالاحتياط على عجل تلافيا لكل وثوب جديد من قبل العدو وتأهباً للكر عليه

واقتضت المعركة الدائرة بين الأين والمارن توحيد العمل ، ولهذا ألحقنا الجناح الايسر من الجيش التاسع بالجيش السابع . ودفعنا حملات شديدة قام بها العدو في أهم نقط هجومه في جنوب سواسون وفي الجنوب الغربي من ريمس يومي ٢٠ و٢١ بجموع كثيفة وبعدد جسيم من عربات الهجوم

وفي الليلة الواقعة مابين ٢٠ و٢١ تم ارتداد جنودنا المرابطين في جنوب المارن الى الضفة الشمالية بنظام بديع اذ لم يهجم الفرنسيون على هذه الجنود في يوم ٢٠ . وحينما هجموا في ٢١ على الضفة الجنوبية وجدوا مواقعها خاوية على عروشها . وعلى أثر هذا الارتداد عدلنا مراكزنا في الغداة بين الاورك والمارن وبين المارن والاردر لتكون الجبهة محكمة

وحدث سكون يوم ٢٢ لان كل هجمات العدو صدت وانتهت المعركة في مصلحتنا .

ورأت القيادة العليا ان استمرار جنودنا على احتلال بارزة المارن يعرضهم لأهم الاخطار من عدة وجهات : فمنها ان العدو لاينقطع عن مباغتة هؤلاء الجنود ولا سيما الجيش السابع ، ومنها انه يستطع بارسال

قذائفه الساحقة من مدافعه ذات المرمى البعيدان يجعل حركة النقل والتموين بالسكك الحديدية عسيرة جدا فنضطر الى استخدام الاتوموبيلات النقالة وهذه توقعنا في أزمة السوائل اللازمة لتسييرها . فبقاء الجنود فى هذا النتوء يجعل غذائهم رديئا جدا ، ، وفي هذه الحالة يصبح موقفهم حرجاً امام عدو حاصل على ميزات عظيمة تجعله أحسن مركزاً واشد مراسا . وكل فوز يمكن ان يحرزه العدو في جهة سواسون أو على الاردر يتخذ شكلا فى منتهى الخطاره . ومن المستحيل ثباتنا مدة طويلة في هذا النتوء المستقل بنفسه في امتداد الجبهة ، وقد تبينا عقم الانقضاض على ريمس . وعلى ذلك قررت القيادة العليا يوم ٢٢ يوليه مساء الانثناء الى خط مستحكم يمتد من فيران تاردنوا الى فيل ان تاردنوا وان تبتدىء حركة التراجع فى الليلة الواقعة بين ٢٦ و٢٧ يوليه . وعزمنا على التأخر الى مايلى الفيل للاستحكام في خط مستقيم يصل مابين سواسون وريمس في اوائل اغسطس . ولا بد لنا قبل هذا النكوص ان نتخلى عن وادى الفيل الذى نحن فى اشد الحاجة الى الاستفادة بموارده الغذائية الفياضه . وهـذا الرجوع سيمكننا من اختصار جبهتنا فنقتطع منها قوات نستخدمها في مشروعات اخرى الا ان العدو سيختصر جبهته بالمثل ويستغنى عن شطر كبير من قواه يمكنه ان يهاجم به اماكن اخرى . ولم يعد في وسعنا التغاضى بعد الآن عن حالة الضعف الطارئة على الجيش الثامن عشر والجناح الايمن من الجيش التاسع فلا بد من تقويتهما بنجدات نستقدمها لهما من مجموعة الأمير روبرخت .

ورات القيادة العليا ان الوثوب في الفلاندرلن يؤدي الى انتصار سريع حاسم لان العـدو يستطيع ان يتاهب لملاقاتنا ويستقدم فى حالة تصميمنا على موالاة مهاجمته قواه الاحتياطية العظيمة ويصدنا مرة اخرى

كما فعل فى ١٠ و١١ يونيه ، وعلى ذلك قررت القيادة العليا ان تلتزم مجموعة الوريث روبرخت الدفاع وان تزود الجيوش الثامن عشر والتاسع والسابع بالنجدات اللازمه .

ودعيت مجموعة جيوش الدوق البرخت الى اعداد مشروع للهجوم .

وفي ٢٣ حدث هجوم في منتهى الشدة صد بنجاح باهر على اغلب امتداد الجبهة . ولم تحدث في الأيام التالية سوى وقائع محلية كان نصيبها الاخفاق

ونفذ التراجع المقرر ليلة ٢٦ — ٢٧ باحكام ونظام تام . وعمد القائد فوش فى الأيام التالية الى القيام بهجمات قوية الا انها غير مثمرة لم تؤد الى اكتساح أراض سوى في التلاع الناهضة فى الشمال الغربي من فيران تاردنوا يعتبر الاستيلاء عليها غير موافق لنا من الوجهة الخططيه . وافادت تقارير الجبهة ان العدو اصيب بخسائر دموية فادحه .

وفي الليلة الواقعة بين اول وثانى اغسطس نقلت الجبهة الى ماوراء الفيل حيث كانت تقيم جنود متاهبة للذود عنها في موقع تمت اقامته منذ وقت قريب جدا . واندفع العدو خلف جبهتنا المتراجعة واثبا على مجرى الفيل فرد على اعقابه في كل مكان . وكانت هذه خاتمة المعركة الدفاعية المتحركة بين المارن والفيل التي دافع فيها الجنود الالمانيون ورؤساؤهم دفاعا مجيداً على الرغم من حرج مركزهم وعلى الرغم من وقوع بعض حوادث لايعتد بها ازاء الحالة العامه

وفدحت الخسائر فى هذه المعركة كما فدحت في سائر الخسائر السابقة ولا سيما في يوم ١٨ وفي الوقائع الدفاعية التي حدثت في الايام التالية على الرغم من اننا اعدنا كثيرين من جرحانا الي صفوفهم بعدمدة وجيزة وعلى

بالرغم من قلة اسرانا . وبلغ من فداحة خسائرنا ان حللنا عشر فرق وزعنا مشاتها على الفرق الاخرى بصفة امداد لهن . واجتذبنا سائر الوحدات التي اشتركت في الكفاح الى الخلف لاصلاح شؤونها واراحتها . ولم اصل الى تحرى حقيقة الخسائر التي مني العدو بها منذ ١٥ يوليه ، على انها لابد من ان تكون فادحة جداً بالنظر لاتباعة طريقة الهجوم بالجموع الكثيفة التي انتهجها الاتفاق في كل وثباته ، وعلى كل حال فهي لاتقل عن خسائرنا. بل لقد بلغت من الجسامة ان اضطرت فرنسا الى حشد السنغاليين والمراكشيين في صف القتال سد اللعجز وتوفيرا في دماء ابنائها .وعظمت خسارة الفرق الامريكية الست بلاجدوى الى حدان حلت احداها لتسد بالبقيه المتخلفة من جنودها النقص الحادث فى الفرق الاخرى . وكذلك كانت خسائر الايطاليين والانجليز هائله.ولم يقاتل الفرق الست الامريكية سوى فرقتين المانيتين احداها عاملة والاخرى احتياطيه .

واعدت مجموعة ولى العهد روبرخت فرقها المستريحة للصراع الدفاعى واصبح الجيش الثامن عشر والجناح الايمن من الجيش التاسع قويين .

. لقد اخفقنا في محاولتنا حمل الشعوب المتفقة على الصلح بانتصار السلاح الالماني قبل دخول التشكيلات الامريكية الجديدة حومة الوغى فاصبحت اعتقد بعد هذا الاخفاق ان موقفنا صار في منتهى الحرج .

وفي مفتتح اغسطس اضحينا على قدم الدفاع فى سائر امتداد الجبهة والكف عن الهجوم ليس بالامر المستغرب فقد تكرر فى ٢١ مارس و٢٧ مايو . فالحاجة الى الراحة ضرورية اثر كل معركة الا اننا لم نكن على يقين مما اذا كان العدو سيسمح لنا بها .

وكنت اذهب الى ان العدو سيقوم بوثبات متعددة ولكنه لن ينشب

فى الوقت الحاضر معركة كبرى لانه منهوك القوى مثلنا فهو احوج الى الراحة منه الى استتباع الهجوم . على ان الهجمات التى باشرها العدو من ١٨ الى ٢٠ اغسطس عاجما بها عودنا في مواقعنا الجديدة جعلته يغير اعتقاده القديم في صلابتنا وقوة ارادتنا فعدل عن الراحة وصمم على مواصلة الصراع .

وكنت اعتقد امكاننا دفع كل الهجمات المتفرقة بوقائع محلية غير ذات بال كما حدث من قبل . وأردت ان أحدث تعديلا جديداً يزيد الجبهة قوة فأوجدت مجموعة جيوش جديدة يتولى رآسة قيادتها القائد الفون بوين ورآسة اركان حربها القائد لوسبيرج وتتألف من الجيوش الثاني والثامن عشر والتاسع . ولقد قلت للقائد بوين انى اخترت له منطقة من امنع مناطق الجبهة إلاّ انى مع الاسف كنت واهما

وعلى كل حال فان الموقف الجديد كان يستدعى اهتمام الحكومة والشعب وان كنت لا أزال مطمئناً . وخاطبت المسيشار في هذا الصدد ثم علقت أباحث ضباطى في الآمال التي ترتسم في مخليتي ، وفيما نحن كذلك اذ فاجأتنا الصدمة الاولى يوم ٨ أغسطس

خواتم الوقائع

في صيف ١٩١٨ وخريفه

— ١ —

ان يوم ٨ أغسطس هو تذكار حداد الجيش الالمانى في تاريخ هذه الحرب . وما عهدت فى حياتي اشأم من ساعاته سوى تلك الاويقات التى تداعت فيها الجبهة البلغارية ابتـداء من ١٥ سبتمبر فقوضت دعائم التحالف الرباعى

بعد أن صحت عزيمة القيادة العليا على التزام خطة الدفاع قررت اجتذاب جبهة سهل الاين ابتداء من أول أغسطس بالتدريج الى الخلف والتخلى عن رؤوس الجسور الممتدة على الآنكر والآفر في شمال السوم وجنوبه فاخليت هذه الجسور يومي ٣ و ٤ اغسطس

ورجوت من القائد الفون كوهل أن يتفقد وسائل دفاع الجيش الثاني في الجبهة الممتدة بين البير وموريل فرفعت الفرق المتعبة وازدحمت الجبهة بالوحدات المتلاصقة وغصت بالمدفعيات ورتبت الجنود في صفوف متلاحقة على استطالة عميقة . وتم التأهب وفاقا للتجارب الاخيرة المستفادة من معركة ١٨ يوليه

وفي صباح ٨ اغسطس فاجأنا الانجليز بجلباب من الضباب الطبعى الذى زاده كثافة الضباب الصناعى في جبهة البـير موريل وكانت جنود

الهجوم مؤلفة بنوع خاص من الاستراليين والكنديين والى جانبهم الجنود الفرنسيون وهم مصحوبون بعدد جسيم من مركبات التانكس ، ولم يكونوا متفوقين علينا في سائر الاشياء الاخرى تفوقا عظيما . فلم يلبثوا أن تغلغوا فى خطوطنا الى بعد عميق ما بين السوم واللايس . وباغتت التانكس أركان حرب الفرق فى معسكراتهم ثم اتسع نطاق الثغرة حتى تخطى اللايس ، فرأى الجنود الذين كانوا لا يزالون يقاتلون بشجاعة في جهة موريل أنفسهم مطوقين . وأما من الجهة الشمالية فان السوم صار حائلا دون زحف العدو وتلقى جنودنا الذين يقاتلون في الشمال وثوب العدو عليهم بمثل هذه الشدة غير انهم تغلبوا عليه . وكانت الفرق اللواتي سحبن الى الخلف منذ أيام قلائل لاراحتهن موجودات فى الجهة الجنوبية الغربية من بيرون فاستغاث بهن أركان حرب الجيش الثاني فلم يسعهن سوى الزحف . وقذفت هيأة أركان الحرب المذكورة في الوقت نفسه بكل القوى المتيسر لها جمعها في هذه الثغرة لسدها . وأرسلت مجموعة الوريث روبرخت قوى احتياطية بالسكة الحديد . وخاض الجيش الثامن عشر حومة الوغى من الجهة الجنوبية الشرقية ، وأرسل شطراً من جنوده الى الجهة الشمالية الغربية من رواي . وأرسل الجيش التاسع بناء على أمرى مدداً على الرغم من تحرج مركزه . وبالطبع ان بضعة أيام قد انقضت فى الالتحام قبل وصول النجدات القادمة الى المعترك . واستخدم عدد عظيم جداً من الاوتوموبيلات في نقل الجنود .

لقد ارتسمت ازاء مقلتي منذ الساعات الاولى من صبيحة ٨ أغسطس صورة كاملة لموقفنا العسكري ، وانها لصورة محزنة جداً . وتمكنت قوى الجيش الثانى الاحتياطية المرابطة فى جنوب راى أن تحول زحف العدو

عن اتجاهه الى بيرون. وا كتسح العدو في اتجاه روای بقاعا ممتدة الى ضواحي ارفيللير ، واضطرت جبهتنا الممتدة في جنوب الآفر أن تنثني ابتداء من مونديديه . ولقد عزقت ست أو سبع فرق المانية استطاعت أن تثبت في وجه هذا التيار الجارف شر ممزق ووقفت ثلاث أو أربع فرق أخريات مع حطام الفرق المتقدمة لتسد الفضاء المتسع المترامى بين براى وروای . فالحالة اذن فى منتهى الحرج ولو تهيأ للعدو الاستمرار على الهجوم بمثل هذه الشدة لتعذر علينا الثبات في غرب السوم . وصار من الضرورى بقاء الجيش الثانى في موقفه هذا بينما يتراجع الجيش الثامن عشر بجناحه الايمن الى رواى ويحتفظ بجناحه الايسر بالقمم المشرفة على الماتز . وتحتم تنفيذ هذه الحركات في الليلة الواقعة بين ٩ و ١٠ أغسطس فاذا لم نفلح فى تنفيذها فمن الممكن أن يحرز العدو علينا نصراً عظيما . الا أن العدو ولحسن حظنا لم تسعفه قواه على مواصلة هجومه بالشدة الاولى وان كان قد ظل يستولى على أراض بين السوم والآفر وفي شمال السوم بالمثل حيث اضطر الجيش الثاني الى الارتداد بجبهته الى الوراء قليلا ، وامكنه أن يكون له جبهة أضيق من الاولى الا انها على جانب عظيم من التزعزع . واستطاع الجنود في هذا الموقف أن يكافحوا بثبات أكثر مما أبدته الفرق التي قاتلت بالامس بين السوم والليس . وكان منهج الفرق اللواتي سحبن من الجبهة قبل هذا الهجوم بعدة أيام لشدة ماكابدنه من الاوصاب ممدوحا . وظللنا ثابتين في الجهة الشمالية الغربية من رواي . واستطاع الجيش الثامن عشر أن يقوم بحركته المرسومة في ليلة ٩—١٠ وفى الصباح هاجم الفرنسيون بشدة المواقع التى تخلى عنها هذا الجيش باحكام ، وبالطبع قد اضطر الى ترك مقادير كبيرة من الادوات الحربية . وعلى أثر هذا الارتداد تحسنت حالتنا

بين السوم والواز بعض التحسن ، وأرسلنا قوة من الاحتياط لمساندة الجيش الثاني في موقفه .

وكافحنا فى جنوب البير وبين السوم والآفر في يومي ١٠ و ١١ بشدة عظيمة ونجاح باهر لنحتفظ بمراكزنا بينما كان العدو يقوم بحركة اندفاع شديد بين الآفر والواز . وتوالي الصراع فى الايام التالية في نقط مختلفة من الجبهة فثبت جنودنا إلا أن موقف الجيش الثاني ظل مزعزعاً فى حين أن الجيش الثامن عشر استرد قوته الدفاعيه . وبلغت خسائر الجيش الثاني مبلغاً عظيما ، وكذلك قواه الاحتياطية أصيبت بارزاء جسيمة . ودعت فداحة الحال الى توجيه مشاة بعض الفرق الى المعترك عقب انحدارهم من الاتوموبيلات النقالة على الفور وارسلت مدفعياتها الى جهات أخرى . فاختلط بعض الوحدات بالبعض الآخر . ودار في الخلد ان لا مناص من استقدام عدة فرق متلاحقة اذا اريدت تقوية الجيش الثانى ولو انكف العدو عن مواصلة هجومه . والذى زاد فداحة خسائرنا كثرة الاسرى فاضطرت القيادة الى أن تحل بعض فرق لتسد بوحداتها أبواب النقص المتراكمة في الفرق الملتحمة . وحينئذ غاض معين قوانا الاحتياطية ، أما العدو فلم يكن قد استنفد من قواه الاحتياطية الا اقلها . فتغير ميزان القوى تغيراً هائلا ضد مصلحتنا . فكلما توالى مجئ الجنود الامريكية ازدادت كفة العدو في ميزان القوى رجوحاً على كفتنا. ولم يعد لنا أي أمـل فى اصلاح حالتنا باتخاذ خطة الهجوم مرة أخرى ، بل كل ما يجب علينا فى هذه الآونة هو الثبات . وأخذت التلغرافات الاثيرية تماوج بعبارات الاستبشار متناقلة أن روح الشجاعة في الجيش الالماني أصابه تطور كبير. واستحوز العدو على عدة وثائق ذات شأن في منتهى الخطارة . ولا بد أن

يكون الاتفاق قد تأكد بواسطتها من نفادمواردنا الاحتياطية فحملهذا الامرعلى متابعة الهجوم

وقد ارسلت ضابطا من أركان الحرب يوم ٨ أغسطس ليفيدني عن تفاصيل ما يحدث في الملتحم فوصف لى حالة الفرق اللواتي تلقين الصدمة الاولى فاحدث فى نفسى تأثيراً لم اعهده من قبل . وعلى أثر ذلك استقدمت فرقاءوضباطاًمن الجبهةالى آفين لاتداول معهم في تفاصيل ما حدث فشرحوا لى الحقائق على علاتها فقد قاتلت بعض الوحدات قتالا باهراً فى منتهى الشجاعـة بينما حدثت من جانب آخر امور لم اكن اتوقع حدوثها في الجيش الالماني فمن ذلك : ان بعض جنودنا استسلموا لبعض الخيـالة المتفرقين او لفصائل من مركبات الهجوم.او صاحت جنود متقهقرة بجنود منتعشه زاحفـة بنشاط واقدام الى المعترك : « يامفسدي الاعتصاب » و « يامطيلي الحرب »وهي كلمات لابد من ترددها في سائر انحاء الجبهه . ولم يعد للضباط اقل نفوذ.وفي اكتوبر لفت نظري الوزير شايدمان الى ما كان لعمل احدي الفرق من التأثير فى كارثة ٨ اغسطس بما اقدمت عليه من امثال هذه الأمور المحزنه . فاصبحنا ازاء مسألة مستعصية الحل فكل مايمكن ان ترجوه القيادة العليا من وراء التدابير الحديثة او المشروعات الحربية المبتكرة لتخفيف الازمة لن يجدي نفعا . ان الذي كنت احذره من قبل قد وقع اليوم فلا سبيل الى تلافيه .لقد ساءت الحالة الادبية فى كثير من نفوس الجنود وان كان السواد الاعظم من الجيش لايزال متمسكا بروح الشجاعة والاقدام فمستقبل المانيا الآن معلق بخيط القضاء وكل الادلة تحكم عليه بانه مظلم مشؤوم . ان مواصلة الحرب بعد الآن عبث ولا بد من انهاء القتال .

ان يوم ٨ اغسطس جعل رؤساء الجيوش يرون الألالمانيين كالاعداء والقائد فوش مثلي تماما .

ومن المحتمل جدا، وهذاما اعتقده أشد الاعتقاد،أن تكون الكوارث التي تتابعت منذ ١٥ يوليه قد زعزعت الثقة التي كان يولينيهـا جلالة الامبراطور والفيلد مارشال ، بل ربما يكون سواي اقدر على ان يرى الحالة اقل تفاقما مما اراها انا فيه . وعلى ذلك رجوت من الفيلد مارشال ان يتخير لمركزى انسانا غيري اذا كنت لم اعد حائزاً لثقته المتناهيةفي او اذا كانت بعض مقتضيات الاحوال تحتم مثل هذا التغيير . فابى ان يفعل ذلك . وكذا تباحثت مع رئيس المكتب الحربى الامبراطورى فى من يخلفنى اذا ماحامت الظنون حولمركزى . ولـكن الامبراطورأبدى لى هذه الايام من الثقة الخاصة بي مالم يبد لى مثله فى الايام الغابرة وانى لمعترف له بالجميل على هذه العناية . بيد انى لبثت في قلق لما كان يساورنى من وجوب وقوف الامبراطور بالدقة على سائر تفاصيل الامور كما هى جارية ، فازالوا قلقي من هذه الجهة . ولقد قال لي الامبراطورفيما بعد انه أمسى يعتقد بعد حبوط هجومنا في يوليه وبعد كارثة ٨أغسطس باستحالة كسبنا هذه الحرب

وقد اقتصر البلاغ الصادر في مساء ٨ أغسطس على القول بأن العدو تدفق بجموعه على خطوطنا في امتداد واسع من جبهتنا القاعة في جنوب السوم . وفي الصباح التالى خاطبنى القائد كرامون من باد ، ذاكراً لى أن بلاغى أحدث انزعاجا بالغا في فينا غير أنى لم أبق لديهخلجة من الشك فى خطارة الـكوارث التى المت بنا . فلفتني الى وجوب الاعتقاد عما يحدثه الاعتراف بعدم النجاح من التأثير السيء في حليفاتنا لان المانيا هى التي

تنفث فيهن بمفردها روح العزم والقوة . ولقد حدث هذا بالفعل يوم ٢ سبتمبر

ان التأثير الذي احدثه فشلنا في نفوس حلفائنا كان شديداً وسريعاً ، فاظهر الامبراطور شارل رغبته فى الحضور الى سبا في أواسط اغسطس. ولم يكن من المستغرب حدوث انقلاب فجائي فى خطة بلغاريا التى اسقطت وزارة رادوسلاف وولت بدلها وزارة مالينوف الذي لا ينطوي على عواطف الولاء للتحالف الرباعي . وظهر في سويسرا رجال من كبراء بلغاريا . وأصبح موقف القائد جانتشيف المفوض العسكرى البلغارى يدعو الى الدهشة لانه لم يعد يزور المعسكر العام الاكبر الا نادراً جداً

وما كدت احصل على التفاصيل الوافية لحقيقة الحالة الجارية في الميدان حتي عزمت علي الاجتماع باسرع ما يمكن مع المستشار ووزير الخارجية وتحدد لعقد هذا الاجتماع في سبا يوم ١٣ اغسطس ، وتضمن مستشار لامبراطورية والفيلد مارشال ووزير الخارجية الفون هينتز ، ودام يومي ١٣ و ١٤ . وبعد أن وصفت الحالة باجمعها وصفا دقيقا ابديت رأيي بانه لم يعد في وسعنا ادراك الصلح من طريق الهجوم ولا بالتزام الدفاع الذي يلجيء العدو الى الدخول في مفاوضات الصلح بالنظر للروح السيء الذى استولى على بعض الجنود . ثم ذكرت اننا على الرغم مما تقدم سنثابر على البقاء في فرنسا مدة اخري ، وكل ما تمس اليه الحاجة الآن هو ان ننثني بجبهتنا الى خط يكون امنع من الخطوط الحاليـة . فالذي يجب اذن على الحكومة أن تنهز هذه الفرصة لفض الحرب وابرام الصلح بالطرق السياسية . وعطفت في أثناء هذا البيان على ما احدثه تصريح الامير ليخنوفسكي من المفعول الفظيع . وشددت علي الحكومة بوجوب القاء

محاضرات عديدة متوالية فى هذا الصدد وانشاء ادارة امبراطورية لنشر المعلومات وبث الدعوة الجوابه . ولم يبد الفيلد مارشال رأيا خاصاً ألاّ انه كان اقرب الى التفاؤل الحسن مني . واستنتج الوزير هينتز مما طرق اذنيه وجوب الشروع في مفاوضات صلحية نلتزم فيها جانب الملاينة والتساهل الى درجة عظيمة . ووصف المستشار الحالة الداخلية بايجاز وتكلم بتحفظ شديد في مسألة ليخنوفسكي ولمح الى وجوب عقد المجلس الامبراطوري الاعلى

وفي صباح اليوم التالى عقدت الجلسة برآسة الامبراطور . فبدء المستشار الكلام لى بشرح موجز عن الحالة النفسية فى الداخل ثم انطلقت في تبيان ما شرحته بالامس ، وبعد انتهائي من القول اذن الامبراطور لوزير الخارجية بالتكلم فلم يعبأ هـذا الوزير بالحالة الداخلية بل جعل كل اهتمامه بالمسالتين العسكرية والسياسية الخارجية على النمط الذى أبديت فيه رأيي بالامس واختتم مقاله بموافقتي على مطلبى . وكان متأثراً الى الدرجة القصوى والعبرات تجول في مقلتيه . أما الامبراطور فكان ثابت الجأش وقد وافق على استنتاج الفون هينتز وكلفه بالشروع في مفاوضات صلحية اذا تيسر بوساطة ملكة هولاندا واظهر ضرورة اطلاع الشعب على حقائق الامور وإدارة أزمة البلاد بالتضامن والاتفاق والحزم . وختم المستشار الاقوال بوجوب تثبيت السلطة في الداخل وترك الامور السياسية تجري فى مجاريها مع مراعاة مقتضيات الاحوال الموافقة لها . وانفضت الجلسة فصافحت الوزير الفون هينتز وأنا أشد ما أكون تأثرا

وفي هذه الآونة قدم الامبراطور شارل مصحوبا بالكونت بوريان وبالقائد آرز الى سبا . وتباحثوا مع رجال حكومتنا في مسألة الصلح وكان الكونت بوريان اثناء الخوض فى المسألة البولونية يتمسك بوجهة نظره

ويصر على وجوب تنفيذها . فالفرصة التي تجيز لنا الفصل في هذه المسألة بما ينطبق على مصالح الطرفين بطريقة عادلة قد أفلتت من أيدينا . ولم أعلم بهذه المداولات الا من الفون هينتز فيما بعد . وأخيراً قرر جلالة الامبراطور أن يكون لبولونيا الحرية الكاملة فى اختيار حاكمها الاعلى على شرط أن تكون مرتبطة من الوجهة الاقتصادية بالامبراطورية الالمانية . ويجب أن أذكر في هذا المقام أن الامبراطور كان شديد المعارضة لكل مشروع يرمى الي ضم بولونيا .

وجرى البحث مع القائد آرز في الحالة الحربية العامة ، فطلبت منه مرة أخرى تقوية الجبهة الغربية بعدد عسوى ولم يكن قد وصل الى الساحة الغربية حتى هذا الحين سوى فرقتين عسويتين . وهذه آخر مرة التقيت فيها بهذا القائد الذى أشعر بعاطفة احترام شديد له .

وعلى أثر هذه المداولات أبنا الفيلد مارشال وأنا الى أفين وحسبت المستشار سيعود الى برلين ليطلع الوزراء والرايخستاج . على مجرى الامور ويتخذ الوسائل اللازمة ، غير انه بقى في سبا وعهد الى الفون باير نائب المستشار والفون هينتز وزير الخارجية مخاطبة زعماء الاحزاب في الرايخستاج . وقد استدعي هؤلاء الزعماء الى وزارة الداخلية يوم ٢١ فعظم الخطب على نفوسهم بعد اطلاعهم على حقيقة الواقع . ولقد كانت لهذه المحادثات العلنية عاقبة وخيمة جدا لأنها كشفت للعدو اللئام عما تبقى مستوراً من حالتنا الداخلية فصمم على موالاة الصراع بشدة متناهية الى أن نقبل الشروط القاضية على كياننا القومي بالفناء

واقبل الفون باير نائب المستشار الى افين ليباحثني في الشروط الواجب الاتفاق عليها بشأن البلجيك فكنت أحسبه سيتخذ مما أعرضه عليه مادة

يزودبها وزير الخارجية في مفاوضاته المقبلة واذا به يجعلها قوام خطابة القاها في ستو نجارت فى شهر سبتمبر . فكان لمافاه بهتأثيرجوهري بالنظر لموقفنا الخاص ازاء البلجيك .

— ٣ —

وعلى أثر عودتنا الى المعسكر الاكبر أزدادالحرج شدة ،وكان موقفنا يوم ١٤ حينما أمر الامبراطور بالشروع في مفاوضات الصلح متينا

وماكاد القائد بوهن يتولى قيادة مجموعة الجيوش الثاني والثامن عشر والتاسع حتى أخذ يبذل كل مافى وسعه لانهاء التأهب الدفاعي العظيم المقرر لقطاعه . وكان الصراع لايزال مستمراً بين السوم والوازفي أواسط أغسطس وكنا لانزال محتفظين باهم نقطة واقع ضغط الهجوم عليها وهي جانبي رواي اليمين واليسار بمعارك حادة . وفي هذه الاثناء تم تشييد مواقع الارتداد الجديدة في خط يمتـد من بابوم الى الهضاب الناهضة في الشمال الشرقي من نوايون

واسترجعت مجموعة الوريث روبرخت جبهة الجيش السادس بضعة كيلو مترات الى الخلف فى سهل الليز . ورؤى اختصار قوس الجبهة بالتخلي عن كيميل . وتبينا حوالى منتصف الشهر عزم الانجليز على القيام باغارة جديدة . ولاحظنا بالمثل عزم العدو على توسيع هجومه بين اراس والانكر وعلى الاخص فى اتجاه بابوم ، فلم يكن من المستصوب أن يلاقي الجيش السابع عشر المرابط في هذا القطاع عدوه في موقعه الامامي بل أرتدالى موقع آخر على بعد بضعة كيلو مترات وأبقى طلائعه فى الخطوط الاولى

ليتقى بها وطأة الاندفاع وليعلم حقيقة مقاصد العدو من وثوبه في هذه الجهة . واستعد الجيش التاسع بالمثل لاستقبال تدفق العدو على موقعه الكائن بين الواز والاين . ولم نتوقع هجوما آخر على مواقع أخر من جبهتنا . ولكن تأهب الخصم في سائر انحاء الجبهه يجعل المفاجآت ممكنة الحدوث . فواجب القيادة العليا تجاه هذه الحالة المبهمة أن تتخذ الحيطة في سائر اجزاء الجبهة ، وهذا هو الذى عمدت اليه القيادة العليا بالفعل .

وفي ٢١ أغسطس هجم الانجليز على جبهة الوريث رويرخت من جنوب أراس بين بواسليه والانكر . فكان هذا الهجوم فاتحة ملاحم ناشبة بين الانجليز ومجموعة الوريث رويرخت ومستمرة الى انتهاء الحرب العامة

وتمكن الجيش السابع عشر من الاختفاء في الوقت المناسب ففشلت الوثبة الانجليزية امام الموقع الحديث . وكر الجيش السابع عشر بنجاح في يوم ٢٢ بموافقة القيادة العليا وكان الافضل أن لايتقدم . وعلى أثر ابتداء الهجوم الانجليزي امتد نطاقه على جانبي السوم وحمي وطيس القتال ولم يفز الاستراليون بطائل بل كانت لنا الغلبة في اليومين الاولين فأخذت أعلل النفس بمساعدة الحظ إيانا في المعارك المقبلة . ولكن الانجليز الذين لم يكونوا قد دفعوا الى الهيجاء سوى عدد قليل من الوحدات المنتعشة لم يلبثوا في الايام الاخر أن اكتسحوا بقاعا واسعة في اتجاه بابوم موالين الزحف بشدة عظيمة . وكان مدار خطتهم المبتكرة أن يحدثوا ثغرات ضيقة الا انها عميقة باستخدام مقادير جسيمة من التانكس ونشر حجب كثيفة من الضباب الصناعى . ولقد أحدثت هذه الطريقة هلعاً شديداً في نفوس جنودنا وأصبحوا يعملون علي اتقاء أهوالها بكل الوسائل التي تتهيأ لهم . وصرنا نعرف مقادير عمق الثغرات ولكننا لم نعرف مقادير

اتساعها . وكانت قواتنا الاحتياطية كلما عجلت بالكر توصلت في الغالب الى سد هذه الفجوات . واستطاع العدو في وثباته التالية أن يبعدنا عن الانكر ، وكان السبب في هذه الملمة وجود فرقة روسية لاثقة لنا بها خلف هذا النهر فلم تثبت وأحدثت اضطرابا في حركة المقاومة العامة في هذه الجهة . وفدح القتال في بقعة الحفر المتخلفة عن معركة السوم في شرق البير لاستعصاء جلب القوى الاحتياطية بالسرعة المنشودة في هذه المنطقة فبلغ الحرج في هذا المجال أشده يوم ٢٥ أغسطس . ولم تحدث في جنوب السوم على امتداد الطريق الموصلة الى بيرون سوى مصادمات محلية أما الجيش الثامن عشر فلم يفلت من الهجمات المتلاحقة التي أخذ يصدها بدفاع باهر . وارتد جناحه الايسر الى قربة من نوايون ليشترك في درء الحوادث المتتالية في شرق الواز ، ولقد أدار حركات هذا الجيش قائدهم الفون هوتير ورئيس أركان حربه الليوتنان كولونيل بوركنر بشجاعة متناهية

وجري الهجوم الفرنسوي العظيم بين الواز والأين يوم ٢٠ اغسطس وكان الفرنسويون قد طرحوا طلائعنا منذ ١٧ أغسطس من المنطقة المتقدمة الى الخطوط الاساسية . ولقد قاومت طلائعنا أكثر مما كان يجب عليها فأصابها ضعف عظيم . وحدث هذا الهجوم على النسق الذي كنا ننتظره الا أن فرق التداخل لم تكر على العدو . وحينئذ تسنى للعدو ان يواصل زحفه بين خطوطنا في اتجاه نوفيون فانبرت فرقة بارعة من الجنود الصيادين لرد الارض المكتسحة الا قليلا منها بحملة صادقة على العدو . وعلى كل حال لم يعد من الموافق بقاؤنا في الخط الكائن قبل الواز والايليت فاخذ الجيش التاسع يرتد من ذلك الخط ساحبا جناحه الايمن الى الواز في ليلة ٢١ وقلبه الى الايليت في ليلة ٢٢ ومحتفظا ببقية قواه بالارض الممتدة

في شمال غرب سواسون . وعلى الرغم من كل وسائل التأهب التي اتخذت فان موقفنا ظل سيئاً . فقد توترت اعصاب الجنود الى النهاية من شدة نيران المدفعية المعادية وهول مباغتات التانكس . وكان يوم ٢٠ أغسطس ثاني أيام الحداد في الجيش الالماني لأن خسائرنا فيه بلغت منتهى الفداحة ومكنت العدو من مواصلة هجومه

وشدد العدو ضغطه على خط سواسون وشوني ، فدارت بين الفريقين وقائع في منتهى القسوة كانت كفة الغلبة تتراجح فيها بينهما ولا يعلم لمن يكون الفوز الاخير فيها

وصدر الامر لمجموعتي جيوش الوريث روبرخت والفون بوهن في أواخر اغسطس بالارتداد الى خط درس استحكامه من قبل وهو يمتد من شرق بابوم — ماراً من أمام بيرون والسوم ومن أمام هام — الى الهضاب الناهضة في الشمال الشرقي من نوايون . وصار من اللازم تنظيم خط سيجفريد لتأمين حركة الانثناء . وتمت حركة التراجع في الليلة الواقعة بين ٢٦ و ٢٧ . ولم يتقهقر الجيشان السابع عشر والثامن عشر الا الى مسافة قصيرة جداً من غير أن يصادفا في حركتيهما مطاردة تعرقل خطواتهما وكان الامر على العكس في تراجع الجيش الثاني الذى لم يكن له ظهير قوى في موقعه الجديد الكائن في الشمال الشرقي من بيرون ، وقد تخلت الفرقة الموجودة في الجنوب الغربي من المدينة عن الضفة اليسري للعدو فصار موقف الجنود الموجودين على الضفة الشمالية عسيراً ، وأظهرت فرق اخرى ضعفاً بسبب خسائر فوق العادة للفرق التى أظهرت رباطة الجأش

وفي هـذه الاثناء كان المارشال هايج قد وسع دائرة هجومه الى الاسكارب ليصل الى شمال خط كروازيل — موفر خلف خط سيجفريد

واضطر للوصول الى هذا الغرض ان يستولي على خط فوتان الذي حصناه في سنة ١٩١٧

وفي ٢٦ اغسطس علق الانجليز يهاجمون الطريق الممتدة من أراس الى كمبريه . فاضطرت جنودنا المرابطة في هـذه الطريق الى الارتداد بنظام . وجرت الوقائع الاولى فى مجرى موافق لنا . وعلى أثر ذلك استمر زحف الانجليز حتي خط فوتان . وفى ٢ سبتمبر حمل الانجليز حملة صادقة بعربات التانكس فاجتاحوا ما أمامهم من العوائق واجتازوا خنادق هذا الخط الحصين فاتحين الطريق لمشاتهم . وبعد مضي ١٤ ساعة أعلمني القائد كوهل والليوتنان كولونيل بافيلز رئيس اركان حرب الجيش السابع عشر بان ليس من الموافق انشاء جبهة جديدة امام القناة الممتدة بين ارليكز وموفر وطلبا السماح لهما بسحب هـذا الجيش الى الوراء مع احتفاظه بمواقعه الكائنة في شمال السكارب . فوافقنا على هـذا الطلب الذي لا مفر من تنفيذه. وارتأت القيادة بالاتفاق مع رؤساء الجيوش الثاني والثامن عشر والسابع والتاسع أنْ تحدث تغييرات مهمة فى مراكز هذه الجيوش لتكون الجبهة أكثر تناسقاً واستقامة ومتانة

وفى خلال هذه الاعمال خاض الجيش التاسع غمار وقائع حادة تحولت فى بعض الايام الى معارك متناهية فى الشدة . وبفضل نشاط القائد الفون كارلوفيتز ذي الحذر الدائم ورئيس أركان حربه الليوتنان كرلونيل فاويبل وشجاعة عدة فرق لبث هذا الجيش مستقراً فى مراكزه الاساسية . وامتازت في خوض غمار الملتحم الفرقة الاولى من المشاة التي يقودها الامير ايتيل برزانة ورباطة جأش وفرقة الصيادين الفرسان المحنكة من الحرس فان هاتين الفرقتين لم تباليا باهوال التانكس

ثم ارتأت القيادة العليا على الرغم من الصعوبة المتناهية أن تختصر الجبهة مرة أخرى اختصاراً كبيراً يوفر لها قوات كبيرة من الجنود الاحتياطية ويجعل مراكز الجيوش الالمانية امنع واثبت من مراكزها في الجبهة المتقدمة المتسعة وتمنح الجنود أماكن مريحة بينما يكون الاعداء في أماكن متعبة وهي الميادين المتخلفة من معارك ١٩١٧ وعلى الرغم من أن هذا الاختصار سيوفر للعدو بالمثل قوي احتياطية فاننا كنا نراه اوفق لنا . فقررنا الانثناء بالجبهة كلها الى الخلف واتخذنا من خط هنديج برونهيلد المحصن الذى كنا قد انشأناه في ١٩١٧ مرتكزاً دفاعياً قويا لنا . وعزمنا على ادخال تحصينات جديدة على هذا الخط المنيع بقدر ما يسمح به توفر الايدي العاملة

ثم فكرت القيادة العليا من باب التحوط في أن تتخذ خط تراجع آخر تلجأ اليه الجيوش عند الضرورة القصوى . واستصوبت ان تبادر باخلاء البقاع الواقعة في غرب وفي جنوب خطى هرمان وهنديج برونهيلد من كل الادوات والالات التي لا تمس اليها الحاجة القصوي . وشرعنا في ارسال هذه الاشياء كلها الى البلاد الالمانية . غير أن صعوبة النقل بدت للعيان ، فأخذنا نقلل بقدر الامكان من استيراد الاشياء اللازمة من المانيا لتكون القطارات متوفرة لدينا بالمقدار المطلوب . غير أن الطيارات المعادية أخذت تقذف على القطارات المحملة وابلا من المتفجرات . وعلى كل حال شرعنا في حركة النقل بكل الوسائل المتهيئة لنا

وبعد انثنائنا الى خط سييجفريد لم تعد افين ملاءمة لاستقرار المعسكر العام الاكبر فقفلنا راجعين الى سبا التي غادرناها في مارس الماضى ونحن مفعمون بالثقة وبالامل

وكان العدو يزحف مثلنا تحت كلاكل الاوصاب ، وفي بعض الاماكن لم يحدث أي تغيير في فرقه المستمرة على اصطلاء نيران الصدام غير انه لبث موالياً هجومه بمنتهى الشدة . وظهر أن جنودنا لا يزالون على دأبهم القديم أي انهم أقدر على الهجوم منهم على الدفاع . وفي أوائل سبتمبر بدأت كفة التوازن العددى من جهة الفرق ترجح في مصلحتنا كما حدث في العام الماضى لان اختصار الجبهة جعلنا نختصر في القوى الامامية ونختصر في طوابير الفرق وفي بلوكات الطوابير . وكدنا بهذه الطريقة نتفوق على العدو ويحدث تطور جديد . بيد أن التشكيلات الامريكية الحديثة أخذت ترد بكثرة مدهشة وكثر عدد الفارين من جنود جبهتنا وازداد عدد الذاهبين بالاجازة الى الداخل وعظم عـدد المتخلفين منهم عن العودة فجعلت هذه الطوارىء السيئة كفة العدو ترجح على كفتنا مرة أخرى واذ ذاك أصدر وزير الحربية أمراً بعدم قبول الوصايات الخاصة لمنح الاجازات للجنود. وكان البولشفيون قد دفعوا القسطين الاول والثاني من الغرامة الحربيـة وعقدنا اتفاقاً مع قوزاق الدون فلم نعد نخشى شراً من الجانب الشرقى فاخذنا نستقدم كل ما تيسر لنا من الشرق ، إلا أن الفرق القادمة من تلك الساحة لا تصلح لمواجهة الحالة الجارية في الميـدان الغربي لأن أغلب رجالها من الطبقات المسنة وممن لم يتدربوا على طرق القتال المبتكرة على اننا كنا مضطرين الى ايجاد جبهة قوية أمام البولشفيين والى ابقاء الالايات الثلاثة المحتشدة تحت أمرة القائد الفون درجولتز بعد دفعها الانجليزية عن فنلاندا على الشاطىء المورماني وعلى امتداد السكة الحديد المورمانية أي على أبواب بيتروغراد . واذا لم تنجح مساعى الحكومة السياسية في الوصول الى ابرام الصلح وظلت الحرب مستمرة طول الشتاء والصيف الا تيين فان

حاجتنا الى موارد او كرينيا ستصبح عظيمة جداً . وكنا لا نزال مهتمين باعداد حملتنا التي نريد ارسالها الى باكو لاجلاء الانجليز عنها . فكل هذه المشروعات الشرقية تجعل استجرارنا من القوى المخيمة في الشرق محدوداً . ولا تزال النمسا مستعدة لامدادنا بفرقة أو فرقتين في الميدان الغربي . على ان مجموع القوى التي تمكنا من حشدها الى هذه الآونة لا تراجح كفة العدو في الميزان العددي فضلا عن الحالة النفسية القوية المتشبع بها العدو وثقته التي لا توصف باحرازه النصر النهائي

ويلغ من حرج الموقف أن أصبحت القياده العليا لا تعتمد على حمل العدو على ابرام الصلح بمواصلة اعمال التدمير التي نقوم بها في باريس ولوندره بل لقد عدلت القيادة العليا بالمثل عن السماح باستعمال قنابل محرقة ذات مفعول فظيع كان قد صنع منها مقدار كاف لمحو هتين العاصمتين ورجا منا الكونت هرتلنج ان نعدل عن تدمير عاصمتي الاعداء منعاً لمقابلة عملنا بمثله والاعتداء على مدننا غير المحصنة

وأردت أن يستمر القاء القنابل على باريس ولوندره لنحوّل قوة دفاع العدو عن الجبهة العامة الى حماية عاصمتيه ولنصرف نظره عن ضعف قوة المقاومة الطارىء على جيشنا . غير اني لم اشأ أن اتناهى فى التشديد فقل اطلاق القنابل على باريس وأصبح الجو غير موافق من تلقاء نفسه لموالاة الاغارة على لوندره

وبالنظر لاشتداد الحالة في الجبهة من جراء العوامل المؤذية المنبعثة من الداخل استقدمت وزير الحرب الى أفين فى شهر أغسطس وقدمت اليه عدداً كبيراً من الضباط ليبسطوا له حقيقة الروح المؤذي السارى من الداخل الى الجبهة . وكان هذا الوزير كسائر كبار موظفي وزارته لا يصدقون هذا

القول . غير أن هذه الزيارة لم تأت بفائدة ما . وبعد أن قضيت عامين متواليين فى الاستنجاد ورفع الصوت أجابني المستشار الى انشاء إدارة خاصة بالدعوة الجوابة ومراقبة الصحف فى أغسطس ١٩١٨ الا انها لم تزد على أن تكون كسائر إدارات الحكومة الاخرى ، وباشتراك الكولونيل هايفتن في تسيير هذه الادارة التي الحقت بوزارة الخارجية تمكن من احداث بعض التأثير في الداخل . الا أن التأثير الحقيقي الناجع لم يكن منتظراً من مثل هذه الادارة الضعيفة بل من انشاء وزارة قوية لنشر الدعوة ومراقبة الصحف تعرف كيف تنهض حالة البلاد الادبية وكيف تنشر الانباء المقوية للعزائم وتقضى على دسائس الاعداء . والقى نائب المستشار خطابة بمناسبة ميلاد المستشار الا انها لم تكن موافقة لموقف جيوشنا الظافرة على مدى ٨٠ كيلو متراً من أبواب باريس ولا تتضمن حماسة كليمانصو وقوة أرادته وبعد أن انضم الكولونيل هايفتن الى المستشار الامير ماكس البادي لم يعد لتلك الادارة أي عمل محسوس .

— ٣ —

لقد سألنا ممثل الاستشارة الامبراطورية فى المعسكر العام الا كبر الكونت ليمبورج سيتروم عن موقف الجيش على أثر ارتداده الى خط سيجفريد فاجبناه في ٣ سبتمبر بان جوانبنا ومؤخراتنا لاتزال مغطاة في ايطاليا ومقدونيا الا اننا لاننتظر الحصول على الصلح بواسطة الانتصار في الميدان الغربي .

وانقطعت أنباء وزير الخارجية الفون هينتز عن القيادة العليا فلم يصل الى علمها عنه الا إنه عازم على الشخوص الى فينا للتفاوض مع الكونت

بوريان فى صدد الصلح . فطلبت من المستشار عقد مؤتمر في سبا للبحث في الحالة الاخيرة . فعقد هذا المؤتمر في يومى ٨و٩ سبتمبر الاأن المستشار الكونت هرتلينج لم يحضر لأن شيخوخته لم تمكنه من السفر فاعلمنى الفون هينتز فى هذا الاجتماع بان الكونت بوريان عازم على دعوة الدول المتحاربة جمعاء الى الشروع في مفاوضات الصلح . وقال لى انهم صرحوا له في فينا بان الجيش النمسوي لايستطيع الثبات في موقفه بعد انقضاء الشتاء . ثم ذكر لي انه شديد الرجاء في أن ينجح توسط ملكة هولاندا فى عقد الصلح ولكني لاأدرى على أى أساس تنهض شدة رجائه هذه ؟ وعلى كل حال فقد كنت أتحد معه فى وجهة النظر لان مشروع الكونت بوريان لن يحرز النجاح المرجو

وأرسل الامبراطور شارل إلى القيادة العليا الالمانية يستفسرها عن موقف الجيوش الالمانية في الميدان الغربي وعن نواياها . واذ كنا نعلم أن فينا مذاعة للاسترار بما يتسرب منها مع الفارين الى فرنسا كما أظهر هذا الامر موضوع الكتب المرسلة من الامبراطور شارل الى أمير بارم فقد اتخذنا الحذر فى ردنا ، فاقتصرنا على القول باننا سنثبت في خط سيجفريد المستحكم ونباشر المساعي السياسية الموصلة الى الصلح . ورجونا من الامبراطور عدم الشروع في مشروع الكونت بوريان لانه يغرى الاعداء بالامتناع عن التفاوض . وبما أن هذا الرد الذى وضعته انا نفسى كان الفون هينتز مطلعا عليه فقد خابر وزارة الخارجية النمسوية بان امبراطورنا سيعهد الى ملكة هولاندا السعى فى فتح مفاوضات الصلح وان جلالته يطلب الوقوف على آراء حلفائه .

وفي ١٤ سبتمبر نشرت مذكرة الكونت بوريان . فظهر أن النمسا

صممت على تنفيذ مشروعها على انفراد. ولست أدري اذا كانت قد اضطرت الى هذا العمل لاعتقادها ان مشروعنا يستغرق وقتاً أطول من اللازم، أو اذا كانت هنالك أسباب أخرى استحثت النمسا على الاسراع في طلب الصلح. وقد أرسل الامبراطور شارل الى امبراطورنا تلغرافا يفسر له فيه مذكرة الكونت بوريان بانها النتيجة المنطقية لتلغراف المعسكر العام الاكبر. ولم يسؤني عمل النمسا لانى اخالف سواسنا في أن مشروع الكونت بوريان يحول دون نجاح مشروعنا وان كنت أشعر بانه يحرجه الي حد ما. ومع ذلك فلست أدري لماذا لم تشرع حكومتنا بالفعل في توسيط ملكة هولاندا قبل ظهور المذكرة النمسوية؟ واني لا أعتقد أن الفون هينتز فاوض سفير هولاندا في هذا الصدد بصفة جدية.

ولم أكن في هذه الآونة مهتما بالسياسة العسكرية. فخاطبني الفون هينتز من برلين بان أحد البولونيين فاوضه فى ضم فيلنا الى بولونيا وفي مقابل ذلك تتعهد بولونيا لالمانيا باجابتها الى اتفاقات مهمة ولا سيما فيما يختص بالشؤون العسكرية. وقد أشار الى أن فيلنا ببقائها في حوزة ليتوانيا تظل جسما غريبا عن الدولة الليتوانية. فوافق المعسكر العام الاكبر في رده المؤرخ يوم ٣٠ أغسطس على وجهة نظر وزير الخارجية وأوضحت في الرد ضرورة ايجاد تحالف بيننا وبولونيا يربط سكك حديد المملكتين بعضهما ببعض ويضمن حركات النقل المتبادلة بيننا والروسيا من خلال البلاد البولونية. وكنت أرى من الضروري إحكام صلاتنا ببولونيا لانني قليل الثقة بهذه البلاد. وكان على الحكومة الالمانية أن تراعي وعدنا السابق بمنح الليتوانيين فيلنا فان نقض مثل هذا الوعد يمس كرامتنا. وكنت أذهب الى ضرورة ارتباط ليتوانيا بالامبراطورية الالمانية أو انضمامها الى

روسيا . فكانت هذه المذكرة مادة للقيام بحملة شديدة على في الرايخستاج ساسها اتهامي باضطراب آرائي السياسية وليس ثمت أضطراب اذا القيت نظرة دقيقة على المفاوضات القديمة والحديثة المختصة بهذه المسألة، ولست ارى من حرج اذا نفذت خطة وزارة الخارجية مادام لا ينتج عنها ضرر

وتداولنا بالمثل فى انشاء دولة بلطيقية واقامة ملك على فنلاندا وفق رغبة الفنلانديين ومركز الحكومة الرومانية المقيمة فى جامي فان هذه الحكومة صارت لعبة في أيدى سفراء الدول المتفقة ، فاخذت تشتد فى مجافاتنا . وأخذت القيادة العليا تمعن التفكير بالاتفاق مع وزير الخارجية في تجديد الحملة على رومانيا . بل لقد اعدت الجنود الشرقية المزمعة على الشخوص الى الميدان الغربي للقيام بهذه الحملة . ووعد القائد آرز بشدا زرنا اذا وافق الامبراطور شارل . فرفض هذا الامبراطور كل ضغط على رومانيا فاضطررنا الى تعطيل حركتنا العسكرية . وبقيت جنودنا على قدم الاستعداد للغرض الاول وهو الانتقال الى الميدان الغربي حتي وجهنا بها الى الصرب على أن الحكومة النمسوية لم تلبث أن اقترحت علينا القيام بتداخل عسكرى في شؤون رومانيا الاّ أن الفرصة كانت قد افلتت من أيدينا

وفى خلال هذه الحوادث الاخيرة اصيب امير البحر الفون هولتز ندورف بمرض القلب فاخلفه في رآسة أركان حرب البحرية أمير البحر شيير وهو رجل ذو آراء في منتهى الصواب وذو عزم ماض . فكثر اختلاطى به فى سبا بقدر ما كانت تسمح أعمالى للتحدث في التوفيق بين حركات الجبهة الغربية وأعمال الغواصات ومن رأيه امكان التوسع في صنع الغواصات ليتضاعف مفعولها ، فطلب منى ان أسمح لهُ بالعمال اللازمين لصنع الغواصات ، غير أن الحالة اذ ذاك لم تكن تسمح بتسريح أحد من

الجيش ، وافهمته اني لاستطيع أن أرسل اليه سوى المهندسين الصناعيين والعمال الفنيين وعددهم محصور . ودامت هذه المداولات الى ٦ اكتوبر اذ تناهي حرج الحالة ، ومع ذلك فقد ارسلت اليــه هؤلاء الرجال ، وما ذلك إلا لان القيادة العليا لا يسعها ان تلقي بحسامها الى الارض وهي لم تصر بعد عزلاء. وما دمنا في طور الحرب فلا مناص لنا من موالاة التسلح . وعلى الرغم من وصولنا الى نقطة الخطر الاعظم لم تهن عزيمتي بل صممت على متابعة التأهب لاننا كلما لبثنا اقوياء كان الامل اعظم في حصولنا على شروط أحسن في مفاوضات الصلح

واحدثت تغييراً في هيأة اركان حربي . فاتخــذت لي من شخص الكولونيل هاي خــير مساعد واسع التجارب بمقتضى تقدمه في السن . واسندت الى ادارته شعباً عديدة كنت أتولى الاشراف على ادارتها مباشرة فشرع يتلقى التقارير المقدمة منها ولم اجعل لي دخــلا فيها الا للفصل في جسام الامور . وان ما حملتنيه هذه الحرب من آلامها وأهوالها لاعظم من أن ينهض به انسان بمفرده. لقد دعيت الى المعسكر العام الا كبر لا لابرام الصلح بل لاحراز النصر الذي لم أفكر في سواه . ولقد حاولت أن أكون ككليمانصو ولويد جورج فاسلح الشعب بأسره بيد اني لم اكن كما عزي الي بلا حق مسيطراً . وكلا الرجلين على رأس مجلس أمة ينصت اليه وهو آخذ بأزمة بلاده ، أما أنا فليس لي بمقتضى الدستور السلطة التي تمكنني من تنفيذ كل ما تمس اليه حاجة الحرب وقلما أجد لدى اولياء الامور من الاستعداد ومضاء العزيمة ما يجعلهم يجيبونني الى المطالب التي لا غنى عنها. وبما أن الوصول الى ابرام الصلح امسى مستحيلا فلم يبق سوى موالاة القتال الى أن نجد لنا مخلصا من هذا المأزق الحرج . ولـكني أرى الآن

استحالة هذا الامر بالمثل وابصر المصاب الذى مهمة حياتي منحصرة في صرفه عن وطننا مقبلا اليه

— ٤ —

وفي خلال هذه الحوادث التي تتالت في سبا كانت مجموعات جيوش الوريث روبرخت والفون بوهن ووريث المانيا قد اتمت حركات ارتدادها من كمل ومن سهل اللاين الى خط سيجفريد الممتد خلف القناة الجارية بين أرليكس وموفر والى الفيل . ولم تنهض عراقيل في الطريق بل انتهت الحركات فى ٧ سبتمبر بوصول الجيش الثامن عشر الذى كان لابد له من قطع مسافات طويله . وكان العدو يتعقبنا ويناجزنا في وقائع متفرقة اهمها ما حدث بين الموفر وهولتون . ومع تناهى هذه الوقائع في الشدة فقد ثبتت الجبهة ما عدا الجيش الثاني الذى ظهرت عليه علائم الضعف بوضوح وادت وثبات العدو المتناهية في الشدة يومى ١٨ و ١٩ سبتمبر الى انطراح الجناح الايسر من الجيش الثاني الى مقربة من القناة الموصلة بين الواز والايسكو في شمال سان كنتان ببضعه كيلو مترات ، فاضطر الجيش الثامن ان يسترد الى الخلف اقصى جناحه الايمن . ولم يحدث أمر آخر سوي توالى الوقائع المحلية الى يوم ٢٦ . ومد الفرنسويون هجماتهم في اتجاه سان كنتان فالمت فى هذه الايام العسراء افدح الخسائر بجنودنا

وفى منتصف الشهر انضم الجيش التاسع الى مجموعة الوريث الالماني فلم تنقطع الوقائع الحامية عن هذا الجيش وعن الجناح الايمن من الجيش السابع . وكانت هذه المجموعة تستكمل اعدادها كلما فدحت خسائرها ..

وحدثت ازمات هائلة على جانبي ريمس كما حدثت مثلها في ٢٢ على جانبي الارجون

وعملنا على تشييد استحكامات جديدة خلف مراكز الجيوش الحالية — واستمرت حركات النقل بلا انقطاع وكثيراً ما تركت مخازن باسرها وشرد حفظتها ، وهذا الشرود هو الذي تدفع المانيا اليوم ثمنه باهظا . ولقد أصابت طيارات العدو أعمال نقلنا وتراجعنا في بعض الاماكن إصابات مؤلمة

ولم تكد حركات الجلاء تشتد حتي كان العدو قد هاجمنا يوم ١٢ سبتمبر من ريمت وموزيل وشفع هذا الهجوم بوثبة اضافية على الزاوية الشمالية من النتوء الممتد على هضاب كومبر . واخترق العدو فى الجهتين قوانا . فشطر فرقة بروسية كانت ترابط في الجنوب . ولم تدفعه الفرقة النمسوية التي ترابط في الهضاب مع انها كانت تستطيع أن تصد العدو . ولقد أرسلت الى هيأة اركان حرب الجيش المشرف على هتين الجهتين بلاغا ينبيء بالشروع في اخلاء البارزة بنجاح فبنيت بلاغ المعسكر العام الاكبر عليه ، وكان بلاغ هيأة أركان الحرب المذكورة قد وصل صباحاً والعادة أن يصدر المعسكر العام الاكبر بلاغين عن سائر حوادث الميدان أحدهما مساء وهذا يكون موجزاً والآخر صباحاً وهذا يكون مفصلا وقد اعتدت أن أتوخى الحقيقة فى هذين البلاغين ، فما جاء في بلاغ الصباح انما بني على المعلومات الواصلة قبل شروع العدو فى الهجوم على الجهتين المذكورتين. فلما ظهرت المعلومات الوافية اتهمت باخفاء الحقائق وهذا أمر كان يأباه ضميري ، ولا سيما اذا علم اننا ننشر هذه البلاغات ليرى الضابط وضابط الصف والجندي اسمه او اسم وحدته منشوراً على الملأ مقروناً بالاعجاب والاطراء فيفتخر وينشرح صدره ويزداد شجاعة واقداما

ولاعتيادانا على نشر بلاغاتنا مقرونة بالحقائق استحسنت نشر بلاغات العدو لاعتقادى انها مماثلة لبلاغاتنا غير أن العدو كان يتخذ من بلاغاته مادة لنشر دعوته فلما تيقنت من هذا الامر هممت بمنع نشر بلاغاته الاّ انني رأيت ان السهم قد نفذ وان الامتناع عن نشرها يحمل على محمل سيء جداً. اما العدو فكان احزم منا اذ لم ينشر بلاغاتنا مع انها لم تتضمن أية دعوه. واعتادت شركة وولف التلغرافية على أن تنشر بلاغاتنا في البلاد المحايدة مشفوعة ببعض الشروح والتعليقات التي تكتب فى برلين بغير اطلاعنا واذ علمت ان هذه الزيادات كثيراً ما تتضمن آراء لا تنطبق على الحقيقة أو تخالف آراء المعسكر العام الاكبر ومصلحة الجيش حلت دون نشرها

وكنا لا نهتم بنشر شيء عن الاراضي المنزوعة منا الا اذا كانت تستحق الذكر وكذلك الوقائع والمناوشات الصغيرة لم نكن نعيرها جانب العناية

وتمكنا من الجلاء عن النتوء الممتد في سهل ووفر على الرغم من الخسائر المؤلمة التي تكبدناها مرتدين الى خط سان ميشيل. نخفت وطأة القتال في هذه الجبهة منذ ١٣ . ومن يوم ٢٢ تغير المنظر امام مجموعة الفون جالفيتز فقل احتمال موالاة الهجوم عليها وصار من المتوقع نشوب القتال على جانبي الارجون

كانت جبهتنا الغربية ثابتة وان اجهدها القتال وقلت رجال وحداتها، والجبهة النمسوية ثابتة بالمثل ولا يوجد أى دليل على شروع الايطاليين في الهجوم، واذا بحوادث بلغاريا تفاجئنا فتحمل القيادة العليا على اصدار قرارات خطيرة

زحفت جيوش الاتفاق في ١٥ سبتمبر فى الساحة المقدونية على الجانب الشرقى من نهر الفاردار، وعلى الجبال الناهضة بين الفاردار والسيرنا

وبقوى أقل من الاولى على موناستير فاخفق زحفها على هذين الجناحين . ولكن زحف هذه الجيوش نجح في الوسط أي في المنطقة الحافلة بالعراقيل ولم تبد الجنود البلغارية ادنى مقاومة وهي مؤلفة من الفرقتين الثانية والثالثة فتقدم الاتفاقيون بسرعة في بقاع غاصة بالاكام المساعدة على القيام باعظم دفاع . وحاول القائد شولتز ان يستوقف الفرقتين المذكورتين في خط الاستحكام الثاني ويعضدها بثلاث فرق احتياطية المانيـة غير أن الجنود البلغارية استمرت على التقهقر الى ما وراء السـيرنا والفاردار ولم تقاتل العساكر البلغارية المندمجة في الفرق الاحتياطية الالمانية . وحينئذ صار من المتعذر على الجنود الالمانيين الذين انجدتهم بعض الطوابير الواصلة حديثاً من رومانيا ان تسد الثغرة التي اتسعت وتجوزت . وكذلك اخفقت كل المحاولات الاخرى التي أريد بها تلافي الخطر لان الجيش البلغارى قفل راجعاً الى بلاده ما عدا البلغاريين الذين كانوا تحت قيادة الالمانيين مباشرة بين بحيرة بريسبا ونهر السيرنا الذين انتهجوا في الاول مسلكا حميداً

وفي ١٦ أو ١٧ سبتمبر ارسل القائد لوخوف رئيس الجنود المرابطة على الستروما اشارة تلغرافية الى ملك بلغاريا يذكر له فيها انه اضطر الى عقد هدنة

وبعد مضى أيام قلائل على ١٥ سبتمبر وصل الى يدى تقرير سرى آت من هيأة أركان الحرب الفرنسوية يستخلص منه بوضوح ان الفرنسويين لم يكونوا يتوقعون قيـام الجيش البلغاري بأية مقاومة . فدعوة الاتفاق ونقوده وممثل الولايات المتحدة الذى اجيز له البقاء في صوفيا قد فعلت مفعولها المنتظر منها . وربما كان للمبادىء البولشفية المتسربة الى بلغاريا تأثير غير مباشر في هذا التطور الذى لم يتفطن اليه ملك بلغاريا وممثلنا في

صوفيا . وكان القائد جيكوف مشتركا فى كل هذه الاعمال لانه قبل نشوب المعركة التي كان يترقب نشوبها بالتأكيد بايام قلائل سافر الى فينا لمداواة اذنه علي ما اذكر . وكل ما يزعمه البلغاريون الآن من انهم انبأوني بتأليفه مجالس جنود لا صحة له بل المقصدمنه طمث معالم الحقيقة. ولا صحة بالمثل لما يقال من اننا اخللنا باتفاقنا القاضي بابقاء ست فرق المانيه في الجبهة البلغارية اذهذه الفرق كانت مرسلة لاجل الحملة الصربية فقط. والجيش اليوناني لايعبأ به لانه غير تام التدريب وهو لا يميل الى الاتفاقيين . وكان الجيش البلغاري قدأصاب نصيباً وافراً من الراحة . وكل ما كانت تتجه اليه ظنوننا هو امكان ارتداد الجيش البلغاري أما انحلاله فلم يخطر لنا على بال . فالاشاعة التي كانت تتداولها الالسنة فى بلغاريا من قبل بان الجيش البلغاري لن يقاتل الا الى ١٥ سبتمبر قد تحققت ، ولكن المعسكر العام الاكبر الالماني لم يكن في وسعه أن ينزل كل صيحة مرتفعة منزلة الحقيقة الواقعة . ومن جهة أخرى فان المانيا لم يكن فى استطاعتها أن تنشىء لها جبهة أخرى في مقدونيا بجيش الماني بحت يحل محل الجيش البلغارى مع استمرارها على مقاومة جيوش الاتفاق الهائلة في الساحة الغربية . فالاسباب الحقيقية في تداعى اركان بلغاريا ضعف أرادة الحكومة البلغارية، وإهمالها تقوية الحالة النفسية لدى الشعب والجيش البلغاريين ، وتركها الدسائس المختلفة تعبث في انحاء بلادها ولاموال الاتفاق المفعول الاكبر في هذه الكارثة .

ولم يعد أحد يشك فى خطارة الموقف التي أنتجها تداعي الجبهة البلغارية وكذلك أصبحت تركيا تنوء تحت عبء ثقيل الوطأة لان جبهتها الفلسطينية قد تداعت بالمثل . ومع أن القوة الالمانية التي كانت تساند العثمانيين على شاطىء الاردن قامت بواجبها خير قيام الا أن قلتها لم تمكنها

من احداث التأثير الناجع على توالى الايام . فاكتسح الانجليز بسرعة دفاعا في الشمال على امتداد سكة حديد دمشق وعلى امتداد الساحل . ومما لا شك فيه ان هذه الكارثة لاتهدد الاستانة الا انها جعلت صلابة الدفاع لدى الاتراك أقل مما كانت عليه . ومع اعتقادنا فى وفاء أنور وطلعت فاننا لم نكن على ثقة من موقف الدولة العثمانية ازاء الاتفاق . غير أن الاتفاق أصبح في وسعه أن يستجر قسما كبيراً من جنوده المحتشدة في فلسطين وان يزحف من نهر الماريتزا على الاستانة التى لم تكن حاصلة على قوى الدفاع اللازم لها من جهة بلغاريا . واذا كان في وسعنا استقدام نجدات من القوقاز بل من أوكرينيا بالمثل فان وسائل نقلنا في البحر الاسود لم تكن كافية للاسراع فى نقل الجنود . وقد وصلت بالفعل بعض طوابير من أوكرينيا الا انها لاتدفع الخطر المنتظر ، وماذا عسانا نتتفع من تأجيل سقوط الاستانة الى نوفمبر أو ديسمبر مادام هذا السقوط سيمكن اسطول الاتفاق من الاتصال برومانيا عن طريق البحر الاسود ومادامت جنوده تستطيع الوصول الى الدانوب عن طريق بلغاريا . أما حيدة رومانيا فما لايعتمد عليه لان عودة القتال بيننا وبينها كانت منتظرة من وقت الى آخر

ومن الواضح ان الاتفاق سيخترق صربيا وهنغاريا ليصل الى النمسا ويضربها الضربة الاخيرة . وبما أن جبهتنا البلقانية تزعزعت فقد أخذنا نفكر في تثبيتها بكل الطرق المتيسرة لنا قبل أن يتمكن الاتفاق من القضاء على النمسا فانتزعنا من الجبهة الغربية نحو سبع فرق وثلاث فرق من الجبهة الشرقية كانت سائرة في طريقها الى الغرب . واستقدمنا كل ما اتيح لنا استقدامه من القوقاز واكرينيا وكذلك النمسا أرسلت بضع فرق الى الصرب ووجهت بالفرقتين اللتين كان القائد آرز عازما على امدادنا بهما الى الجبهة المقدونية

ولكن وسائل النقل لم يكن في استطاعتها أن تنقل كل هذه القوى من أماكنها المتفرقة ويتم احتشادها في مقدونيا قبل منتصف اكتوبر . وفي هذه الاثناء علمنا ان لاأمل لنا البتة في الاعتماد على البقية المتخلفة من الجيش البلغاري لان بلغاريا أمضت عقد الهدنة فأصبح الجيش البلغاري باسره في قبضة الاتفاق . وأرادت القوة الالمانية التي كانت ممتزجة بالجيش البلغارى أن تتراجع الى صوفيا لتحمي حكومتها فاخذت تقاتل وهي منثنية بانتظام نحو صوفيا . غير أن التقلبات كانت سريعة في بلغاريا فقد تنازل الملك فرديناند وغادر البلاد والقت الحكومة البلغارية الحديثة نفسها بين ذراعي الاتفاق فلم يسع الفرقة الالمانية المخيمة فى صوفيا الا الارتحال بسرعة الي نيش وكذلك القوات الاخرى الالمانية حولت وجهتها الى الصرب . وأصبحت جبهتنا في الصرب مرتبطة المصير بمقدار ماتبديه العساكر النمسوية من الاقدام والثبات .

وصار من المشكوك فيه اقتدارنا على حماية جنب النمسا وجبهتنا الغربية بدفاعنا فى الصرب وفى رومانيا مع حصولنا على البترول الرومانى كما صار من المتوقع وثوب الايطاليين ولا ندري ماسيكون من أمر الجيش النمسوى فى تلك الجبهة

فلم يبق عليّ امام هذا الحرج المتناهى الا أن استحث الحكومة على انهاء الحرب بالطرق السياسية . وبما انى لم أعلم شيئاً عما تم فى ماعزمت عليه الحكومة من توسيط ملكة هولاندا ، وقد أظهرت نتيجة مشروع بوريان وهو استمرار العدو على رغبته فى محونا فلم يسعني الا أن أرجو من الوزير هينتز يوم ٢٦ سبتمبر الحضور الى سبا

— ٥ —

كانت الحوادث الداخلية فى هذا العهد قد تفاقمت من جراء تنازع الاحزاب الالمانية على السلطة. وكانت هجمات النائب أرزبيرجر فى الرايخستاج على الكونت هرتلينج مثار العاصفة ومظهر الصراع السياسي ولم يأبه أحد بنصائح الامبراطور التى فاه بها فى ١٤ أغسطس داعياً الى إزالة الاختلاف والشقاق وأدارة الشؤون العامة بالاتحاد التام وباشتراك جميع الهيآت. ولم أكن أعلم حينئذ حقيقة الحوادث الجارية فى الداخل ولا كنت أتصور انها بلغت من الحرج أشده. وأخطرني الوزير هينتز انه سيقدم الينا فى ٢٩ سبتمبر. وأرسل الكونت ليمبورج ستيروم الى المستشار يستقدمه ولم يكن لي دخل فى هذا الاستقدام وان كنت قد تلقيته بمزيد الارتياح.

وفي خلال هذه المدة تجددت الوقائع الحادة على الجبهة فوثب الاتفاق في شرق ايبر وفي ميـدان الفلاندر السابق واخرجنا في كل مكان من استحكاماتنا الاماميـة وفي بعض الجهات أخرجنا من مواقع المدفعية. فاضطررنا الي سحب الجيش الى موقع خلفي

وفي ٢٨ هجم علينا في اتجاه كمبريه واستولى على أرض فيما يلي القناة على الرغم من اتخاذنا كل سائر وسائل الدفاع الفانونية في هـذه الجهة. وبقيت الجبهة ثابتة في انحدارها نحو الجنوب الى الفيل

وابتدأت معركة عظيمة يوم ٢٦ فى شمبانيا على ضفة الموز اليسرى وقد حمل فيها علينا الفرنسويون والامريكيون. وبقينا متغلبين على ناصية الحالة فى غرب الارجون ودافعنا دفاعاً باهراً. واخترق الامريكيون جبهتنا بين الارجون والموز غير اننا تلافينا هـذه الصدمة وفى يوم ٢٧ صرنا

منتصرين بوجه عام . وفى ٤٨ استرددنا خطوطنا ما خلا بعض التعديلات التي ادخلناها نحن على جبهتنا بمقتضى خططنا

ودخلنا مرة أخرى فى صراع هائل شغل سائر امتداد الجبهة الغربية. ففى ٢٩ سبتمبر والايام التالية حدثت وقائع أخرى شديدة أدت الى تحرج الحالة كالمعتاد فى أثناء اشتداد وطأة المعارك . وحينئذ بدأت تتوارد على مخليتي الخواطر المتعددة . فاخذت اتساءل اذا كانت النمسا وتركيا تشرعان فى مفاوضات صلح منفردة أو تتكلمان باسم مجموع التحالف ؟ واذا كان من الممكن أن تنفض الحكومة عنها غبار الخمول وتبذل مساعى صادقة للحصول على مفاوضات الصلح ؟ أو اذا كان من الممكن أن تطلب القيادة العليا من العدو عقد الهدنة والتقدم الى مفاوضات الصلح ما دامت نتيجة الحرب غير واضحة وسفك الدماء بلا فائدة لا مبرر له ؟ وكنت أرى أن مقاصد كليمانصو ولويد جورج عدائية لنا ولكن ويلسن قد حدد شروطه الاربعة عشر التي جعلها أساساً لابرام الصلح ، ومع انها قاسية إلاّ أنها واضحة ومعينة فمن الممكن اتخاذها قاعدة للمفاوضات . وبما أن دخول أمريكا فى الصراع القائم بيننا والاتفاق هو الذى أدخل الحرب فى طور جديد ولولاه لكان الاتفاق قد هزم من مدة طويلة فمن الممكن أن يقبل الاتفاق شروطه الاربعة عشر ولكن اذا رأينا اننا كنا نسبح في لجة الوهم وان العدو يأبى الآن بجذب القوس الى أن لا يبقى فيه منزع ، واذا أبي رؤساء العدو العسكريون أن يقدروا شجاعتنا فى القتال حق قدرها فثمت يجب علينا الذهاب في الصراع الى النهاية القصوى كيفما بلغ شأنه من الفداحة ، وربما يتيسر حينئذ حمل الحكومة والشعب الى التدرع بعزائم البطولة حينما يريان ما تتعرض له المانيا من الاخطار الجسام فى هذا الصراع . وهذه الفكرة

الاخيرة هي التي جعلتني لاأستسلم الى اليأس . فاذا ما اتحد الشعب والجيش والحكومة وارتفع صوت واحد فى وجه العدو المعنت فهنالك نعرف كيف نخاطب العدو بطريقة تلائم غطرسته . وليس في هذه الفكرة شيء من قصر النظر . لقد تألمت فرنسا والصرب ورومانيا أكثر مما تألمنا نحن ومع ذلك فقد لبثن مثابرات على الكفاح . فاذا مااقتربت الحرب من حدودنا فان كافة رجالنا لايشعرون الا بعاطفة واحدة وهي التضامن في الدفاع عما هو عزيز عليهم ، وما نسميه جميعا وطننا ، لانهم عرفوا كيف يكون مسرح الحرب وما هي ساحات المعارك بل ماهي قطاعات المراحل ، وعن لى ان الحرب اذا ماهددت ثرى المانيا فان شعبنا البالغ سبعين مليوناً من النفوس يتحد حتى ليصبح كانسان واحد وينمي طائلة قوته الهائلة الحاضرة طوع أرادته فى كل آونة . وهل تستطيع فرنسا التي أهريق كل دمها أن توالي الصدام مدة طويلة أخرى بعد الجلاء عن أرضها ؟ هذه مسألة تحتاج الى انعام التفكير . وكيفما كان الامر فان الموقف لم يصل من الحرج الى الحد الذى يبرر التسليم والقاء السلاح امام الشعب وامام أبنائنا . ولكن على كل حال يجب التمشي في طريق الصلح اذا ماتيسر السير في هذه الطريق

ان المنازعات الداخلية المتوالية هي التى حملتني على هذا الرأى وشعرت بان واجبي يفرض علي العمل بمقتضى وجداني الخاص المخالف لالفاظ اولئك الذين هم أقل مني اطلاعا على حقيقة الحالة الحربية . وفي كل هذه الحرب لم أعمل الا بما يوحيه الى ضميري وأنا متحمل تبعة كل ماأعمله . وإني لأعلم بما سيصيبنى من ضروب الوشايات والتهم كما حدث لي من قبل وبما سيلقى على عاتقي من تبعة الارزاء والنوائب التي ستتبع هذا العمل . الآن ماساغص به من حرارة الانحاء باللائمة علي لم يصرفني عن المضي في عزمتي

وفي الساعة الثامنة عشرة من يوم ٢٨ سبتمبر أممت مكتب الفيلد مارشال وعرضت عليه ما ارتأيته من عرض الهدنة والصلح على العدو ، فان حوادث البلقان ستزيد الخطب تفاقماً ولو ثبتنا في الساحة الغربية . فامامنا الآن واجب لا نتحول عنه : وهو العمل بلا تردد وبجلاء ومضاء غريمه . فأصغى الى الفيلد مارشال بتأثر وأجابني بانه كان عازما على أن يقول لي في هذا المساء نفسه ماعجلت أنا بالافضاء به اليه وانه أنعم التفكير في الحالة الحاضرة وانه يرى هذا المسعى أمراً محتما . واتفقنا بالمثل على شروط الهدنة. فكان أولها اخلاء الاراضي المحتلة في الجانب الغربي بنظام وترتيب يسمحان لنا بمعاودة القتال على تخومنا اذا دعت اليه مقتضيات الاحوال . ولم نفكر في التخلي عن الجبهة التي نحتلها في الجانب الشرقي . وكنت أرى ان الاتفاق يعترف بالخطر الذى يهدده هو بالمثل من جانب البولشفية .

وافترقنا بعد أن تصافحنا بثقة كرجلين قافلين من تشييع شخوص أعزاء عليهما الى المستقر الاخير وهما يريدان أن يظلا متحدين في أيام المحنة اتحادهما في إبان السعادة . لقد ارتبطنا بعضنا ببعض في أعظم انتصارات خطت في صحيفة هذه الحرب العالمية وها نحن أولاء لا نزال حتي اليوم على أتم وئام . ومن واجبنا أن نوقع هذا المسعى الذي بذلنا جهد طاقتنا في اتقائه بطابع أسمينا .

— ٦ —

اتفقنا على قاعدة التداول مع وزير الخارجية الفيلد مارشال وأنا في الحادثة التي دارت بيننا يوم ٢٨ . وفي ٢٩ حضر الفون هينتز فلم يهتم بالمسائل الخارجية بل وجه عنايته الى المشاكل الداخلية فافهمنا ان الحالة في منتهى

الخطر في الداخل وان نظام الحكومة عرضه للتبدل وان الـكونت هرتلنج وشيك السقوط من مركزه وانه هو نفسه مزعزع بالمثل وان نيران الثورة تكاد تشتعل . فلم أبد أدنى اعتراض لاني لم أكن ملماً بالحالة الجارية في برلين. غير ان الحالة العامة كانت على كل حال تقتضي البت في الأمر كيفما كان شكل الحكومة التي ستتولى أزمة الاحكام وكيفما كان شأن التطور الذي سيحدث فمن الواجب أن نبسط خطتنا للحكومة الجديدة كما بسطناها من قبل للحكومة القديمة وعلينا أن نصل مساعينا باعتبار ان الحكومة هيأة واحدة لاتتبدل وعلى هذا الاعتبار أخذت الفت نظر الفون هبنتز الى ضرورة الاهتمام بمجموع كياننا . وبعد أن بسطناله الفيلد مارشال وانا موافقتنا فى سائر الميادين المختلفة أطلعناه على ماصحت عليه عزيمتنا من عرض الهدنة والصلح على خصومنا . فاستصوب وزير الخارجية عرض هذا المسعى على الرئيس ويلسن مادامت شروطه الاربعة عشر هى مدار التفاوض ولأن هذا الرئيس يميل بجوانحه الى مثل هذا المشروع وان سفير الولايات المتحدة في سويسرا قد صرح بهذا الامر. فوافقنا على رأي وزير الخارجية وإن كان سيتقاضى وقتا طويلا وارتاينا اختصارا للوقت أن نرسل الى دول الاتفاق صوراً من المذكرة المرسلة الى الرئيس ويلسن في هذا الصدد لتكون الافكار فى كل مكان مستعدة للعمل السريع .

وبعد الانتهاء من هذه الجلسه ذهبنا الى جلالة الامبراطور الذى كان قد جاء من كاسل الى سبا . فشرح وزير الخارجية لجلالته الحالة الداخلية كما بسطها لنا وختم مقاله بذكر المسعى المراد القيام به لدى الرئيس ويلسن لابرام الهدنة والصلح . وحينئذ اخذ الفيلد مارشال يصف الحالة العسكرية في سائر الميادين وصفا دقيقاً لم يسعني سوى ان اوافق عليه بالفاظ

وجيزه . فاظهر الامبراطور رباطة جأش فوق العادة واعرب عن موافقته على القيام بمسعى لدى الرئيس ويلسن. واصدر وزير الخارجية فى الأصيل مرسوماً امبراطوريا مستهلا بالديباجة البرلمانية المعتادة في المانيا وسلمه الى المستشار الذى كان قد حضر بباعث من هـذه الشؤون الهامه . الاّ ان المستشار رأي استحالة تنفيذة هذا المشروع فاستقال . وحينئـذ طفقوا يبحثون في برلين عن مستشار برلماني جديد . وان هذا لحادث غريب فقد انكف التاج عن التداخل فى ترشيح المستشار .

ووجهت القيادة العليا الى برلين بالقومندان البارون فون دم بوسش يوم ٢٩ ليقدم للرا يخستاج المعلومات اللازمة عن الحالة العسكرية اذا رأت الحكومة مساس الحاجة الى ذلك . ورجوت من الفيلدمارشال ان يصحب الامبراطور يوم ٣٠ في ذهابه الى برلين ليمثل هنا لك القيادة العليـا في شخصه لان الحالة الحربية كانت لسوء الحظ تقضى ببقائى في سبا . وفي مساء اول اكتوبر تحادث البارون بوسش مع المستشار الجديد الأمير ماكس البادى بايجاز عن موقفنا الحربى.

وفى الساعة التاسعة صباحاً من يوم ٢ اكتوبر قدم نائب المستشار القومندان بوسش لمجتمع رؤساء الاحزاب في الرايخستاج . وبما ان هذا الضابط خبير بآرائى ومقاصدى فقد دونها كتابة قبـل ان يبسط بيانه الايجابي . فوصف الموقف فى البلقان كما صار بعد سقوط بلغاريا ووصف حالة الجبهة الغربية بطريقة تدعو الى الثقة وأطرى الجنود ثم شكا من قلة القوى الاحتياطية التي بلغت درجة موجبة القلق مبينا اننا اصبحنـا لانستطيع ان نسد ابواب النقص فقد بلغ عدد كل طابور ٢٤٠ جنديا ولم يتهيأ ابلاغه هذا العدد الا بحل ٢٢ فرقة أى ٦٦ الايامن المشاة. واظهر

ان حالة النجدات النفسيه سيئه . ثم ختم تقريره بما يأتي :

« وفي استطاعتنا أن نثابر على الكفاح مدة من الزمن نكبد في خلالها خصومنا خسائر باهظة تاركين خلفنا بلاد ابلاقع الا اننا لا نقوى على كسب الحرب

« فدعت الحقيقة والحوادث الجارية القائد الفيلد مارشال والقائد لودندورف الى ان يعرضا على صاحب الجلالة وضع حد للقتال توفيراً على الشعب الالماني وعلى حلفائه في الضحايا الاخرى ،

« وكما اننا وقفنا هجومنا العظيم الذي ابتدأ يوم ١٥ يوليه على أثر ما لاحظناه من عدم تناسب الارباح مع الخسائر الناجمة عن استمرار الوثوب كذلك يجب الآن تقرير الكف عن حرب لا تدل شواهدها على احراز الظفر . لقد أزفت الساعة . فان الجيش الالماني لا يزال قادراً على صد العدو عدة اشهر أخرى وعلى احراز انتصارات محلية وحمل العدو على تقديم ضحايا جديدة . إلاّ أن كل يوم يمضي في مثل هذا الصراع يدني العدو من مأربه ويجعله أقل استعداداً للاتفاق معنا على ابرام صلح يمكننا تحمل وطأته

« وعلى هذا فلا فائدة من اضاعة الوقت سدى لأن الحالة تزداد كل يوم سوءا وتتيح للخصم الفرصة التي تمكنه من تبين ضعفنا الحاضر بوضوح تام

« وان سوآيات العواقب لتنجم عن شروط الصلح وعن الحالة العسكرية

« فالواجب على الجيش وعلى داخل البلاد أن لا يظهرا أقل ضعف . بل يجب في نفس الوقت الذي نقترح فيه على الخصم ابرام الصلح ان تنهض في داخل بلادنا جبهة داخلية شديدة التماسك تظهر صحة عزمنا على موالاة

الصدام اذا ما رفض العدو قبول الصلح أواذا لم يمنحنا سوى صلح مذل

« فاذا حدث هذا الامر فان ثبات الجيش في المقاومه يتوقف على ما تبديه البلاد من الشجاعة وعلى الروح الذى يسرى من الداخل الى الجنود فينبث بين عواطفهم . »

ولم يقتصر البارون فون دم بوسش في تقريره على ايضاح برنامجي للرايخستاج بل لقد اوضحه واعرب عن آرائي للحكومة الجديدة التي تألفت من صفوف الرايخستاج . فالجندي الذى لبث اربع سنوات يخوض غمار الكفاح الهائلة بوسائل غير كافية أصبح اليوم عرضة لاعظم الاخطار

لقد قضيت عامين وأنا اجاهد أشد الجهاد في سبيل استئصال شأفة الانقسام والضعف المستوليين على داخل البلاد ، وفي سبيل امداد الجيش بالقوى الاحتياطية اللازمة . وطالما خاطبت المستشارين كلا فى دوره لحشد كل الرجال واستخدام من تتوفر فيها القدرة على العمل من النساء وطلبت منهم جميعاً ان يطلعوا نواب الشعب الالمانى على حقائق الامور الجارية ، ولكن كل هذا الجهاد الطويل الشاق لم يتكلل بالنجاح لان الرايخستاج لم يقف على الحقائق والمستشارين لم يبسطوا له الامور على علاتها ولم يستمدوه يد المعونة لانهاض حالة الشعب الادبية ، بل لم يطلع هذا المجلس على حقيقة موقفنا العسكري بعد ٨ اغسطس وافكارى فى صدد الصلح . ولو احدث نواب البلاد تأثيراً في نفوس الشعب بعد وقوفهم على الحقائق الناصعة لامكن تعقب المختبئين من المجندين والآبقين من الجيش ولتضامنت اجزاء الجيش ولما انسقنا الى هذه الكارثة التي نحن الآن مدفوعون بشدة اليها .

ولقد دهشت عند ماأعلمني القومندان البارون فون دم بوسش بما

احدثه بيانه في نفوس النواب من التاثر الشديد الذى دل على انهم لم يكونوا يتصورون الحاله على ماوصفها لهم . واذا كان النواب لم يجيبوا اذ ذاك بما يدل على استعداد للقيام بما يرجى منهم فما ذلك على ما اظن الا لشدة ماعراهم من الغم والذهول .

ولكن الأمر الذى يدعو الى الاهتمام والقلق هو ان هذه الحقائق كلها انتشرت على السنة الشعب فى اليوم التالى ، والذنب في هذا الخرق يرجع الى الحكومة التي لم تنبه القومندان بوسش الى وجود رجل بولونى بين النواب . فهو الذى اسرع باذاعة هذه الاسرار التى كان من الواجب ابقائها في حيز الكتمان حتى لايصل العدو بواسطتها الى اكتناه حقيقة حالتنا .

واذ كنت أرى من وجهة الانسانية ان لاداعى لاراقة الدماء الذكية سدى اذا توصلنا الى الصلح فقد صرت قلقا لتأخر تاليف الحكومة الجديدة التي يجب ان تبادر بارسال مذكرة المشروع الصلحي في الحال . واخذت احادث ممثلي الاستشارة ووزارة الخارجية ومن حولي من الضباط بالمثل عن آرائى الخاصة ذاكراً لهم ان الجيش يستطيع ان يقاوم عدة اسابيع اخري الا انه اذا وصل الى درجة الحرج النهائية فقد يضطر الى ابرام الهدنة في بحر اربع وعشرين ساعة اذا لم يحصل من الداخل على المادة التي تمكنه من مواصلة الصراع . هذا ماأفضيت به اذ ذاك لاماذهب اليه البعض من انني قلت : « يجب ابرام الهدنة فى بحر اربع وعشرين ساعة والاّ تداعت اركان الجبهة . » فان المدة المنقضية بين يوم ٢٩ سبتمبر الذى زودت فيه البارون فون دم بوسش بمادة مذكرته وبين يوم ٢ اكتوبر الذى عرض فيه هذه المذكرة على اعضاء الرايخستاج لم تشتمل

على حوادث خطيرة تستوجب التحول عن الرأي بمثل هذا الاختلاف العظيم .

ولقد رجوت من الفون هينتز أن يحتفظ بوزارة الخارجية اذا قبل المستشار الجديد لتظل وحدة العمل فى سياق واحد ولكن الامر جاء على غير ماأرجو . وكنت أحسب بيان القومندان بوسش سيلطف الحالة الداخلية ويصرف رؤساء الاحزاب عن المنازعات السياسية الى انهاض الحالة النفسية الداخلية ، بيد أن هؤلاء النواب لشدة تأثرهم فهموا هذا البيان على غير المقصود منه وكذلك فعلت الحكومة الجديدة التى لم تكن واقفة على مجري الامور فازدادت الحالة تفاقماً في الداخل

وفي ٣ اكتوبر التأمت أولى جلسات الوزارة الجديدة وحضرها الفيلد مارشال بصفته ممثلا للمعسكر العام الاكبر ، وتكلم باللهجة التى خاطبنا بها الوزير هينتز يوم ٢٩ سبتمبر . وسلم للمستشار مذكرة تتضمن فكر القيادة العليا وقد اطلعت عليها من قبل واستحسنت عباراتها . وهذا نصها :

« لا تزال القيادة العليا متمسكة بالطلب الذى عرضته في ٢٩ سبتمبر بشان توجيه دعوة للصلح الى اعدائنا فى الحال

« فعلى أثر انهيار الجبهة المقدونية وتزايد ضعف قوانا الاحتياطية في الملتحم الغربي واستحالة الاستعاضة عن خسائرنا الهائلة التي تكبدناها في المعارك الاخيرة لم يبق من أمل ، حسبما يستطيع أن يحكم به الانسان في حمل العدو على نشدان الصلح

« وأما خصومنا فيدفعون الى المعترك على التوالى بقوى احتياطية حديثة مؤلفة من الجنود المنتعشة

« وسيظل الجيش الالماني ثابتاً متيناً منظماً وسيدفع كل الهجمات

الموجهة اليه وهو مكلل بالفوز . إلاّ أن الموقف يزداد حرجا على توالي الايام وقد يضطر القيادة العليا الى اصـدار قرارات وخيمة العواقب .

« وفي مثل هذه الحالة من المستحسن انهاء الصراع توفيراً على الشعب الالماني وحلفائه في الضحايا التي يوالون تقديمها . وكل يوم ينقضي عبثاً يتقاضى دماء الالوف من الأجناد الصيد

التوقيع : الفون هندنبورج »

وفي ٤ اكتوبر آب الفيلد مارشال الى سبا . وفي ٥ أرسلت المذكرة الاولى الى ويلسن . ولم يكن لنا دخل في صوغ المذكرة التي كتبت بلهجة لا توافقنا . ومن الاسف اننا خضعنا لحكم الاربعة عشر شرطاً التي وضعها ويلسن وهي شروط تنطبق على مبادىء الحزب الاشتراكي الديموقراطي المستقل . ولقد أوضحت في تلغراف ارسلته في ٢٦ اكتوبر « ان الشروط الاربعة عشر المذكورة المرسلة الى ويلسن يجب ان تكون قاعدة المفاوضات الصلحية لا ان تصير الشروط التي يفرضها علينا العدو » . وقد وافقني الفيلد مارشال الذى كان حينئذ في برلين على هذا الرأي إلا انه لم يجد موافقة تامة عليه من سائر الوزراء الذين كانوا مجتمعين إذ ذاك ، الا نائب المستشار الفون باير الذى اتفق مع الفيلد مارشال تماماً . ثم أعلموني فيما بعد ان سائر الوزراء متفقين على أن مسالتي الالزاس واللورين وبولونيا صارتا دوليتين الاّ أن هـذا لا يحول دون التنازل عن الالزاس واللورين وعن اجزاء هامة من أرضنا الشرقية

واجتمعت في سبا لجنة تنظر في شؤون الهدنة يرأسها القائد جوندل ويمثل المستشار فيها الوزير هينتز وتتألف بقية هيأتها من القائد فينترفلد والقومندان برينكمان واليوزباشي البحري فانسيلوف .

وقد صدرت تعليمات جديدة الى الجيش لمكافحة التأثير السيء الذي أحدثه عرض الهدنة والصلح على العدو .

واستخلصت من المحادثات العديدة التي دارت بيني وعدد كبير من الضباط ان الثقة الموجهة الي لم تزل من النفوس فسرني هذا الأمر .

— ٧ —

لقد أعرب المستشار الامير ماكس البادي في خطبته الاولى العظيمة التي القاها في الرايخستاج يوم ٥ اكتوبر عن رأينا الفيلد مارشال وأنا بشأن الاستمرار على الكفاح اذا عرضت علينا شروط لا يمكن قبولها إذ قال : « لقد صممنا وقلوبنا مطمئنة وفائضة بالثقة على أن نجود مرة أخرى بضحايا متناهية في الجسامة إذا لم يكن لنا محيص من تقديمها في سبيل شرفنا وحريتنا وسعادة أعقابنا . »

« وكيفما كانت نتيجة عرضنا الصلح فاني لعلى يقين من انها ستجد المانيا متحدة ومصممة بعزم ماض على أن تنال صلحاً شريفاً أو تمضي في العراك الى أن تظفر بالحياة الآمنة الجيدة أو تستشهد في ساحة الدفاع الشريف . فشعبنا مستعد لمثل هذا الصراع اذا ما الجىء اليه . ولا تخامرنى خلجة من الشك في امكان حدوث الأمر الثاني لأني أعرف الروح الذي يحرك القوى العظيمة التى لا تزال كامنة حتى الآن في شعبنا كما أعرف أن كل فرد مقتنع بانه انما يجاهد لاجل حياة المجموع وان هذا الاقتناع الذي لا يتزعزع سيزيد فى خطارة هذه القوى . »

وأيده رئيس الرايخستاج بقوله : « ان كل الماني في الداخل مستعد

لان يباري الجندي الجاهد في الجبهة فى تحمل ماتتطلبه سلامة الوطن من سائر التضحيات . »

وانها لكلمات نبيلة سامية تغرس فى النفوس الثقة والامل . ولكن المستشار والرايخستاج لايعلمان ماأعلمه أنا من أن الشعب الالماني حينما هب للكفاح فى عام ١٩١٤ كان كل امرىء من أفراده يحسب انه يدافع عن حياته والمدافعة عن الكيان تجيز الجود بكل مرتخص وغال ، فما زالت الالفاظ السامة تنهال عليه من الداخل والخارج حتى قضت على هذا الشعور الذي كان يدفعه بقوة إرادة لاتغالب الى موالاة الجهاد . ولم يسر هذا الروح سرياناً حقيقياً في جثمان الشعب الالماني والجمعية الوطنية الا فى مايو ١٩١٩ عند ماأعلنت شروط الصلح التي لم يسمع بمثلها . ففاه إذ ذاك هذا الرئيس نفسه بكلمات مثيرة للعواطف والفاظ بديعة مهيباً فى الحال بجرأة بالشعب وإقدامه ، بيد ان التلغراف الرسمي لم يجسر على نقل هذه الاقوال. وفى هذه المرة بالمثل لم تتعد الالفاظ دائرة كونها الفاظا . فالفرصة اذن قد أفلتت .

وفى هذه الاثناء ظللت أؤدي واجبي كالمعتاد حتى اذا ماتبينت فيما بعد عند ورد مذكرة ويلسن الثانية انه عاجز عن تنفيذ مبادئه الاربعة عشر لان كليمانصو ولويد جورج متغلبان عليه ، وان العدو لن يرجع عن استعبادنا صحت عزيمتي على أن أنفذ الفكرة التي كانت تحوم في مخيلتي وهي المكافحة الى النهاية وانتظرت من الامير ماكس وحكومته الوفاء بوعودهما ولقد أسفت إذ ذاك على عدم الاستفسار من الحكومة والامة فى أوائل اكتوبر بصراحة تامة عما اذا كانا يريدان حقيقة موالاة الصراع الى المنتهى واستفراز الشعور الوطني واستجماع عناصر القوة الكامنة في البلاد ؟ ولكني علمت

الآن ان الحكومة والشعب لم يكونا على بينة من مقاصد الاعداء الحقة التي كانت تتستر تحت غشاء كثيف من الالفاظ الخلابة فكل استفسار وكل استفزاز كان سيقضى عليه بالاخفاق .

وكان من رأى الامير ماكس أن يرجىء ارسال المذكرة الى ويلسن اسبوعاً يضع في اثنائه برنامجا يتضمن مطابقة مقاصدنا الحربية لشروط ويلسن الاربعة عشر

ومنذ ٥ اكتوبر أصبحنا نطابق بين أعمالنا وآمالنا ومبادىء ويلسن. ومع انه لم يحدث شيء مزعج لنا في الجبهة الغربية منذ منتصف أغسطس فقد طفقت في الحقيقة أحث المستشار بطريقة صامتة على بذل أقصى جهده للوصول الى الغرض المقصود . وفي منتصف اكتوبر أصبحت لا أدري اذا كان المستشار لايزال يعتقد بحسن نوايا العدو ورغبته الصادقة فى ابرام صلح عادل ؟ واذا كان لايزال يجهل أن العدو واقفاً على سائر دخائلنا ولا سيما قوانا المرابطة على الجبهة وما أحدثناه من التطور الهائل في وحداتها وانه ينتظر من آونة الى أخرى سقوطنا بعد أن رأى صيغة الامر الامبراطوري الموجه الى الكونت هرتلنج في ٢٩ أغسطس وهى الصيغة التي أفضت الى خاتمة ٩ نوفبر ؟ لقد مثل الاتفاق دوره باتقان الا أن حقيقته قد انكشفت الآن فهل لايزال عشاق الانسانية والسلام من رجالنا الخياليين يسبحون في لجج الاوهام ويأبون الآن يقوضوا دعامة سلامة الوطن وهو الجيش ؟ وهل رأوا من عمال واشتراكيي دول الاتفاق سعياً الى حمل حكوماتهم على وضع حد للحرب والتقدم الى مائدة الصلح بمقاصد سلمية حقيقية؟ وهل لم يتيقن هؤلاء الداعون الى نشر الوية السلام على العالم أجمع أن مبادئهم لم تصل الى أعماق القلوب ولم يحن أوان تحقيقها بعد؟ على أن جريدة

الفورفارتس قد كتبت فى ٥ فبراير ١٩١٩على أثر انتصار جنود الحكومة في برلين ما يأتي :

« اننا بصفتنا اشتراكيين نأسف جد الاسف للالتجاء الى استخدام القوة لاننا الاعداء الطبعيون لكل شدة . إلاّ ان مضادة استعمال الشدة لا تجيز الرضوخ للشدة الصادرة من الفريق المنافر . ولا يمكن أن يتوطن حب السلام الاّ على أساس من مثل هـذا الحب لدى الفريق الآخر . فالذي يوافق من جهة المبدأ على كراهة استخدام القوة لا يسعه أن يعارض في أن مواجهة الشدة بمثيلتها تنتهى بتقوية سلطان القوة في نفوس الآخرين »

فجريدة الفورفارتس لم تزد على أن اعادت الآن ما ذكرته في ١٩١٤ وهى بقولها هـذا تؤيد ما أؤيده أنا طول حياتي . ان استخدام القوة في الداخل أو فى الخارج لا يرضى انسانا . ولقد اضطررنا فى ١٩١٤ الى الاهابة بالشعب لحمل السلاح بقصد القضاء على حكم القسوة الذى سقطنا نحن تحت أسره اليوم . ان النظريات تخالف الاعمال

— ٨ —

وصل رد ويلسن على مذكرتنا المرسلة اليه في ٥ اكتوبر الى برلين يوم ٩ بالتلغراف الجوى . وهو يقضي من الوجهة العسكرية بجعل الشرط الاساسي لقبول الهدنة الجلاء عن البقاع المحتلة فى الغرب . وكنا نحن مستعدين لهذا الامر . وترك الرد الباب مفتوحاً للمفاوضات مقبلة . فشخصت الى برلين بطلب خاص من الامير ماكس حيث دار بيننا حديث سرى طويل . وكنت قد تحادثت مرتين في المعسكر العام الاكبر مع هذا الامير وخبرت أطواره . وهو الشخص الوحيد الذى ذكر لى نائب المستشار

أيبر انه الكفؤ لتولى شؤن البلاد في مثل هذا الموقف العصيب. فسعيت في ترشيحه وتعيينه. واذ كان ضابطاً من اسرة امراء المانية قديمة فقد رجوت منه الخير للوطن الالماني ، ولم يثنني عن التشبث بهذا الرجاء اختلافه معي في بعض الآراء . وكنت أراه يرخي العنان الى منتهاه ثم لا يلبث أن يقبضه بشدة متناهية . على انه لم يحقق رجائي فيه . وعلى أثر محادثتنا وجه الي الامير سؤالا تتعذر الاجابة عليه وهو معذور في توجيهه لانه بصفة خاصة وسائر القوم في برلين بصفة عامة لا يفقهون كنه طبيعة الحرب . الا انني أجبته بخير ما تيسر لى من البيان . ولم أجد ما يحملني على اخفاء حقيقة اعتقادى اذ ذاك فلقد كنت أرى رد ويلسن يحمل على الامل في الحصول على صلح لا يتضمن محونا

وفي أثناء مسار تنارجا مني الامير ما كس ان ابعد عن القائد بارتنفرفر وأمير الألاي باوبر والقائمقام نيقولاي . فرجوت منه ان يبسط لى أسبابا معقولة تجيز لى ابعاد هؤلاء الضباط الامناء المخلصين لان الشك في الابرياء بغير دليل مقنع أمر في منتهى الخطارة. فلم يزدني بيانا على أ كثر مما يدور من اللغط حول هذه الاسماء ، فالمسألة اذن لا تتعدى حد الاقاويل والدسائس التي لا يصح اتخاذها أساساً لاجراء تحقيق دقيق في الخفاء ضد ضباط انا على تمام الاقتناع من طهارة نفوسهم . وهكذا تهتم الحكومة في مثل هذه الاونة العصيبة بمثل هذه الامور الشخصية

وطلب مني المستشار أن أمكنه من الوقوف على آراء عدد من كبار الضباط فرفضت لان الامبراطور هو الذى له الحق وحده في كل آونة ان يطلع على آراء القواد وليس للمستشار مثل هذا الحق . فالفيلد مارشال وأنا نتحمل تبعة المسائل العسكرية وحدنا . على أن مثل هذا الطلب لم

يكن وجيها لان آراء رئيس كل جيش وكبار ضباطه لا تتعدى القسم الذى يشغلونه من الجبهة ، أما نحن فواقفون على مجموع الآراء وخبيرون بتفاصيل الحالة

ومن المعتاد ان يكثر الانتقاد على الخطط والاعمال العسكرية عقب كل معركة كبرى ، وفى كثير من الاحيان يكون الانتقاد صواباً أو على شيء من الصواب لان الخطط العامة لاتتضمن التفاصيل والاعمال التى تجرى فى بعض الجيوش قد تنجم عن تأثيرات خاصة . فالانتقاد اذا تغلغل في دقائق الاعمال يؤدى الى نتائج محمودة . وهذا هو الذى حمانى على أن أطلب من سائر الضباط موافاتى بآرائهم في هذا الصدد . ولكنى لم أظفر بطائل من هذا القبيل إلا نادراً . ولقد أفضى اليّ اليوزباشى باخاوس من الالاى ٧٨ من مدفعية الميدان بمعلومات هامة لم يسعنى سوي توجيه عنايتي الخاصة اليها

على انني رأيت الساعة قد أزفت للتحقق مما اذا كان الشعب سيهب على بكرة أبيه للذود عن حوضه الى النهاية اذا ما أبى الخصم علينا صلحاً عادلا واذا كان مزوداً بهذه العزيمة الصادقة فلا داعى لارجاء التأهب الاكبر للقيام بآخر جهودنا . على أن الصحافة كانت تحيي في نفوسنا روح الامل

ولكن حكومة الحرب الجديدة ولا سيما رئيسها الامير ماكس لم تبد شيئاً مذكوراً ولم ينفذ المستشار ما وعد به في الفاظه الضخام التى فاه بها يوم ٥ اكتوبر . وحينئذ طلبت من الحكومة التداول في هذا الامر فعقد مجلس الوزراء بحضورى . وتناقشنا طويلا في المسائل الحربية وفي المسائل الشرقية بصفة خاصة . وبما أن الحكومة لم تكن على تمام العلم بهذه المسائل ولا بد لها من مراجعة النمسا فيها فلم يبت مجلس الوزراء في هذه الجلسة في أمر ما . وقد رأيت من بحث الوزراء في أقوال الصحف المتحمسة

ما دلنى على تشبع نفوسهم بروح القوة والعزم . ووجدت في هذه الوزارة رؤوسا كثيرة ولكنها دون رؤس وزراء الأعداء .

وفي نهاية الجلسة شكرني الامير ماكس على حضوري فاجبته وانا متفق مع الفيلد مارشال في هذا الصدد باننا نؤيد الحكومة باخلاص

وصيغ الرد على مذكرة ويلسن الأولى باتفاق بين الوزارة والقيادة العليا ونجحت في ادماج السؤال الآتى في الرد وهو : هل تقبل انجلترا وفرنسا بالمثل المبادىء الاربعة عشر ؟ ولم تشترك القيادة العليا بتاتا في بحث المنح المختصة بالسياسية الداخلية ، لانها لاتقبل الضرب على هذه النغمه . ان الطريقة التى نتبعها في المانيا تدل على اننا نندفع بسرعة الى طرح كل ما كان مقدسا لدينا ظهريا . فالعدو ينظر بعين الارتياح الينا ونحن نزيد خطواتنا اتساعا في السير الى التدهور .

وعلى حين فجأة انكفت الالسنة فى سائر ارجاء العالم عن التكلم في صدد الصلح العادل ، صلح التصافي والتراضى . وما ذلك الا لان العدو الذى كان يستخدم هذا الضرب من الايهام للتغرير بعقولنا كشف الآن عن وجهه القناع بعد أن عرضنا عليه الهدنة واوحى الى صحفه بل الى سائر الصحف المحايدة بتجنب الخوض في موضوع هذا الصلح. والأغرب ان الذين كانوا يتوقون اليه في بلادنا ويحبذونه خفتت الآن اصواتهم بل وجد أناس يرون المبادىء الاربعة عشر اساس العدل والحق . فالى هذا الحد وصلت بنا الضعه . وحمل البعض عليّ حملات شديدة لان اقتراحى عرض الهدنة على العدو قبل الأوان سبب مصابا جديدا بعد ان حالت قلة حيلتي دون ابرام الصلح. فحركوا بهذه الحملات سخط الشعب والجيش عليّ . ولو ان كل اولئك الذين لم يكن يهمهم في الماضي سوى ابرام صلح

العدل والتراضي وجهوا عنايتهم الى الحرب وتصوروا هول الهزيمة فى افظع مظاهرها وأيدوني في مجهوداتي التي اردت بها استجماع قوى الشعب الاخيرة وابقاءه حافظا قوة ارادته على موالاة الصراع لما اضطررت الى اقتراح عقد الهدنه . وعلى كل حال فقد ارسلت مذكرتنا الثانية الى امريكا يوم ١٢ اكتوبر

— ٩ —

ظلت المعركة التي نشبت على الجبهة الغربية فى أواخر سبتمبر محتدمه. وغرض العدو منها بذل مجهود عظيم ليشدخ قسم الجبهة المنتشرة عليه مجموعتا جيوش ولى العهد روبرخت والفون بوهن في اتجاه جاند وموبيج وبتر الجناحين الداخليين لمجوعتي الوريث الالماني والفون جالويتز على جانبي الارجون وفى اتجاه شار ليفيل وسيدان . وكل الوثبات التي قام بها الاتفاق منذ خريف ١٩١٥ كانت قاعدتها هذه الفكرة الجوهرية . ولقد اخفقت الى هذه الاونة بسبب ما كان يصيب العدو من النصب وما كان يبديه جنودنا من شدة الدفاع . اما الآن فقد اشتفنا الضعف واخذت فرقنا تتخلى عن مواقفها شيئاً فشيئا . وازداد عدد الآبقين في مؤخرة الجيش بدرجة مزعجه . واذا كان الذين لبثوا يكافحون في الجبهة ابطالا فان عددهم اقل بكثير مما يقتضيه اتساع البقاع التي يغطونها . فأصبح الجنود ازاء قلتهم يستمدون روح شجاعتهم من ضباطهم . وهؤلاء الضباط خطوا بجنودهم الأمناء أمجد صحيفة حربية واتوا بآيات باهرات من البساله . فكان رؤساء الالايات والألوية بل الفرق ومعهم ضباطهم وبعض الجنود وغالباً يصحبون كتمة اسرارهم وجنود مراسلاتهم يوطدون دعائم الحالة

بانفسهم ، ويمنعون من اختراق جبهتهم عدوا متفوقاً عليهم فى العدد بدرجة هائلة الا انه غالبا اقل منهم نخوة واقداما . واننا لنفتخر باعمال هؤلاء الرجال التي تعتبر من مدهشات البطوله . ولكن كل هذه الآيات الباهرات لم تكن كافية لاحرازنا النصر النهائى بجانب كثرة المتخلفين في الداخل من الجنود الذاهبين بالاجازات وبجانب كثرة الشاردين حتى ان قسما من طوابيرنا لم تعد تتألف الا من فصيلتين واضطرت القيادة العليا ان تلغي الاجازات بالسفر الى الداخل ولم يجىء نوفمبر حتى كان شخوص الجنود الى بلادهم ممنوعاً قطعاً ، ومن الاسف ان هذه الوسيلة لم تتخذ من مدة سالفه . واختصرت مدد ارتياح الفرق واعادة انتظامها وتزودها بالادوات والملابس . ووضعت خيرة الاجناد لحراسة الطرق والممرات لمنع الهاربين والمتجسسين فأحدث اخراجهم من الجبهة خطراً كبيراً لانها فقدت بابتعادهم عنها قوة معنوية عظيمه . واضطررنا ازاء شدة القتال واستمراره الى ان نقذف الى الهيجاء بفرق من الخط الثاني فحدث ارتباك في النظام العسكري . وازداد توتر أعصاب الضباط من شدة مايقومون به من الجهود الهائلة الا انهم كانوا كلما رأوا الخطر مندفعا نحو وطنهم تناسوا آلامهم واوصابهم وابدوا عزائم لا يمكن قهرها .

وفي اوائل اكتوبر اضطر الجيش الرابع الخان يرتد بعد كفاح هائل من خطه الامامى الى خط يمتد بين روليه وميتان مع استمراره على الاشتباك مع العدو في وقائع تخلية حاميه . وعاود العدو وثوبه بشدة في ١٤ اكتوبر في اتجاه روليه فاكتسح اراضى تمتد الى ماوراء المدينة نفسها ، وفقدنا بالمثل كور تمارك . الا أنه لم يستطع التقدم بدرجة محسوسة في اتجاه ميتان ، وارتد على عقبه فى جهة ويرفيك . واحرز العدو يوم ١٥

فوزا جديدا حمل الجيش الرابع على التراجع الى خط يمتد ما بين ديكسمود وتورهوت وانجيلموستر و كورتريه . وكانت فرق هذا الجيش قليلة الجنود فدل عدم احراز العدو عليه نصراً مبيناً على ان العدو نفسه ضعيف الحول. و بلغ الجيش الرابع من الضعف مبلغا جعل القيادة العليا تفكر في اقالته من الاحتكاك بالعدو وتقصير جبهته الى آخر ما يستطاع ، فصدر اليه الامر بالانثناء الى خط هرمان الممتد خلف قناة سيكلو واللين. فتخلينا بهذا العمل عن ساحل الفلاندر . وفي هـذه الاثناء كانت الغواصات قد أتخذت لها قاعدة أخرى.

واستمر الجيش السابع عشر بعد تدفق العدو على خطوطنا بالقرب من كمبريه يوم ٢٧ سبتمبر يتحمل ضغط العدو مارة به أيام عسيرة. وبقي محتفظاً بالمدينة الى يوم ١٨ كتوبر . ولم يكن الجيش الثاني موفقا في قتاله فاضطر في أوائل ١ كتوبر الى التراجع الى كاتليه واستند فى وقائعه التالية على الجناح الايمن من الجيش الثامن عشر الذى اصطلى نيرانا حامية . وفي ٨ ١ كتوبر ضربه العدو ضربة اخرى في ضواحي كاتليه وفي الجهة الجنوبية فواصل ارتداده الى الخلف . فلم يسع القيادة العليا إلاّ أن تسحب الجيش الثاني في الليلة الواقعة بين ٨ و ٩ الى خط هرمان لنفاد قواه الاحتياطية فتبع قلب الجيش السابع عشر وجناحه الايسر هـذه الحركة مرتداً الى منتصف الطريق الواصلة من كمبريه الى فالانسيين في حين أن جناحه الايمن الذى كان مرابطا في الاول غرب دواى أخـذ يتراجع مقتربا من المدينة وانثني الجيش الثامن عشر كالجيش الثاني الى خط هرمان تاركا جناحه الايسر مرابطاً في لافير

وتم تراجع هذه الجيوش الى خط هرمان على غير ما كنا ننتظر لاننا

كنا نتوقع ثباتها فى خط سييجفريد مدة طويلة . ولم نغادر خطنا الممتد في شمال سان كنتان فى الوقائع التى حدثت على امتداده في أوائل اكتوبر وان كان العدو قد شغل بعض أراض منه

وفي ١٠ اكتوبر وثب العدو على مواقعنا الحديثة الا انا صددناه وجرت بين العدو والجيوش السابع والثانى والثامن عشر وقائع متوالية من ١١ اكتوبر الى ١٧ كانت في مجموعها موافقة لنا

واستدعى تراجع الجيش الرابع الى ماوراء الانز الى اجتذاب الجيشين السادس والسابع عشر خلف الاسكو على خط هرمان . فأخلى الجيش السابع عشر مدينة ليل ليلة ١٨ . وصممنا على إبطال مجموعة جيوش بوهن أثر تراجعنا الى خط هرمان لانه لم يعد يستطيع اكمال نقصه . فالحقنا الجيش الثاني بمجموعة رويرخت والجيش الثانى عشر بمجموعة الوريث الالماني. وادمجنا الجيشين التاسع والسابع بالمثل في المجموعة الاخيرة

واضطرتنا حاجتنا الشديدة الى توفير قوانا الي أن نسحب مجموعة الوريث الالماني من بارزة لافو في أواخر سبتمبر مع ماكلفنا الاستيلاء عليها من الضحايا العظيمة وجعلناها ترابط خلف القناة الممتدة من الواز الى الاين . وأخذ جناحا الجيش السابع الايسر والجيش الاول الأيمن يتراجعان يوم ٢ اكتوبر الى الموقع الذي تقدما منه يوم ٢٧ مايو ١٩١٨ ومن سوء الحظ ان احدى الفرق سمحت بانشطارها على غير انتظار فوق الهضاب الناهضة في شمال شرق فيم قبل تنفيذ حركة الارتداد . وهجم العدو على قلب الجيش السابع في الشمن ديه دام على غير طائل . وجرت معركة شمبانيا والموز التي دارت على جانبي الارجون فى مجرى موافق لنا على الرغم من تفوق العدو العددى الهائل في هذين الملتحمين .

وقد حملت المعارك التي اصطلى نيرانها الحامية فى أوائل اكتوبر الجناح الايسر من الجيش الاول والجيش الثالث مجموعة الوريث الالماني على إبطال القتال وانسحابها باجمعها الى موقع هونديننج برونهيلد لان القيادة العليا لم تستطع أن تسعفها بالنجدات بل وافقت على حركة تراجعها التي مشت بالتدريج الى ١٣ اكتوبر . وفي هذا اليوم احتلت الجيوش السابع والثالث والاول الموقع الجديد المحصن أحسن تحصين وهى على استعداد لمنازلة العدو اذا واثبها . ويستحق قائد الجيشين الثالث والاول ورئيسا أركان حربهما كل اكرام من الوطن على الدفاع الباهر الذي قام به جيشاهم اثناء ارتدادهما من أواخر سبتمبر الى أواسط اكتوبر .

وكان العدو يتبع عن كثب تراجع مجموعة الوريث الالماني من الواز والاين وهو يتقدم بحذر فى منعطف الاين ولكنه حاول على عجل أن يقتحم زاوية الاين المرتسمة بين فوزيير وجراندبريه فلم يتوفق في بادىء الأمر . واستمر ضغط الامريكيين على الجيش الخامس في وادى الاردر شديداً جداً . وامتد القتال من شاطىء الموز الغربي الى شاطئه الشرقى . ومع تفوق الجنود الامريكيين الاحداث بدرجة هائلة فى العدد وآلات الكفاح فانهم اخفقوا في سائر وثباتهم وأصيبوا بخسائر جسيمة جداً . ويرجع الفضل في فوزهم يوم ٢٦ سبتمبر الى ما بدر من فرقة احتياطية المانية من سوء الدفاع والى أن فرقة أخرى شجاعة كانت تشغل في مكان آخر جبهة واسعة وقد اضنكها جهادها الموصول من قبل فقل عدد رجالها

وصارت الحالة في يوم ١٧ كالآتي : لقد توطنا في الجبهة الممتدة على طول ضفة الموز الغربية في موقع ارتداد . ولا تزال حركة الانثناء مستمرة في الجناح الايمن . ومما يستوجب الكدر الشديد ان الجيوش في اثناء تراجعها

الى خطى هرمان وهو نديبج برونهيلد غادرت مخازن كثيرة كانت توفر أسباب الرفاه بدرجة عظيمة للجنود . ولقد قاتلنا في نقط كثيرة بنجاح باهر واكتفى العدو فى نقط اخرى بكل ماأحرزه من الانتصارات المبتورة وأصبحت نتيجة الوقائع الآتية متوقفة على ماتبديه البلاد والحكومة من الرغبة الصادقة في الاستمرار على الحرب . لقدأنا للجيش أن يعرف مصير هذا القتال فاذا كان الشعب الالماني سيتشبع بروح الحمية وينعش الجيش فان حالة الجيش تتحسن ويكون مصير الحرب أقرب الى النجاح

وشرعنا في اخلاء الاراضي الممتدة خلف خط استحكامنا الجديد بنقل كل أدواتنا ومخزوناتنا الى المانيا مباشرة ، فوقعنا في أزمة نقل أخرى ولا بد لنا من استغراق عدة أيام بل عدة أسابيع في حركة النقل وبدأت أدبر الوسائل الناجعة لتدمير الطرق والجسور والمعابر التي تفيد العدو فى اثناء مطاردته ايانا . وعاملنا السكان معاملة حسنة استوجبت شكرهم ، وأعرب لى كثير منهم عن امتنانهم غير انهم رجوني أن لاأصرح بهذا الامر علناً حذراً من الروح الساري في باريس . واقبلت لجنة محايدة من بروكسل الى الجبهة فخبرت ماتبديه من العناية بالسكان وسبرت بالمثل حالة التخريب التي أحدثتها مدفعية العدو وطياراته . فاذا ماتألم السكان من شيء فانما يرجع تألمهم الى مفعول الحرب نفسها لاالى سوء سلوكنا الذي لاغبار من اللوم عليه . بيد ان الاتفاق كان فى حاجة الى خلق تهم تزيد فى اجتذاب ويلسن الى جانبهم .

ونشط العمل في المؤخرة لاعداد خط دفاعى يذهب من أنفرس الى الموز . واعددت كذلك موقعاً جديداً على امتداد التخم الالماني

وضربت السكينة أطنابها على الساحة الايطالية . وأشيع أن الاتفاق

سيقوم بوثبة جديدة هنالك فصار من المحتم الاهتمام بالجيش النمسوى لان الجنود النمسويين لم يحسنوا الكفاح فى الصرب

وساءت الحالة في البلقان باستسلام بلغاريا الى الاتفاق وصار التخلي عن قاعدة الغواصات فى كتارو وايجاد سواها في بولا

وتولى القيادة في الصرب القائد كويفيسك ليدافع عن المجر. وكانت مهمته من أشق الامور لان الجنود النمسوية التي تحت رآسته لاقيمة لها والجنود الالمانيين من الكهول ووحداتهم قليلة الاعداد ، والفيلق الألبي أجهده طول الكفاح .

وانتشرت جنود نمسوية في وادى الموراڤا في جنوب نيش لتغطي سير الفرق الالمانية والنمسوية فى الجبل فكان قتالها سيئا . فلزم ارجاع نقطة الاحتشاد الى الهضاب الناهضة في شمال المدينة يوم ١٢ اكتوبر . وفي ١٦ وصلنا الى الهضاب الكائنة فى شمال الكسيناك على جانبي الموراڤا . واحتكت الجنود الالمانية القادمة من ميتروفيتزا بالعدو في شمال الموراڤا الغربي . واستمرت التشكيلات المرتدة من صوفيا متراجعة من طريق لوم بالانكا لتجتاز الدانوب فاقتفت بعض الفرق الفرنسوية آثارها . وبلغت الدانوب يوم ١٧ . وازداد الاضطراب فى رومانيا . وانتقلت هيأة أركان حرب شولتز الى رومانيا لتتولى الدفاع عن الدانوب بناء على التعليمات الصادرة من الفيلد مارشال ما كنزن . ووصلت نجدات القوقاز واوكرينيا ولم تصبح الحالة في الصرب وعلى الدانوب مطمئنة الاانها لم تؤل الى الانحلال . وأصبحت الجنود الانجليزية محتلة لادرنه ومنتشرة في شمال الماريتزا . وكان الدفاع عن الاستانة من هذا الجانب في منتهى الضعف . واستعد الجنود الالمانيون ورؤساؤهم لمغادرة تلك العاصمة مبحرين الى اودسا في حالة هجوم الاتفاق عليها

لقد أحطت علما بكل هذه المواقف العسكرية لأكون على استعداد لما نواجه به مذكرة ويلسن الثانية

— ١٠ —

لم يمنحنا ويلسن فى مذكرته الثانية أي امتياز ، بل لم يفدنا اذا كان الاتفاق قابلا بالمبادىء الاربعة عشر . إلا انه طلب الكف عن حرب الغواصات وزعم أن طريقة قتالنا فى الجبهة الغربية مخالفة لحقوق الناس ، وتداخل بطريقة غامضة في شؤننا الداخلية . فلم يبق بعد ذلك شك فى مقاصد اعدائنا وفى نفوذ كليمانصو ولويد جورج المتناهي . فويلسن لا يسعه أن يعارض في مطالب فرنسا وانجلترا التي لا تقف عند حد معقول . فلا مناص لنا من اتخاذ تدابير خطيره . لقد صرنا الآن أمام السؤال الآتي وهو : هل نريد أن نستسلم الى تحكم العدو فينا ، أو تريد الحكومة أن تدعو الشعب الى التدجج بالسلاح للصراع النهائي المقرون باليأس والاستماته ؟ ومن الواجب أن يكون ردنا على هذه المذكرة مصوغا فى قالب العزم والشمم فنظهر رغبتنا الشديدة فى ابرام الهدنة ، ولكن مع الدفاع بشدة عن كرامة جيشنا الباسل . ولا ينبغي أن نترك سلاح الغواصات لاننا بتركه نكون قد سلمنا انفسنا للعدو

وتناقشت الوزارة يوم ١٧ اكتوبر في المذكرة . وحضرت هذه الجلسة كما حضرها أمير الالاي هي ورجوت من القائد هوفمان الحضور بالمثل الى برلين . وفي هذا اليوم اشتبك الجيش الثامن عشر في وقائع قاسية

وخاض المستشار عدة مسائل متنوعة ثم التفت الي مصرحاً بما يلي :

ان مذكرة ويلسن الحديثة تنطوى على تفاقم فى المطالب . ومن الواضح

أن تأثيرات خارجية جعلت ويلسن في موقف عسير . ويظهر انه يأمل أن نسهل استمرار المفاوضات ليتغلب على عناد اولئك الذين يريدون مواصلة الحرب . وقبل الرد على هذه المذكرة ينبغي معرفة ما تقتضيه الحالة العسكرية في المانيا

أما رأيي في أعدائنا فيناقض ما تقدم ، اذ كنت الوحيد الذى يعتقد حينئذ بظهور رغبة العدو في محونا . وأجبت على الاسئلة المختلفة الموجهة الي بما يأتي: « لقد القيت علي عدة اسئلة من المستحيل الاجابة عليها بصيغة جازمة . فما الحرب بمسألة رياضية . وفي الحرب أمور كثيرة قابلة لكل احتمال . ولا يسع أحد التكهن بعاقبة القتال . فحينما ذهبنا في أغسطس ١٩١٤ الى بروسيا الشرقية وأمرنا بانشاب معركة تانينبرج لم نكن نعلم كيف تسير الامور وهل يتحرك رنينكامف أم لا . فالحرب مقرونة بالحظ وربما عاد حظ المانيا الى التحسن . واني لا أستطيع ان أقول لكم الا ما اعتقده . فانا أحمل تبعة أقوالى كما تحملتها مدة أربعة أعوام طوال مفعمة بالاهوال . »

وعلى أثر ذلك دار البحث حول ما اذا كان من الممكن الاستمرار على الكفاح مدة طويلة اذا نقلت كل فرقنا الموجودة في الشرق أو القسم الاعظم منها . فأردت أن أعرف ما الذي يمكننا الاستعانة به في الشرق عن فرقنا المسحوبة منه ، فان أمامنا هنالك مسألتين خطيرتين وهما خطر البولشفية وفائدة اوكرينيا العظيمة لنا . أن فرقنا المنتشرة في الجانب الشرقى تبلغ ستا وعشرين وهي مؤلفة باجمعها من الطبقات المسنة ، وعدد رجال الطوابير قليل جداً . ويوجد في ليتوانيا جندى واحد لكل ١٨ كيلو متراً مربعا. أما الساحة الشرقية فتحتوى على ١٨٥ فرقة وقد لزم حل

عدد كبير منها . والجنود القادمة حديثاً من الشرق الى الغرب سيئة الاستعداد ومتشبعة بآراء رديئة وهي تفسد حمية الجند الشجعان المرابطين فى الغرب . فنحن لانستطيع بهذه الفرق الضعيفة أن نحمل العدو على الدخول في مخابرات الصلح . على أن هذه الفرق التي لاتصلح للميدان الغربي يمكنها أن تفي بحاجتنا في الجبهة الشرقية ولو دعت الحالة هنالك الى مهاجمة السوفييت. فالحاجز الذي يفصلنا من البلشفيين متناه في الرقة وقد أصبح خطر البولشفية في درجة من الجسامة تحملنا على ابقاء نطاق من الجنود حول تخمنا الشرقي . الا أن الحكومة على مايظهر لاتزال مترددة في موقفها تجاه البولشفيين . وقد أخرجت ليبكنخت من السجن على الرغم من ممانعة رئيس المجلس العسكري الامبراطوري القائد لينكر ولبثت تنظر بغير اهتمام الى مايفعله جوف من نثر الاموال لاعداد الثورة في راين ، وذهبت تحذيراتنا كلها ادراج الرياح . وأخيراً طرد خوف في أواخر اكتوبر فأصبحت حالة الحرب موجودة ثانية بين المانيا والبلشفية من جراء هذا العمل ووجب اتخاذ وسائل الوقاية من نتائج هذه الحالة الجديدة

ثم لفت انظار الوزراء في اثناء انعقاد جلستهم الى ما لاوكرينيا من خطارة الشأن من الوجهة الاقتصادية لنا ولحلفائنا بالمثل. ولولا أوكرينيا لما بقت النمسا حافظة كيانها الى هذة الآونة ، ولقد قدمت لنا اوكرينيا مقادير عظيمة من الانعام والجياد وأمدتنا بكثير من المواد الأولية كما زودتنا بمقدار لايستخف به من الغلال وان لم نحصل منها على كل ما كنا ننتظره . ولو جلونا عن أوكرينيا لوقعنا فى أشد الازمات في صيف ١٩١٩ فاذا عزمنا على مغادرة تلك الاصقاع فاننا نسحب الفرق الالمانية العشر المنتشرة فيها بالتدريج في مدة طويلة وهى فرق لايعتد بها في المعارك الحديثة .

الـكبرى فما نستفيده من سحب هذه الفرق لايعادل ماانخسره من ترك أوكرينيا .

ثم تحولت الافكار على أثر الايضاحات المتقدمة الى ماتستطيع البلاد أن تقدمه من المساعدة للجيش المقاتل . ولقد بح صوتي في هذا الصدد بدون أن أجد من الوزارات المتعاقبة جوابا شافيا . الا أن وزير الحربية الجديد أفعم قلبي بالرجاء اذ أفهمنى انه يمكن امداد الجيش بستين الفاً من المجندين الموجودين فى الداخل تحت السلاح. فتأثرت أشد التأثر من وجود ستين الفا الى سبعين الف جندى على قدم الاستعداد فى الداخل . ولم أدر لماذا لم يرسلوا قبل هذه الآونة الى الهيجاء ؟ ثم قلت . « اذا وصلتني الامداد المذكورة فاني اتطلع الى المستقبل بعيني الثقة والاطمئنان ولـكن يجب أن يكون ارسال النجدات سريعا . » فوعد وزير الحرب بعدم إضاعة يوم واحد سدى . ثم عطفت الى روح العزم الذي يجب بثه في الجيش والبلاد والى انعاش الحالة الادبية فى نفوس الشعب

ودعا المستشار الوزراء البرلمانيين الثلاثة الموجودين في هـذه الجلسة الى بسط معلوماتهم عن الحالة النفسية . فاما الوزير البرلماني جروبير فلم يتكلم في صدد هذه المسألة مباشرة. وأما الوزير شايدمان فقد وفى الموضوع حقه . فذكر اننا نستطيع أن نجند مئات الالوف من الرجال ولـكننا نكون مخطئين اذا اعتقدنا امكان انهاض الحالة النفسية في الجيش لأن العمال أصبحوا يقولون : ان النهاية الهائلة خير من الهول الذي لانهاية له . وكان من رأي الوزير شايدمان ان السبب في هذه النزعة الموجبة للاسف هو الضيق المادي المستحكمة حلقاته وضرب مثلا لذلك قلة مركبات السكك الحديدية . فتعهدت في الحال بان اتلافى كل أسباب الشكوي في أقصر وقت

وان كلمات الوزير شايدمان لتدل على افلاس السياسة الداخلية التي اتبعتها الحكومة وأحزاب الغالبية في الرايخستاج. وأما الوزير هاوسمان فمن رأيه أن الاهابة بالشعب تحدث تأثيراً عظيماً. وكان الوزير أرزبرجر غائباً لأنه فقد ولده الذي استشهد في خدمة الوطن. وكان نائب المستشار باير أقل تشاؤماً من الوزير شايدمان. ومن رأيه أن مذكرة ويلسن الثانيــة استثارت في الاول روح الحمية في النفوس إلا ان هذا الروح لم يلبث أن تغلب عليه الاعتقاد بأننا سنمحى من الوجهة الاقتصادية. ولقد أصبح الآن كل انسان يتساءل اذا كان من المحتم علينا أن نتحمل هذا الامر ؟ فاذا قلنا للناس: « لا يزال يوجـد أمل فى النجاة إذا ثبتم ، أما اذا لم تستطيعوا الثبات عدة أسابيع أخرى فلا بد لـكم من أن تتوقعوا اختفاء المانيا تقريباً من عقد الامم وان تنتظروا تحملكم عبئاً ساحقاً من الغرامات. » فمن الممكن أن تدب فيهم الحمية ويعمدون الى الثبات. واذا صيغ الرد على مذكرة ويلسن الثانيه بما يشعر الشعب بوجوب التمسك بهذه العقيدة مع الاعتراف ببقائنا في موقف حرج لا نكون قد فقد نا كل امل في الوصول الى نهاية محمودة العواقب. وبعـد أن تكلم الوزير فريدبيرج في ما يتفق مع هذا المعني طلب الاسراع فى العمل.

ولم يسعني أن أقول شيئاً عن موقفنا الحربي بعد هذه التصريحات سوى ترديد ما ذكرته في ١٠ اكتوبر وختمت كلامي بما يأتي. « انني أرى قطع المفاوضات كمجازفة لا كمحتمله. واذا شئتم أن تسألوني عما يوحي به ضميري الي فاني لا استطيع الا أن اجيبكم بهذه القوله: انني لا أخشى هذا القطع. »

ومن الممكن أن يسوء موقفنا العسكري من آونة الى أخرى ، إلا أن جنودنا على كل حال يقومون بما ننتظره القيادة العليا منهم. ويلوح لي

بأن قوة اندفاع العدو قد ضعفت

ان مفاوضات ويلسن لم تفض الى أية نتيجة ، فنحن الى الان احرار في وصل المفاوضات أو قطعها . ومع ذلك فهل من الاجرام التسلح مع الرغبة الصادقة فى الصلح الذى يأباه العدو ؟ وهل أوخذ تروتسكي لامتناعه عن التوقيع على معاهدة الصلح في مستهل فبراير ؟ لا يسع أحد أن يشك في شغفنا الشديد بالصلح ، كما أن واجبنا يقتضى أن ندافع عن حياتنا وعن كرامتنا الى النهاية القصوى . وكلما كنا اصلب عودا في القتال كانت المفاوضات أعود علينا بالنفع . وفضلا عن ذلك فان استمرارنا على الكفاح واجب لا مفر لنا منه اذا شئنا أن لا نضع أنفسنا تحت تحكم عدو ليس لنا أن نرتجى أي خير منه . فالاستمرار على الجهاد قد يحسن مركزنا اكثر مما يعرضه للسوء ، وهذا ما يتطلبه منا أهم عناصر الجيش وشطر هائل من الشعب الالماني . فالشعب الالماني يستطيع ويريد أن يمد الجيش الالماني بآخر ما لديه من حول وقوة وواجب الحكومة أن تحول هذه الارادة الى عمل .

هذا مغزى ما فهت به في مجلس الوزراء وهو خلاصة ما كتبته الى رئيس الوزارة يوم ٥ اكتوبر . ثم اقترحت أن تسند الى النائب ايبرت رئيس الحزب الاشتراكى الديموقراطى بعض الوظائف الظاهرة لتجديد قوة المدافعة لدى الشعب بواسطته . واتفقت مع أمير البحر شير على استنكار العدول عن حرب الغواصات التي تحدث ضرراً بليغاً بالقوة الانجليزية . وما القاء السلاح من اليد اجابة لطلب العدو الا دليلا واضحاً على الضعف لا نتيجة له سوى ازدياد تشبث العدو بآماله .

فآخذني الوزير سولف على التقلب في آرائي . فدهشت لهذا اللوم .

لان الحكومة نفسها مقرة بوجوب الاستمرار على الكفاح اذا دفعنا الى هذه الضرورة القصوى . على انى اذا كنت قد أبديت من الثقة ما لم أكن أبده من قبل فلا يستطيع الوزير ولا ينبغى له سوى الابتهاج لأن مثل هذا الحكم السار على الموقف الحالى لا نتيجة له سوي تسهيل المفاوضات أمامه . ومع ذلك فاني لم اكن أذهب اذ ذاك الى قطع المفاوضات بل كل ما كنت اذهب اليه هو وجوب الاهتمام بما نفكر فيه و نريد الوصول اليه وأردت أن اتبسط في ايضاح كل آرائى فقلت

« انى لا ازال اذهب الى وجوب التفاوض لأجل عقد الهدنة اذا تيسر المسعى . الا ّ اننا لا ينبغى لنا أن نقبل سوي الشروط التي تسمح لنا بالجلاء عن البلاد التي نحتلها بنظام تام وهذا مالا يتم الا ّ في شهرين أو ثلاثة اشهر . ولا يجب أن نقبل ما يحول دون معاودتنا القتال متي شئنا كما يريد العدو في مذكرته ، فان شروطه تقضى بتجريدنا من وسائل الكفاح . وقبل أن نمضى الى مسافة بعيدة في التخابر يجب على العدو أن يذكر لنا شروطه . ونحن لا نريد أن نقاطع ويلسن فجأة ، بل ينبغى أن نسائله . « انبئنا يا هذا جهاراً بما يجب علينا القيام به ! واذا كنت تفرض علينا مطالب مناقضة لكرامتنا الوطنية وتريد اسقاطنا الى حضيض العجز فلن يكون جوابنا سوى الرفض ! » . ولقد قمنا بما يقتضيه واجبنا من بذل كل ما نستطيعه من الجهود لحصر دائرة التدمير من الوجهة الحربية . وليس من الممكن التعهد بابقاء المساكن سالمة دائماً لان الملاجيء خير عون للعدو على أن الاعداء انفسهم قد دمروا المساكن بالمثل . ولقد ظلت الكهرباء وأنابيب المياه والتراموای سالمة في ليل ، أما التلغراف والتلفون والسكة الحديد فقد اتلفت . على أن أكثر حوادث التدمير ناجمة عن قذائف

الطيارات والمدافع الانجليزية . والجيش غير مسؤول عن حوادث القسوة الفردية التي طالما قاومتها أنا نفسي . »

وعلى أثر هـذه الايضاحات انتهت الجلسة . وكان الوزيران جروبير وهاوسمان جالسين بجوارى فأعربالى عن ابتهاجهما لانني بعثت فيهماروح الحمية والاقدام . فقفلت راجعاً الى سبا وأنا مفعم القلب بالامل العظيم

وظلت الحماسة مستوليـة على برلين الى ظهر يوم ١٩ اكتوبر ، ثم طرأ عليها همود . وما علمت بتفاصيل ما حدث هنا لك . ولـكني لاأدرى لماذا لم يعمد أولئك الوزراء الذين كانوا يتكلمون يوم ١٧ وهم متشبعون بالثقة والامل الى تصيير أقوالهم اعمالا ؟ على انهم كانوا يعلمون حق العلم ما يتوقف على هذا الامر من النتائج الخطيرة ! واني لاجدنفسي امام معمى غير قابل الحل كلما مثلت في فكرى الفاظ الوزير كونرادهاوسمان التى فاه بها يوم ١٢ مايو ١٩١٩ في وسط رعد هائل من التصدية اذ يقول . « لو كان جيشنا وعما لنا يعلمون من يوم ٥ الى ٩ نوفمبر أن الصلح سيصير كما هو الان لما القى الجيش سـلاحه بل لظل ثابتاً في موقفه . » لان ما حدث هو عين كان منتظراً منذ ١٧ اكتوبر وهذا أمر يؤيده التاريخ ، فلقد أشرنا بعدم التسليم أمام العدو . فصار الاوفق عدم الانخداع وعدم التغرير بالشعب والاعتراف بالحقيقة على علاتها والتصميم على العمل كما فعلت القيادة العليا .

وفي ٢٠ اكتوبر وصلت الينا صورة الرد على مذكرة ويلسن الثانيـة فى سبا ، واذا بها تتضمن العدول عن حرب الغواصات والسير في طريق التسليم أمام العدو بـكل ما يترتب على هذا الامر من العواقب الوخيمة فلم يسعنا الفيلد مارشال وانا سوى التحذير من الاقدام على هـذا المشروع

وايضاح سوء مغبتة ، واقترحنا تحريك الشعب ، وامتنعنا عن الاشتراك في مشروع الرد . فتهيجت هذه الوزارة التي تالفت لاجل العمل على مواصلة الحرب ولا أدرى لاي سبب . اننـا رجال مستقلون في آرائنا الخاصة ، ونحن ننتهج الطريق التي نراها أقوم وآمن عاقبة ، وهي الطريق التي لبثنا سائرين فيها دائماً .

وارسل الرد على مذكرة ويلسن في يوم ٢٠ اكتوبر نفسه ، وضحيت حرب الغواصات . وادي تحقيق رغبة ويلسن في هذه المسألة الى تأثر الجيش والبحرية على الاخص بدرجة لا مثيل لها .فالحكومة بهذا العمل قد القت الحبل على الغارب

ولم يحدث مستشار الامبراطورية تغييراً في مجرى الامور بتصريحه الذى افضى به يوم ٢٢ اكتوبر متضمناً ما يأتى . « ان الذى يجعل آراءه مطابقة باخلاص لروح الصلح العادل يوافق فى الوقت نفسه على الواجب القاضي بعدم الخنوع لصلح التحكم بلا مسوغ يحتمه سير القتال وكل حكومة لا تكون متشبعة بهذا الشعور جديرة باحتقار الشعب الذى يجاهد ويعمل » فهذه الالفاظ خرجت من بين شفتى قائلها ولم تتحول الى عمل محسوس ولم يشرع احد لانهاض همم البلاد والجيش فالامير ماكس نطق بنفسه بالحكم الذي يستحقه هووزملاؤه

وبقى وزير الحربية بمفرده يعمل لتدبير النجدات اللازمة ، الا ان جهده لم يتكلل بالنجاح لان شطراً من الامداد لم يشأ التقدم الى الجبهة فلم يسع الحكومة سوى النزول على حكم هؤلاء المعنتين

— ١١ —

ورد رد ويلسن في ٢٣أو٢٤ اكتوبر فكان خير جواب على قلة بصرنا ،اذصرح بوضوح بانشروط الهدنة لا يمكن أن تكون سوى الشروط التي تجعل الالمانيين عاجزين من معاودةالقتال وتمكن دول الاتفاق المتحالفة بغير تحديد وهي متمتعةبالطمأنينة التامة من أن تضع بانفسها تفاصيل الصلح الذي يجب على الحكومة الالمانية أن تقبلها . فمن رأيي ولا يوجد من يتردد ازاء هذا الرأي ، يجب الدأب على القتال . واعتقدت بدون ان تخامرني خلجة من الشك وانا معتمد على العواطف التي استمددتها من جلسة ٢٧ اكتوبر ان الاعتماد على عزيمة الشعب لا يزال ميسوراً على الرغم من ضياع فرصة ثمينة

ومنذ ذلك اليوم تتابعت الحوادث في الجبهة الغربية على النسق الآتي أنهى الجيش الرابع حركة ارتداده الى خط هرمان وهوملتحم على الدوام في وقائع متلاحقه مع العدو الذى يتعقبه . واخليت فى ١٩ بريج وتيلت وكورتريه.ودارت رحى القتال يوم ٢٠ على نهر اللير فاحتل العدو الضفة الشرقية عندديتز . وكان المقصود من ضغطه الشديد على اللير وعلى الايسكو اقصاؤنا عن اللير . وفي ٢٥ تحولت الوقائع الى معركة توصل العدو بها الى اكتسا حه ارضا ممتدة على الايسكو فى اتجاه جاندو اودينارد.وامتدت دائرة القتال الى الجيش السادس المرابط بين اللير والايسكو

وجلا الجيشان السادس والسابع يوم ١٧ اكتوبر عن ليل ودواي وتراجعا وهما على اتصال بالجيش الرابع خلف قناة الديل في تجاه آفيانم وتورنيه وفالانسيين . فاقترب العدو يوم ٢٠ من هذه المدن فاشترك بعض

الاهالى مرة أخرى في الوقائع الدائرة واضطر الجناح الجنوبى من الجيش السابع عشر والجيشان الثاني والثامن عشر الى خوض وقائع طاحنة، فقد هاجم الخصم الجيشين السابع عشر والثامن عشر بشدة بين الكاتو والواز . فاضطررنا الى اجتذاب جبهتنا من الخط الممتد بين الجهة الجنوبية الغربية من لاندريسى والواز الى خلف القناة الممتدة بين السامبر والواز . وبعد أن تمهل العدو يوم ١٩ عاد الى توسيع نطاق وثباته في اتجاه الشمال ابتداء من يوم ٢٠ مندفعا الى ما وراء سوليسم والكاتو فى اتجاه لاندريسى . ولقد تقاضت هذه الملاحم منا ثمنا باهظاً ، ففى بعض الجهات لم يحسن الجنود القتال وفي البعض الآخر اتوا بالشيء العجاب . وهذا أمر دائم الحدوث

وتركت مجموعة ولي عهد المانيا في مبتدأ الأمر الجناح الايسر من الجيش الثاني عشر فيما بين شمال الواز ولافير . وبهذه الطريقة منع الخصم عند محاولته عبور الواز . وفي يوم ٢٠ تم احتلال خط هرمان بين الواز والسير . وهنا اشتد ضغط العدو جداً وتتابعت الوقائع الحامية

وهوجم الجيشان السابع والاول بين السير والاين فبقيا في مجموعهما محتفظين بمراكزهما . وفي ٢٥ صدا وثبة عظيمة قام بها العدو مكبديه خسائر هائله

وضغط العدو بشدة فيمابين الاين وفوزيبرجراند بريه فى وادى الاين . وعلى هضاب الشاطيء الايسر من نهر الموز . ومع أن الوقائع التي جرت هنا كانت قاسية ومشتفة القوى الا أنها لم تفض الى طرؤ تغيير ذى بال على جبهتنا وامتدت كما حدث من قبل على طول الضفة الشرقية من نهر الموز من غير أن تصيب موقفنا العام باي تزعزع . وخيم الهدوء فى الجبهة الجنوبية الشرقية على تخمنا السويسرى

لقدكان الضغط شديداً على الجبهة الغربية يوم ١٥ وصار الالتحام في سائر اجزائها من الحد الهولاندى الى فردن مثلا غير أن يصل الى الجيش أي مددمن الداخل وبدون أن يستثير أحد حميته فكان ما ابداه من البطولة آية باهره

واستمرت أعمال الجلاء بهمة على الرغم من صعوبة استخدام السكك الحديدية في انجاز هذه الاعمال

وظل العمل دائرا على مهل في اعداد الخط الممتد من انفرس الى الموز . وقدبدىء بتجهيزه باسلحة الدفاع وصممت القيادةالعليا على سحب الجبهة اليه في أوائل نوفمبر لتجعلها أوجز مما هي عليـه فى الخط الحالى . وسيجد العدو بالطبع فائدة له في هـذا العمل . وأخذ وثوب العدو في الشمال يفقد شـدته على أثر الاهتمام بتدمير السكك الحديد . إلاّ انه من المنتظر بعد الآن اشتداد الهجوم فى اللورين

وابتدأ الهجوم الايطالى يوم ٢٤ وهو موجه قبل كل شيء الى الجبهة الجبلية على أن الايطاليين لم يهجموا بكل قواهم الابتداء من يوم ٢٦ اذ اندفعوا على جهة البياف . ولم يحدث ما يستحق الذكر الى مساء ٢٥ بل ظلت الجبهة النمسوية متماسكة الاجزاء . الاّ انى كنت اتوقع أن تلجأ النمسا الى ابرام الصلح عاجلا . فلهذا اتخذنا التحوطات الاولى على طول الحد التيرولى بالاتفاق مع وزير حربية بفاريا

ورأى القائد الفون كوينيسك نفسه مضطرة في الصرب الى اصدار الامر بالتراجع خلف الدانوب. ولم يحدث أي تطور على الحدالدانوبي الروماني ولا ازاء الجيش الرومانى المخيم على الشاطىء الآخر من السيريت لان سائر الاعمال كانت موقوفة في تلك الجهات

ولو تحرك الشعب في هذه الآونة لحسن موقفنا . ولم يك من الممكن إذ ذاك معرفة مقدار الزمن الذى نستطيع الاستمرار على الكفاح في أثنائه لاننا لا نعرف حقيقة الشعور المستولى على نفس العدو . على انه من الصعب جداً القضاء على شعب كبير اذا ما تزود بقوة الارادة. ولقد أقام الدليل المقنع على صحة هذه النظرية الفرنسويون في الدفاع الذى قاموا به في عامى ١٨٧٠ و ١٨٧١ والبوير في حربهم الاخيرة ! وفي عدد ١٢ فبراير ١٩١٩ من صحيفة السانداي بيكشوريال بسط وينستون تشرتشل الحكم الآتي على موقف الاتفاق من الوجهة العسكرية :

« لو استمرت حرب الغواصات التجارية على شدتها الاولى مدة قليلة أخرى لتركتنا تحت رحمة العدو من جرأة المجاعة بدلا من ضم أمريكا الى صفوفنا

«ولقد كان الفريقان يتباريان وهما متساويان في حلبة الصراع الى النهاية الا اننا انتصرنا في النهاية لان الامة بأجمعها صارت متحدة اتحاداً لم تطرؤ عليه أدني شائبة . . .

وكلما وصلت أنباء عن الكفاح ازداد العلم بالخطر الناجم عن رقة الخيوط المعلقة بها الآمال في نجاحنا . »

وشخصنا يوم ٢٥ اكتوبر الى برلين الفيلد مارشال وانا لنبسط من جديد آراءنا الى جلالة الامبراطور . فاعربنا له عن تصميمنا على وجوب الاستمرار في الصراع . وكان رئيس المكتب المدني الجديد صاحب السعادة الفون ديلبروك حاضرا . فانحاز انحيازاً تاماً الى وجهة نظر الامبراطور ما كس مع مراعاته احتفاظه التام برأيه الخاص . ولقد عظم دهشنا عندما علمنا انه لا يعرف شيئاً البتة مما دار بيننا ومستشار الامبراطورية من المداولات في

صدد الصلح منذ أواسط أغسطس . ولم يصدر جلالة الامبراطور قراراً في هذا الاجتماع غير انه أظهر لي ثقة لاحد لها . وحولنا جلالته الفيلد مارشال وأنا على مستشار الامبراطورية . واذ كان هذا الاخير مريضاً فقد استقبلنا صاحب السعادة الفون باير نحن وأمير البحر شير الساعة التاسعة مساء . فاذا بمنهجه الشخصي يختلف تمام الاختلاف عما كان يبديه لنا في محادثاته السابقة . فلا بد انه كان مطلعاً على رغبة الوزارة في اقالتي من العمل بالنظر لما تمهده عني من التشبث بالمقاومة الى النهاية القصوى . وقد استشير بالمثل فى هذا الامر وزير الحربية الذي لم يدافع لدى الحكومة ولا في الرايخستاج عن الامبراطور ولا عن الجيش ، لانه لو أقدم على تعضيدهما لاضطر الى ترك منصبه . لقد أزفت الساعة المحزنة ، فان الحكومة لا تريد مواصلة الكفاح وبدت رغبتها هذه فى أوضح مظهر . فهى اذن تذهب الى وجوب التخلي عن كل شيء . فهل كانت تسمع إذ ذاك هدير الثورة التي انفجرت في ٩ نوفمبر ، أم كانت ترجو انقاذ الوطن فى الداخل بالتسليم للعدو فى الخارج ؟ لقد تكلمت حينئذ فكانت الفاظى خطيرة ومفعمة بالتأثر الشديد . فوجهت الافكار الى تصميم العدو على سحقنا وحذرتها من الاعتماد على ويلسن . وكذلك نبهت الافكار الى خطر البولشفية على المانيا ، والى ماينجم من الشر المستطير على قوة الدفاع من جراء الحملة المدبرة على الضباط ، تلك الحملة التي علقت تشتد وتبدو فى أجلى مظاهرها ولقد حدث من قبل في الروسيا مثل هذا الحادث فكان سبباً للانقلاب النهائى الذى قضى على تلك الدولة العظيمة . ثم عطفت الى جلالة الامبراطور فنصحت بعدم اضعاف مركزه ازاء الجيش لانه رئيسنا الاعلى والجيش على بكرة أبيه يعتبره رأسه ، ولقد اقسمنا له يمين الطاعة فلا ينبغى

هذه الاعتبارات التي لا يمكن تقديرها وهي امور قد امتزجت بدمائنا فصارت ، أقوى صلة تربطنا بالامبراطور . فكل ما يمسه يمس تماسك الجيش و تضامنه

إن اضعاف مركز الضباط وإضعاف مركز رئيس الجيش الاعلى في وقت يكابد فيه الجيش أقسى المحن هو عمل لامثيل له . بل هو أشد ضربة تصيب نظام الجيش ونظام الدولة في وقت ينتظر فيه من الجيش أن يحافظ على سلامة النظام الاجتماعى . وهذا هو الذى أوجب القضاء على الطاعة في الجيش أكثر من الجلاء السريع عن ضفة الرين اليسرى الذى كنا نحن السبب فى اجبارنا عليه .

وهذا هو ما خاطبت به بعض الزعماء الاشتراكيين بالمثل في أوائل نوفمبر . ولم يريدوا أن يفهموا ماهو شأن الامبراطور مع الجيش ، وليس معنا نحن فقط معشر الضباط القدماء ، بل مع الجنود البسطاء بالمثل . على أن أمثلة كثيرة أيدت آرائي بعد ٩ نوفمبر

ولم أهتم بما حدث في الرايخستاج في صباح هذا اليوم بشأن القيادة العليا ولم اخاطب فى صدده نائب المستشار الفون بايير . وذلك لانني لم أكن على علم بهذه المسألة التي لم تصلني بشأنها سوى مذكرة موجزة من هنيهة وجيزة لم أفقه معناها . لقد حدث فى مساء ٢٤ قبل مبارحتنا سبا بوقت قصير أن عرض علي النداء الآتى الموجه الى الجيش بخصوص مذكرة ويلسن الثالثة ، وهو مذيل بتوقيع الفيلد مارشال ومتضمن العواطف المتمكنة من المعسكر العام الاكبر . فالظاهر انه أمسى من الضرورى أن تتخذ القيادة العليا بالاتفاق مع برلين موقفاً حازماً ازاء هذه المذكرة لتحول دون سريان تأثيرها المحال في الجيش و هذا هو نص التلغراف الموجه الى الجيش :

« ليعلم جميع الجنود ما يأتي :

« ان ويلسن يقول في مذكرته بانه سيقترح على حلفائه أن يشرعوا في مفاوضات الهدنة . ولكن هذه الهدنة ستفضى بالمانيا الى حالة العجز من الوجهة العسكرية لتصير غير قادرة على العودة الى حمل السلاح . وهو لا يفاوض المانيا بشأن الصلح الا اذا انصاعت كل الانصياع لمطالب الحلفاء المختصة بدستورها الداخلى ، واذا أبت فلا سبيل لها بعد ذلك الا التسليم بلا شرط .

« فالرد الويلسنى يتطلب التسليم العسكرى . ومن هذه الوجهة يصبح هذا الرد غير مقبول فى نظرنا نحن معشر الجنود . وهذا دليل على أن عزم أعدائنا على محونا الذى كان السبب في إضرام نيران هذه الحرب فى عام ١٩١٤ لايزال متمكنا من نفوسهم بدون أن يطرأ عليه أى تطور . وهذا الرد يقيم الدليل فضلا عما تقدم على ان أعداءنا لا يستعملون اصطلاح « صلح الانصاف » الا بقصد التغرير بنا وليقضوا على قوة مقاومتنا . فرد ويلسن لايمكن أن يكون ازاء أبصارنا نحن الجنود سوى دعوة الى مواصلة المقاومة الى نهاية ماتسمح لنا به قوانا . وحينما يتيقن الاعداء انهم على الرغم من كل التضحيات التي قاموا بها لا يستطيعون حطم جبهتنا فانهم يصيرون مستعدين لابرام صلح يضمن مستقبل المانيا ، لاجل اكثر طبقات الشعب نفوسا بالمثل .

« ميدان القتال ، ٢٤ اكتوبر الساعة العاشرة مساء

« التوقيع . الفون هندنبرج »

ولقد كنت من الانشغال في درجة جعلت اليوزباشى المكلف بصوغ نص التلغراف ينطلق به الى الفيلد مارشال فى بادىء الامر ثم يعود به الى قبيل سفرنا الى برلين . وكان المعتاد في غير هذه المرة أن تعرض علي

الاوامر التى سيوقع عليها الفيلد مارشال لاطلع عليها وأذيلها باسمى ثم تحمل اليه . وبما أن هذا النداء لايتفق مع الرد المرسل الى ويلسن يوم ٢٠ كتوبر فقد ترددت وأنا شديد الدهش وسألت اليوزباشى اذا كان ميله متفقاً مع آراء الحكومة ، فاجابنى بالتأكيد . وهذا البلاغ ينطبق على التصريحات التي فاه بها لممثلى الصحافة الكولونيل هايفتن والمستشار الخاص الفون ستوم في وزارة الخارجية . فعاودني الامل حينئذ ووقعت على البلاغ المقدم الي ثم علم فيما بعد بان لاصحة لما قيل من مطابقة نص التلغراف لعقيدة الحكومة وعلى ذلك بادر الكولونيل هيى الى وقف هذا الامر اليومي قبل ذيوعه ، الا انه وصل من كوفنو حيث كانت توجد انظمة ثورية تتولى مراقبة المخاطبات التليفونية الى علم الاشتراكيين الديموقراطيين المستقلين وعلى الاثر نمى خبره الى الرايخستاج . ومن جهة أخرى فقد أبلغ نص التلغراف حرفياً الى الصحافة كالمعتاد . وفي ظهر يوم ٢٥ ثارت عاصفة مكتسحة من الغضب في الرايخستاج على القيادة العليا . ولم تبدر من الحكومة أية إشارة للدفاع عن القيادة العليا على انها لا تزال تمثل سلطة جيش قوى المراس . ولم أعلم بتفاصيل هذا الحادث الا مؤخراً جداً في عشية ٢٥ ولو علمت بها من قبل لحادثت الفون باير نائب المستشار فى صددها وقد أبلغت حقيقة هذه المسألة على علاتها فيما بعد الى الوزارة . الا انني في خلال هذه المدة كنت قد فصلت عن أعمالي بسبب ما أحدثته هذه المسألة من الجلبة الشديدة

وانتهت محادثة يوم ٢٥ التي جرت في وزارة الداخلية بعد ان استغرقت ساعة ونصف ساعة اوساعتين وكان ينتظرنى فى الطرقة القائد فينتر فيلد وأمير الالاي هايفتن ، فما استطعت ان اقول لهم وأنا في اشد حالات التأثر سوى : « لم يعد ثمت ظل للامل فقد تلاشت المانيا ! » فتملكهم هم بالمثل اعظم اضطراب

ولقد قررنا التسليم للعدو فى المذكرة الالمانية المرسلة فى ٢٧ أكتوبر

وكتبت فى الساعة الثامنة من صباح ٢٦ وانا في حالة التأثر التي عرتني منذ مساء الامس عريضة الاستقالة . وذكرت فيها انني على اثر محادثتي مع نائب المستشار الفون بايير صرت اعتقد بان الحكومة لاقدرة لها على العمل . فالحالة حينئذ سيئة لجلالة الامبراطور وللوطن وللجيش وعا اني أجنح الى وجوب اطالة الحرب فاعتزل العمل ربما يلطف الحالة ازاء مذكرة ويلسن ، ولهذا السبب ارجو من جلالة الامبراطور التفضل عليّ باقالتي من أعمالى

واقبل الفيلد مارشال يوم ٢٦ ليراني كعادته فى الساعة التاسعة صباحا فوضعت عريضة استقالتي في جانب على أمل أن لا أفاتحه الحديث في صددها الاّ بعد أن تصل الى يد الامبراطور . وللفيلد مارشال حق التصرف التام في ارادته فلم أشأ أن أؤثر فيها . الا انه لمح الكتاب لان شكله اجتذب نظره . فرجا مني أن لا أرسله اذ لا بدمن بقائي ، ولا حق لى الآن في ترك الامبراطور والجيش . وبعد تنازع شديد بين عواطفى الداخلية قبلت . وعلى أثر قبولى البقاء في وظيفتي اقترحت على الفيلد مارشال أن يسعي مرة أخرى في محادثة الامير ماكس . فلم يقابلنا هذا الامير لانه لا يزال مريضاً . وبينما أنا في انتظار هذا الرد اذا بامير الالاي هايفتن يفيدنى أن الوزارة حصلت من الامبراطور على قبول فصلى من مركزى ، والسبب الظاهرى الذى بنيت عليه رغبة الحكومة هوصدور الامر اليومى المعارض الى الجيش الذى تقدم ذكره . فصار من المحتم أن يستقدمني الامبراطور في الحال الى قصر بيلفي . فلم يدهشني هذا الاستدعاء الذى صرت ملماً بسببه . وبالفعل بينما أنا أحادث امير الالاي هايفتن في

هذا الصدد اذا بجلالته تدعونا الى مقابلتها في الساعة الاولى التي لم تكن تسمح بمقابلة احد ما فيها عادة

وفي أثناء قطعنا المسافة الكائنة بين مقر أركان الحرب وقصر بيلفى أخذت اقص على الفيلد مارشال ما سمعته . ولقد علمت فيما بعد ان الامير ماكس عرض على الامبراطور اقالة الوزارة في حالة استمراري في الاضطلاع بمهام وظيفتي .

وبدا على الامبراطور مظهر التغير عن الحالة التي كان عليها بالامس ، ثم وجه الي الخطاب خاصة ، فحمل بصفة خاصة على الامر اليومي الصادر الى الجيش في مساء ٢٤ . فشعرت في الحال ببعض الدقائق التي اعتبرها من أشق ما مر علي في حياتي . فقلت باحترام لجلالته بانى اصبحت اشعر مع التألم بعدم حصولي على ثقتها فلا يسعني سوى الرجاء منها ان تقيلني من الاضطلاع بمهام وظيفتي . فقبل الامبراطور .

عدت بمفردي ، ولم أر الامبراطور بعد هذه المرة . وبعد عودتي الى مركز اركان الحرب وانا مفعم بالهواجس قلت لضباطي وفيما بينهم امير الالاي هايفتن باننا سنبيت بغير امبراطور بعد مضي خمسة عشر يوما فاهتموا هم بالمثل بهذا الامر الخطير . وفي ٩ نوفمبر انقلبت المانيا وبروسيا الى جمهورية .

واقبل الفيلد مارشال ليراني مرة أخرى في مكتبي قارئة طلب الاقالة الذي منعني من أرساله منذ ثلاث ساعات . وعلى اثر ذلك افترقنا .

وتخليت عن اعمالي الرسمية في الحال مرسلا عريضة الاستقالة التي كتبتها في الصباح . وفي الحقيقة انه كان من اللازم ان اعيد كتابتها الآن لافرغها في قالب آخر .

وفي مساء ٢٦ عدت الى سبا لاودع ضباطى الذين قضيت معهم الاعوام الطوال مشتركين في مسراتها ومساآتها ولارتب شؤني الخصوصية

وفي ظهر ٢٧ وصلت الى المعسكر العام الاكبر . وفي الاصيل ودعت الجميع وأنا متأثر وقلبي متقبض لمفارقتي ضباطى والجيش في مثل هذه الآونة العسيره . غير ان اعتقادى في اختصاص مركزى بصفتى ضابطا ازاء رئيسى العسكرى الاعلى كان يجبرني أن أقدم على ما فعلته كيفما ظهر لى عملى هذا في مظهر الشدة

انني لم اتبع في حياتى سوى جادة واحدة ، وهى طريق الواجب ولم اكن مسوقاً الا بفكرة واحدة وهى : حب الجيش والوطن والاسرة المالكة وانني لم اقض هذه السنوات الاخيرة على قيد الحياة إلاّ لاجل هذه الاشياء الثلاثه . وكل مطمعى كان محصوراً في كسر ارادة العدو محونا وجعل مستقبل المانيا في مأمن من هجمات جديدة يقوم بها الاعداء مرة أخرى

وفي ٢٧ اكتوبر بلغت منتهى مجالى في الجندية وأنا على أتم ما اكون من القوة ، ولقد انفتح أمامي ميدان واسع ينطلق فيه نشاطى حراً الا انني تحملت تبعة قلما عهد مثلها اكفاء الرجال

وغادرت سبا مساء ميمبا اكس لاشابل حيث زرت أول معسكر عام لى فى هذه الحرب . وأخذت افكر في ليبيج . لقد جدت فيها بنفسى ولم اتحول عن هذه الخطة منـذ ذلك الحين . وأخذت أعصابى تتصلب فأبت الى مسقط رأسي



المنتهى

أخذت الحوادث تتوالى سراعاً ابتداء من اواخر اكتوبر .
فتقهقر الجيش الالماني في الجبهة الغربية بنظام تام يوم ٤ نوفمبر الى الخط
الممتد بين انفرس والموز تحت تأثير ضغط العدو المندفع من فردان . وثبتت
جبهتنا الممتدة في الالزاس واللورين أمام وثوب العدو

وأصيب الجيش النمسوى بشر هزيمة في المعركة التى اصطلى شواظها
في ايطاليا العليا من يوم ٢٤ اكتوبر الى ٤ نوفمبر

واندفعت بعض كتائب الاعداء في اتجاه اينسبروك . فاتخذت القيادة
العليا الوسائل الكافية لسلامة حد بفاريا الجنوبى . وظلت قوانا محتفظة
بخط الدانوب في الميدان البلقاني

لقد صرنا في عزلة من العالم أجمع

وفى مفتتح نوفمبر استطار لهيب الثورة الذي أعده وأشعله الحزب
الاشتراكي الديموقراطى المستقل بين البحارة فى بادىء الامر . ولم تجد
وزارة الامير ماكس لديها من القوة الضرورية ما يمكنها من اخماد شرارة
الحركات الثورية الممتدة على نسق الانقلاب الروسى والتى لم تتعد مكانها
في الاول . وافلتت من قبضتها أزمة الادارة برمتها فتركت الامور تجرى
فى أوسع مجاريها

وفى ٩ نوفمبر ظهراً أعلن مستشار الامبراطور الامير ماكس بسلطته
الخاصة تنازل الامبراطور . وأصدرت الحكومة القديمة أمراً الى الجنود
بعدم استعمال اسلحتهم ثم اختفت فى الحال

ورأى الامبراطور نفسه أمام الامر الواقع فتخطى الى هولاندا عملا بالرأي الذى أبداه له المعسكر العام إلا كبرياء ضباطه. وتبعه ولي العهد بعد أن رفضت برلين ما عرضه عليها من مجرد قيامه بواجب الخدمة الوطنية وتنازل امراء حكومات الاتحاد الالمانى

وفى ٩ نوفمبر أصبحت المانيا مجردة من كل يد حازمة أيدة ومن كل ارادة قوية وبفقدها أميرها أنقض بناؤها المشمخر كما تتداعى قوائم قصر من ورق. فكل ما قضيناه لاجله هذه السنوات الاربع العسيرة وما أرقنا فى سبيله كل هذه الدماء الغزيرة أصبح فى خبر كان. فها نحن أولاء وليس لنا وطن يمكننا أن نعتز ونفتخر به. وقد محي النظام العام والنظام الاجتماعي ولم يبق أثر لاية سلطة. وتسرب الى الوطن الالماني كل ما هو غريب اسما وفعلا عن المانيا كالبولشفية والترويع والفوضى. لقد اعدت تحت جلباب التستر بعمل طويل دقيق مرتب مجالس العمال والجنود فى البلاد الالمانية وانضمت الى جانب الثائرين غالبية المستودعات العسكرية التي كانت الثورة قد تمكنت من نفوس جنودها [illegible]

[illegible] واهملت تشكيلات المراكز وجنود الاراضى المحتلة فى الشرق وفي الغرب النظام والطاعة بما أعد بينهم من وسائل الاخلال والشذوذ فهبوا الى انبعاء بسابق رؤسهم ناهبين كل ما وصلت اليه أيديهم ونفوسهم ثائرة على اخلاقهم طائشة وتراجعت الجنود الموجودة في رومانيا وجنود الجبهة الدانوبية الى المجر حيث احتجزت هنالك.

[illegible] وبذلت همة عظمى لايجاد مجالس جنود بين المكافحين فى الجبهة الغربية باذن من السلطة العليا [illegible]

وقاوم الزعماء الجدد واعضاؤهم المدنيون كل معارضة وصادقوا بدون أدنى حق على تسليمنا لعدو لا أثر للرحمة في قلبه بدون ادنى شرط

واجتاز جيش الغرب في نظام حسن حدنا منسحبا الى ماوراء الرين ليصبح هو بالمثل عرضة للانحلال من جراء فض الجيش بسرعة والاختلاط بالاوساط الثورية الداخلية .

لقد سلم الجيش والوطن في تلك الايام رجال لم تبدر منهم في سابقة حياتهم بادرة تستوجب اللوم ازاء العدو من جراء ما أصابهم عزاءهم من الانفلال ، ووجد بينهم ضباط جحدوا ما الدولتهم عليهم من الواجبات وتغاضوا عن مهمتهم التاريخية . لقد شهدنا مناظر لم يكن أحد من البروسيين منذ ۱۸۰۲ يعتقد بامكان حدوثها . ويجب في هذا المقام اكبار وفاء الضباط وضباط الصف والعساكر للذين ظلوا في هذه الاطوار الحديثة محتفظين بعواطفهم القديمة ومستعدين لخدمة الوطن .

ونهبت أزواد الجيش وامتعته في كل مكان وهدمت وسائل الدفاع عن البلاد . ولا يمكن تقدير قيم ماذهبت به أيدي الضياع في هذه الاونة .

واختفى الجيش الالماني العيوف الذي لبث أربع سنين متواليات يناهض وهو محكلل بالفوز يتفوق العدد آتيا بأعمال لم يسمع بأمثالها من قبل في صحف التواريخ وحاميا من كل عدوان ومطيع حدود بلاده . ووضعت العمارة البحرية الظافرة تحت تصرف العدو . وأخذت السلطات العامة التي لم يقف متولو أزمتها يوماً ما وجهاً لوجه ازاء العدو تعفو عن الاثمين والجناة الاخرين من رجال الجندية لان مديري أزمتها كانوا هم بالمثل وأقربيه اخصائهم اليوم في يوم ما من عداد أولئك الاثمين . ولقد اشتغل هؤلاء المتسلطون بخيرة ومقصد متحد مع مجالس العمال والجنود على محو معالم الحياة العسكرية . فهذه هي مكافأة الوطن في شكله الحديث للجنود الالمانيين الذين أراقوا دماءهم وضحوا أرواحهم بالملايين في سبيل الذود عن حوضه

لأن تقويض دعائم القوة العسكرية الالمانية بايدي الالمانيين أنفسهم جريمة فاجعة لم يشهد العالم باسره مثلها من عهد وجوده . لقد أندرست معالم المانيا لا بفعول القوى الطبيعية بل من جراء ضعف حكومتها التي يمثلها مستشار الامبراطورية ومن الشلل الذي أصاب الشعب المحروم من هاد يرشده الى سواء السبيل .

ان الذين أزاغوا بصر الشعب منذ عشرات من السنين ووعدوه بالأماني الضالة وحملوا على سلطة الدولة وسلطة الجيش وهدموهما رأوا أنفسهم مضطرة فيما بعد الى العدول عن المباديء التي لبثوا يروجونها حتى تلك الآونة . فصار من الواجب انشاء سلطة جديدة وتكوين جيش حديث لمقاومة القوة بالقوة في الداخل وهذا أمر لم تكن الحاجة ماسة اليه بتاتاً فيما مضى . وليست العساكر التي أوجدتها الثورة هي التي تنقذ الوطن بل تشكيلات المتطوعين الذين ظلوا محتفظين بتعاليم الجيش وطاعته منذ ١٩١٤ ـ فيالها من بارقة أمل في هذا الوقت العصيب ـ فالانسانية لم تصر اذن ناضجة لانتاج حسنات الثورة المزعومة . فما زعمت الحكومة الحالية انها أحرزته كان من الممكن الحصول عليه بالطرق الشرعية بدون القضاء على البلاد والشعب . وانها للعبة جنائية لامثيل لها جازت على الشعب الالماني في أحرج ساعاته وها هو ذا الآن يبذل حياته ومقصده الاسمى عنا لتلك الهفوة الهائلة .

أن العالم ينظر الى هذه الحوادث كلها وهو ذا اهل ، لانه لايستطيع أن يدرك معنى هذه الفظاعة وهذا الانحلال اللذين تحزما الامبراطورية الالمانية المجيدة القوية التي كانت ترتعد فزعاً منها فرائص اعدائها وهذا الاتفاق الذى لايزال يخشى بأسنا ونحن مشرفون على الفناء رأى أن ينتهز

هذه الفرصة الموافقة له فيستمر على زيادة إضعافنا بنشر دعوته في داخل البلاد وبفرضه علينا صلح التحكم والتمزيق .

أن المانيا قد لحق بها عار فظيع من جراء خطتها الشخصي . فلم تعد الآن دولة عظيمة مستقلة ، لان مستقبلها وكيانها تحت طائلة الخطر .

لقد خرجت من هذه الحرب العالمية منهوكة القوى كسيرة الجناح مجردة من البقاع والاهالي التي ظلت اجزاء غير قابلة الانفصال منها منذ أجيال عديدة . وعدا ذلك فقدت مستعمراتها . وسلب منها جيشها اذ تجرد الالماني من حق خدمة وطنه وسلاحه في يده . واختفى الاسطول التجاري الالماني من الاقيانوس . وتحطمت قوتها الاقتصادية وما بقى من حطامها خضع لرقابة العدو المتغلب . وصارت حياة ٧٠ مليونا من الالمانيين ترتجج فوق أرض مائجة . وفرضت علينا غرامات في منتهى الفداحة . ولا تقف التبعة التي ينوء بها كاهل الثورة عند هذا الصلح بل لقد جعلت نير الاستعباد الذى يرزح تحته الشعب الالماني ساحقا فالثورة تحبذ الكسل وتستأصل من النفوس ذلك الشعور الذى يلهمها أن الربح المادى ليس هو الامر الوحيد الذى يستفاد من العمل . وتعرقل خصائص الابتكار وتمحو المميزات الشخصية . وتستعيض عن هذه الامور بتسلط الجماعات وبالانحطاط . فمستقبل الحياة العامة والنظام الاقتصادي معرض للخطر ان لم يكن قد تحطم الى أمد طويل .

ان الدم يهرق في المانيا بسبب صراع شاجر بين الاخوة . وقد أبيدت أملاك المانية كثيرة . ونهبت أموال الدولة وانفقت في اغراض قائمة على الانانية ، وبدأ التضعضع يزداد في مالية الامبراطورية وماليات الحكومات المتحدة والهيآت الاجتماعية . وقل أدب الشعب ووقاره لانه

يسبح على غير اتجاه معين في لجة الحرية الثورية ، ولان ميول المرء السافلة أصبحت ولا هم لها الا تطلب لذاتها بغير اقتناع واحتشام . وحم في كل مكان العبث بالنظام والخوف من العمل والضلال والخداع والارتعاء في أماكن كثيرة في حماة الشهوات ، ومما يؤلم العواطف حدوث هذه الرذائل على مقربة من أجداث الملايين من شهداء الوطن وعلى مرأى من عجزة الحرب الذين راوح قسماتهم اشعة ابصارنا . ان المانيا تمثل منظراً قطيعاً خلوا من الكرامة يستجيش أشد الاسى في كل قلب الماني ويحرك عاطفة الاحتقار في نفوس الاعداء والمحايدين .

ولقد وجد أناس من الالمانيين يتهمون المانيا أمام العدو بارتكابها جرائم مزعومة ليحرزوا ارضاءه وليلتمسوا عطفه عليهم . وسلمت الحكومة للعدو رجالا من الالمانيين الذين خدموا وطنهم باخلاص لتتم عليه نعمة الظفر . فهذا هو مدى الشوط الذي قطعناه في منحدر التسفل الذي احتقره رجال متسربلون بالخزي ويجردون من الذوق ليتزلق منه الشعب الالماني .

لقد جعلت الثورة الالمانيين صعاليك بين الشعوب غير اكفاء لابرام محالفة في الخارج ، وعبيد الاسار يستخدمهم الاجانب ورأس المال الاجنبي محرومين من كل نظرات الرعاية والاحترام

« في بحر عشرين عاما سيلعن الشعب الالماني الاحزاب التي تفتخر اليوم بانها اضرمت نيران الثورة . » هذه كلمات حقة ذات مفعول هائل فاه بها جهاراً اثناء التئام مؤتمر مجالس العمال والجنود للمرة الثانية في برلين في ابريل ١٩٢٩ احد الاشتراكيين الديموقراطيين وهو يخاطب زملاءه من اعضاء حزبه .

ان الصلح قد بت في مصير الشعب الالماني في هذه الآونة . وأما المستقبل فمبهم ازاء أبصارنا . ولقد ظهر في خلال دجوره بصيص من ضوء الأمل بعث به العمل الفريد العظيم من اولئك النفر الغر في سكابافلو .

ولقد اختفت كل الاحلام والاوهام العذبة ، وبدأت عقيدة الجماهير الالمانية تتلاشى . فنحن نرى الفناء ومن العبث أن نخدع أنفسنا فنتكلم أو نوجه آمالنا الى اناس آخرين أو بالاحرى الى اشباح ، فالشجاعة القصوى على الالفاظ اذا اريد بها التعلل للمستقبل لا تعدو حد الضعف الحالي وهما معا لم يؤديا أبدا ولن يؤديا الى نتيجة ما .

ولما هنالك أمر آخر ضروري وهو أن يكون كل امرئ منا ذا قريحة متوقدة وعمل محكم ، وان يصبح في الوقت عينه مرؤوساً أميناً ويزيل من نفسه الانانية ويتشبث باهداب الطاعة الوطنية ، هذا هو الواجب الذي اذا اتبعناه يرد الينا كرامتنا الوطنية وهي القاعدة الاساسية لنهوض المانيا تارة أخرى . هذا هو أول ما ندعو اليه !

أن يكون كل فرد شغوفا بمهنته أو بفنه مغرماً بالعمل واجداً ابتهاجاً لا يتضاءل في الانشاء والابتداع بهمة لا تفتر ، وان يعظم النشاط الحر في الحياة الاقتصادية التي يجب أن تسع كل جاد ، وان تتضامن السواعد والعقول بثقة متبادلة في الفقر وفي الغنى ، وأن يصبح مجال العمل الشرعي حراً لكل عامل ، فهذه هي دعائم الثروة الالمانية ومقدمات مصيرها الحديث . وهذه هي النصيحة الثانية التي نوجهها الى الجمهور !

ومن الضروري أن يصبح الالمانيون مخلصين في قيامهم بالواجب شرفاء النفوس جانحين الى الحق جريئين وان تتمكن من اخلاقهم مسحة من الادب الدقيق ، وهذه هي ثالثة النصائح التي نسديها الى المجموع ! وهذه

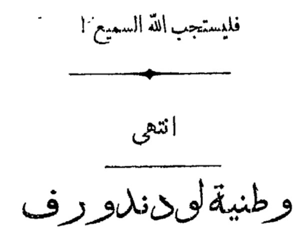
الامور هي التي تجعلنا نحترم انفسنا وتلجىء سوانا الى احترامهم ايانا
ويجب على كافة الالمانيين وعلى كل الماني بمفرده أن يروا انفسهم مرتسمة في صحف التفكير والتثقيف الوطنى وفي النشاط الالماني والجهد الشاق والكرامة الانسانية وهم ينظرون بامعان الى الحقيقة القاسية التى توضح مستقبلنا الكئيب المثقل بالخصاصة والحرمان . ان انهاج هذا المنهاج يمكننا من انشاء وطن لنا مرة أخرى ومن التشبع بالروح الوطني العتيق الفائض بانكار النفس والذى يجعلنا قمينين بالحياة لاجل املنا السامي ولاجل كل ما هو الماني ولاجل سعادة وسلامة الوطن الالمانى وجعله في منتهى القوة ، واذا مادعا القدر الى التمشي صوب الموت لتحقيق هذه المقاصد فعلنا كما فعل اولئكم الابطال الذين طاحت نفوسهم الكريمة في هذا القراع الهائل الرهيب .

ان ماقام به شعبنا اثناء سنوات الحرب الاربع عمل جليل يدلى بانصع الحجج على اننا كنا مزودين بالقوى الجسيمة التي قبرتها الثورة المدمرة . وان الشعب الذى نهض بامثال هذه الاعباء الجسام لاهل للحياه . فهلا يجد الآن في نفسه من القوة ما يمكنه من التخلص من اللغام المتراكم عليه ، وهلا يجد الرجال الذين يتولون شؤونه وهم مبتهجون بتحمل التبعة كما نعل الزعماء الذين أداروا الحرب وهم متدرعون بالعزيمة الماضية والارادة الصارمة فينفثون في الحياة الوطنية المصروعة نفحة منعشة مقوية ، رجالا يوحدون باجتهادهم المبتكر وهم حاصلون على ثقة خيار الشعب الجهود الوطنيه في دائرة العمل المثمر ؟

لنجتهد قبل ان نصل الى حضيض الضعة ونحن نتذكر ابطالنا الذين سقطوا صرعى في سبيل عظمة المانيا والذين أصبحت بلادنا في أشد الافتقار

الى بطولتهم الا ن في أن نغدو المانيين تارة أخرى وان نفخر ونعتز داعاً بصير ورثنا المانيين!

فليستجب الله السميع !



انتهى

وطنية لودندورف

ان المطلع على هذه الذكريات التي دونها يراع لودندورف فى أحرج ساعات محنته يراه قدخط آيات شعوره الوطني باحرف من ناروانحى بقوارص الكلم على دعاة العبث بهذا الشعور السامي غير مبال بانهم القابضون في هذه الآونة على أزمة السلطة فى البلاد الالمانية ، ويراه مع استحكام حلقات الضيق على المانيا وا كفهر ارجو السياسة في وجهها لا يزال قوى الامل فى نهوضها من كبوتها وعودتها الى سابق مجدها العظيم . وان هذه الوطنية لا توجد إلاّ في نفوس عظماء الرجال الذين على شاكلة لودندورف لا تخور لهم عزائم ولا يتسرب اليأس الى قلوبهم ولا يعقل الخوف السنتهم ، وطنية تدفع المتقمص بها الى المجازفة بالنفس والتفريط فى النفيس لأجل تحرير الوطن وانهاضه واسعاده . وهـذا هو الذي أقدم عليه لودندورف بعد اعتزاله العمل ، فقد شخص الى السويد ليسطر مادة هذا الكتاب الذى لم يرد به تدوين وقائع الحرب الكبرى كما يظن بل أراد به احياء الوطنية الالمانية في نفوس الالمانيين وبعث الوطن الالماني من القبر الذى وأده فيه أعداؤه

بعد أن نشر لودندورف « ذكريات الحرب » حاول بالاشتراك مع الدكتور كاب أن يحدث انقلاباً يقضي به على الحكومة الاشتراكية التي أذلت المانيا أكثر مما أذلها خصومها ، تلك الحكومة التي لاهم لها الا الخنوع لارادة أعداء البلاد وتنفيذ أوامرهم القاسية الجائرة غير مبالية بكرامة الوطن ومستقبله وحريته . ولكن الاشتراكية كانت لاتزال صاحبة الكلمة العليا في البلاد الالمانية فأخفقت حركة كاب بعد أن أريقت فيها دماء غير كثيرة . واذ علم لودندورف أن ساعة الانقلاب لم تأزف بعد أعرض عن كل محاولة اخرى مع هذا القبيل وبدأ يحدث الانظمة العسكرية السرية التي كثيراً ماقضت على حياة زعماء الاشتراكيين الذين كانت لهم اليد الطائلة في ابرام هذا الصلح المذل الذي جعل المانيا في حالة العجز والاستعباد والذي سيؤدي بها حتما الى التفكك والزوال اذا لم ينهض لودندورف واضرابه من أبطال الالمانيين كهندنبورج وماكنزن وبيلوف وفالكنهاين ويقبضوا على أزمة بلادهم بقبضات حديدية لينقذوها من وصمة العار الذي وسمتها بها حكومة ايبرت المستسلمة .

اننا نختلف مع لودندورف أشد الاختلاف في أحد مبادئه الاساسية وهو المبدأ الملكي لانه بتشدده في التشبث بهذا المبدأ الذي عكن من نفسه جد التمكن حال دون التفاف سائر الشعب الالماني حوله ، في حين انه لو اندفع مع تيار الدعوقراطية وأيد حكم الشعب نفسه بنفسه ثم طلب من الشعب أن يدافع عن كيانه لاعن سلطة امبراطورية متحكمة لنجح نجاح البولشفية التي تغلبت على أعدائها في الداخل والخارج وثبتت قوائم مجلسها الشعبي العظيم . وفي اعتقادنا أن حكومة الجمهورية الالمانية لم تستسلم الى أعدائها الا حذراً من الحزب الملكي الذي يرأسه أساطين العسكرية

البروسية ، ولو أمنت شر هذا الحزب لما تأخرت عن اعتبار لوندندورف بمنزلة تروتسكي أي عضد حكومة الشعب ونصيرها . ويدلنا على صحة هذا الاعتقاد أن حكومة الشعب الالماني لم تقاطع كبار الماليين والسياسيين السابقين الذين لم يناهضوها بل قبلوا أن يتعاونوا معها على العمل لسلامة البلاد الالمانية والشعب الالماني بقدر ما يسمح لهم الموقف الحالي العسير .

أما مبدأ لودندورف الوطني فنحن على تمام اتفاق معه فيه ، لان يحكم الشعب بلاده بنفسه لا بفرد أو أفراد معينين طول حياتهم لا ينبغي أن يحول دون تزود الشعب عن كيانه . ومتى حانت الساعة التي تزول فيها الدول وتخلفها فيها إدارات الشعوب فهنالك لا بأس من زوال حواجز الوطنية التي تفصل بين بعض الشعوب وبعضها .

وإذا اتفقنا مع لودندورف في مبدإه الوطني فاننا نكاد نعتبر مبدأه الذي يحتم وجوب دفع القوة بالقوة حتى يزول تحكم النفوس الدموية الشريرة التي لا يرضيها سوى استعباد سائر الامم والامصار عقيدة ، وذلك لان القوة ما فتئت منذ أن برأ الله العالم سند الحق ودعامة العدل ، ولولا القوة لما انتصف المظلوم من الظالم . فالشعب الالماني لبث عزيز الجانب سعيداً حراً مستقل الوطن طول المدة التي كان فيها قوياً مهيباً من أعدائه . فلما دب دبيب الضعف في قوسه استخف أعداؤه به واستطالوا عليه وها هم أولاء الآن يعملون على تمزيق شمله . فاذا كانت القوة لازمة للشعوب الكبرى التي كانت تعتبر جزءاً من مجموعة الدول العظمى الاوربية السالفة فهي ألزم للشعوب الشرقية الرازحة تحت كلاكل الاستعمار والاستبداد والاستغلال . ان القوة هي الوسيلة الوحيدة لنجاة الشعوب المستعبدة . وأما الاغترار بأقوال الدول المستعمرة المموهة بالوعود المنيمة وبالمفاوضات الطويلة العقيمة فلن يؤدي

الاّ الى اشتداد وطأة التحكم الاجنبي في البلاد الخاضعة لنيره . وهذا هو الذى نبه لودندورف اليه قومه ولبث يكرره فى تفاريق كتابه هــــذا ، وهذا ما يجب أن يضرب على نغمته كل كاتب شرقي مفكر وما يجب أن يمثله أزاء بصيرته في كل آونة كل فردمن افراد الشعوب الشرقية المستعبدة

واذا حق للودندورف أن يفخر بادارته أزمة الحرب العالمية مدة عامين كاملين فله أن يزداد افتخاراً بما كتبه عنه أحد كبار القواد الفرنسويين وهو القائد بوا اذ قال :

« لودندورف ! كما حدث فى القرن الماضي ان جنايسناواطفأ بشهرته اسم بلوخر ، وامحى فى ١٨٧٠ اسم غليوم الاول ازاء اسم مولتك كذلك كسفت سمعة لودندورف فى الحرب الاخيره تماماً شهرة غليوم الثاني . »

« فبعد أن اسندت المانيا رآسة هيأة أركان حربها العامة الى قائدين ذائعي الصيت لم يثبت احدهما امام ازمة المارن والاخر منهما امام محنة فردان القت مقاليد شؤنها الى مسيطر اشتهر بدرجة فائقة فى الجبهة الشرقية وهو شخص هندنبورج ولودندورف المشترك الذى ادار الحرب من اواخر أغسطس ١٩١٦ الى أن انتهى القتال . ولم يكن لودندورف فى المظهر الرسمي سوى مساعد هندنبورج ، أما فى الحقيقة — وكل الناس فى المانيا وفى سائر البلاد الاخرى وبينهم لودندورف نفسه لا ينخدعون فى هذا الصدد — فقد كان الرئيس . ولم يكن الامبراطور ولا رئيس أركان الحرب بجانبه سوي شخصين رسميين يزيدان باسميهما خطارة شأن الاوامر الصادرة فى أدق المواقف . ويتكلم هندنبورج عن نفسه وعن القائد لودندورف ، أما لودندورف فلا ينطق الا بانا وفى تسع مرار من كل عشر مرات لا يورد بجانب اسمه أي اسم آخر

«وقد ادار اكثر من عامين الجيوش الالمانية والنمسوية والبلغارية والعثمانية في سائر الميادين . بل لقد بلغ من التسلط اعظم من ذلك : فما من مسألة داخلية ولا من مفاوضة سياسية خارجية ولا من عمل اداري ذي شأن مذكور لم يؤخذ رأيه فيه وغالبا ما يكون من ابتكاره هو . وبلغ من عظم نفوذه ان اطلق عليه بعض مواطنيه ، وليس بغير حق اسم « المسيطر » ولقد قال النائب هاز فوق منبر الرايخستاج فى شهر مارس ١٩١٨ : « ليس المستشار سوى الحجاب الذى يستر الحزب العسكري اما الحاكم الحقيقى فهولودندورف »

وبعد ان تكلم القائد بوا عن مذكرات لودندورف واستخلص منها انه « كان متعصبا لعظمة وطنه » قال عنه « انه احد الكهنة الذين اقاموا دعائم محراب المذهب الحربي البروسى ، فهو من اولئك الرجال الذين قال عنهم كوهلمان — انهم جفاة الطباع ولكنهم ليسوا مجانين — والذين يريدون ان يكسبوا المانيا بالحرب اتساعا يتفق مع كثرة أبنائها ويمكنوها من التفوق العادل اللائق بها بتنشيط الالمانيين الى التبرز في سائر فروع المجهودات البشرية »

ثم قال القائد الفرنسوي : « ولا يمكن مقارنة تعصبه لوطنه الا بما ينطوى عليه القسيس من التعصب الخفي لربه . فهو يمثل على وجه الكرة الارضية عظمة فردة وهى . عظمة المانيا . »

ثم قال عنه انه اذا كان قد اختفى من منصبه في الظاهر فان هذا الاختفاء خدعة وهو لايزال ناهضا خلف الستار مصدراً نصائحه وأوامره الى الشعب الالماني متنبئا بعودة الامبراطورية الالمانية الى سالف عزها ومجدها ذاهباً الى أن الازمة الدانوبية ستربك أوربا حوالى ربع قرن

قد يجد في خلاله فرصة تجعله مسيطراً على هذه القارة . ومن رأي هذا القائد الفرنسوي ان الفرص لا تزال تساعده في المانيا بدليل مظاهر الحفاوة التي استقبلا هو والقائد هندنبرج بها في برلين يوم ١٢ نوفمبر والايام التالية له .

ويظهر ان حكومة ايبرت التي تتوجس خيفة من الانظمة العسكرية التي يؤلفها القائد لودندرف خشيت أن يتهيج هذه الحركة المتوترة فيها أعصاب الشعب الالماني من جراء الاعتداء الفرنسوي على أراضيه فينهض بالشعب كتلة واحدة في وجه الاعداء حتى اذا ما فاز في حركته قلب الجمهورية رأساً على عقب وأعاد الامبراطورية في وسط حماسة الشعب وحمله بانتصاره وعشي الروح الوطني فيه ثانية فأصدرت أمرها بابطال هذه الانظمة ولكن محاكم بفاريا أصدرت حكمها أخيراً بابطال قرار الحكومة الجمهورية . وهذا الحكم النظامي يعتبر خطوة كبرى في طريق لودندورف .

وعلى كل حال سيظل هذا القائد عاملا لانقاذ وطنه فاما فاز بسؤله واما وضع الاساس لسواه من اقرانه أو تلاميذه .

لم يتسرب اليأس الى قلب لودندورف أمام أعظم الاهوال وأشد الازمات بل ظل يكافح دول العالم حتى اذا ما رأى أن النصر متعذر عليه حاول أن يتلمس منفذاً سياسياً الى صلح يحفظ الدماء المراقة بغير فائدة ويضمن لالمانيا مستقبلها غير أنه حينما ايقن بامتناع العدو عن اجابة المانيا الى هذا السؤال صمم على انقاذ المانيا من تحكم اعدائها بكل وسيلة . وهكذا يجب على الزعماء الوطنيين الشرقيين أن لا يقنطوا وأن يعتمدوا بعد الله على القوة أكثر من الاعتماد على الكلام

طبع بمطبعة التقدم بدرب العنبة بشارع محمد علي بمصر